التنكيل

بما في (بيان المثقفين) من الأباطيل

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

القسم الأول

الطبعة الأولى

ربيع الآخر - ١٤٢٣

قال المعلمي رحمه الله تعالى في (الأنوار الكاشفة) ص ٢٥ :

"إن أضرّ الناس على الإسلام والمسلمين هم (المحامون الاستسلاميون) ، يطعن الأعداء في عقيدة من عقائد الإسلام ، أو حكم من أحكامه ، ونحو ذلك ، فلا يكون عند أولئك المحامين من الإيمان واليقين والعلم الراسخ بالدين والاستحقاق لعون الله وتأييده ما يثبتهم على الحق ويهديهم إلى دفع الشبهة ، فيلجأون إلى الاستسلام بـ(نظام) :

١–ونظام المتقدمين : (التحريف) .

٢–ونظام المتوسطين : زعم أن النصوص النقلية لا تفيد اليقين ، والمطلوب في أصول الدين اليقين ، فعزلوا كتاب الله ، وسنة رسوله عن أصول الدين .

٣– ونظام بعض العصريين : (التشذيب). "انتهى.

وقال محمد محمد حسين رحمه الله في (الإسلام والحضارة الغربية) ص ٤٧ :

"أما الوسيلة الأخرى التي اتخذها الاستعمار لإيجاد هذا التفاهم المفقود [بين المسلمين والمستعمرين] وعمل على تنفيذها فهي أبطأ ثماراً من الوسيلة الأولى [تربية العلمانيين] ، ولكنها أبقى آثاراً ، كما لاحظ اللورد لويد ، وهي تتلخص في : تطوير الإسلام نفسه ، وإعادة تفسيره ؛ بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية ، أو قريباً منها ، وغير متعارض معها على الأقل ، بدل أن يبدو عدواً لها ، أو معارضاً لقيمها وأساليبها ."انتهى .

مقدمة

الحمد لله الذي أتم نعمته و أكمل الدين ، و شرع الجهاد رحمة للعالمين ، وجعل العزة لمن أطاعه من المؤمنين ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره وإن هملجت بهم البراذين ، القائل (**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : كلمة قامت بها الأرض والسماوات ، وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، وعليها أسست الملة ، ونصبت القبلة ، و لأجلها جردت سيوف الجهاد ، وهي محض حق الله على جميع العباد ، وهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وبها انقسم الناس إلى مسلمين وكفار ، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والبوار ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله الله بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد وحده ولا يشرك به ، وجعل رزقه تحت ظل رمحه ، بعثه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فقد تأملت في تاريخ الإسلام طويلاً ، وقلبت صفحاته ، ونظرت في حال أعداء الإسلام ، وحروبهم له ، من الصليبيين ، و الوثنيين ، في المشرق ، و في المغرب ، لأكثر من عشرة قرون ، فلم أر لهم عدواً : أعدى ، ولا أخبث ، ولا أنكى ، من (أمريكا) ، وبقراءة التاريخ يظهر إن من أعظم الهجمات التي تعرض لها المسلمون قديماً هجمات التتار في القرن السابع ، ومع ما حصل للمسلمين منهم من بلاء ؛ فإن ذلك لا يقاس أبداً بما حصل للمسلمين من (العدو الأمريكي) اليوم:

١- فإن التتار هاجموا مشرق بلاد المسلمين ، أما هؤلاء فهاجموا جميع بلدان المسلمين في المشرق والمغرب ، بطريق مباشر وغير مباشر ، ولو علموا بوجود بلاد إسلامية تحكم بالإسلام تحت المحيطات لخاضوها من أجل القضاء عليهم .

٢-ولئن قضى التتار على حكم المسلمين في المشرق ، فإن كثيراً منهم دخل في الإسلام بعد ذلك ، وبقيت دول المسلمين تحكم بالإسلام في وسط العالم الإسلامي ومغربه ، وأما هؤلاء فقد قضوا على حكم الإسلام (مادياً) و (معنوياً) في المشرق والمغرب ، بل قضوا ويحاولون القضاء على من (يحلم) بتحكيم الإسلام .

٣-ولئن قتل التتار آلافاً من المسلمين في هجمتهم حتى بلغوا المليون أو أكثر في بغداد ، فإن ضحايا (أمريكا) من أطفال العراق فقط تتضاءل عندها جرائم التتار كلها ، دعك من باقي ضحاياهم في بلاد المسلمين الأخرى .

٤-ولئن كانت (أعنف) هجمات التتار هي (العسكرية) ، فإنها (أيسر) هجمات أمريكا ، فإن حروبها العسكرية للمسلمين – على خبثها – تتضاءل أمام فسادها وإفسادها في البلاد الإسلامية ونشرها للخبث والمجون والإلحاد والعلمانية وحمايتها لذلك ، وغير هذه الأمور ؛ مما قتله للعقائد في نفوس المسلمين أعظم من قتل أسلحتها لأجسادهم ، وهذا مما لا يستطيع أن يصفه قلم.

٥-ولئن اكتفى التتار بالخيرات الظاهرة في بلاد المشرق ، فإن هؤلاء لم يكتفوا بخيرات جهة دون أخرى ، بل نهبوا خيرات بلاد المسلمين وثرواتها الظاهرة والباطنة ، حتى صاروا يستأثرون بنصف ثروات العالم.

وكل من يتابع وضع المسلمين اليوم يعلم أكثر من هذا ، ولو لم يكن بيننا وبينهم اختلاف في الدين يحملنا على معاداتهم وبغضهم والبراءة منهم ، لكانت أفاعيلهم هذه تكفي في ذلك ، ولولم يكن عند الإنسان دين يحمله على بغضهم وعداوتهم فإن (الشهامة) و (الرجولة) و (الأنفة) تجعله يأنف من استجدائهم والخضوع لهم وطلب التعايش معهم ، بعد أن بلغ بهم الطغيان حداً لا يتصوره عقل ، فلم يسلم من شرهم مصر ، ولم تخل من خبثهم أرض ، وبعد أن فتكوا بالمسلمين في كل مكان ، ويكفي من هذا ما يفعلونه اليوم في إخواننا المسلمين من الأسرى في (كوبا) ، وقد كانت العرب في جاهليتها الجهلاء تأنف من الركون إلى العدو ولو كان أقوى منهم ، فكان شعارهم : (مت كريماً ، ولا تعش ذليلاً) ، وقصص حروبهم الجاهلية تدل على هذا ، ويقول شاعرهم :

حكّمْ سيُوفَكَ في رقابِ العُذَّلِ ... وإذا نزلتَ بدار ذلٍّ فارحلِ

وإذا بُليتَ بظالمٍ كُنْ ظالماً ... وإذا لقيت ذوي الجهالةِ فاجهلِ

واختَرْ لِنَفْسِكَ منْزلاً تعْلو بهِ ... أَوْ مُتْ كريماً تَحْتَ ظلِّ القَسْطَلِ

لا تسقني ماءَ الحياةِ بذلةٍ ... بل فاسقني بالعزِّ كأسَ الحنظلِ

ماءُ الحياةِ بذلةٍ كجهنم وجهنم بالعزَّ أطيبُ منزلِ[1]

ولما شاور الرسول صلى الله عليه وسلم السعدين في إعطاء غطفان (وهم مشركون) ثلث ثمار المدينة ليصدهم عنها – كما ورد في كتب السيرة بسند مرسل – قال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، أ فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف.

هذا و قد كنت أخرجت كتاباً مختصراً بعنوان : (**طليعة التنكيل**) ، رداً على (بيان المثقفين) الذي دعوا فيه أعداء الله الأمريكان إلى (التعايش) ، ووعدت بكتاب مفصل في الرد عليه ، وها هو الآن بين أيديكم ، اسأل الله سبحانه أن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، وأحب أن أنبه إلى أمور :

الأول :

أنني ذكرت في (الطليعة) بأن هذا البيان مخالف للكتاب والسنة والإجماع ، وأنه قادح في الولاء والبراء ، وأنه كثير الطوام ، عظيم القواصم ، وهذا الكتاب الذي بين يديك يفصل لك ما أجملته هناك .

الثاني :

أن هذه المسألة في (أصول الدين) وفي عقيدة (التوحيد) ، فلا يسعنا السكوت عليها مطلقاً مهما قيل في كاتب هذه الأسطر ، بل لا بد من بيان الحق فيها .

الثالث :

حاولت الاختصار قدر الإمكان في هذا الكتاب ، فحذفت بعض المباحث ، واختصرت مباحث أخرى ، وجمعت الأدلة المتشابهة تحت دليل واحد ، واختصرت في النقول ، والشبه ،

---

[1] هذه الأبيات فيها معانٍ لا يقرها الشرع كما هو ظاهر ، وليس المراد الاستشهاد بمعناها ، بل المراد بيان أنفة العرب وهم كفار من التذلل للأعداء .

ونحو ذلك ، ومع هذا صار الكتاب كبيراً نوعاً ما ، وهو لمن أراد التفصيل والتدليل ، وأما من أراد خلاصته فيما يتعلق ببيان المثقفين فيكتفى بـ(الطليعة) .

الرابع :

من أجل أن يكون هذا الكتاب ليس وقتياً ينتهي نفعه بذهاب وقته ، وليكون مفيداً في المسائل المطروحة و (المحاربة) اليوم على مستوى العالم ؛ كالولاء والبراء والجهاد ونحو ذلك ، فقد فصّلت الكلام على هذه المسائل وما يتعلق بها ، و جعلت من البيان مدخلاً لها، فجاء نصف الكتاب أو أكثر على هذا ؛ كالفصل الأول ، والأدلة في الفصل الرابع ، والشبه في الفصل الخامس ، و الفصل السادس ، فلو حذفت ما جاء عن البيان في هذه الفصول ما انتفت فائدتها إن شاء الله ، بل وتصلح في الرد على كل (بيان) أو (مؤتمر) أو (حوار) من هذا الجنس .

الخامس :

قسمت هذا الكتاب إلى ستة فصول كما يلي :

الفصل الأول : مقدمات ضرورية : وتحته خمس عشرة مقدمة .

الفصل الثاني : مقارنات : وتحته خمسة مباحث.

الفصل الثالث : نقض بيان المثقفين عقلاً : وتحته خمسة مباحث .

الفصل الرابع : نقض بيان المثقفين شرعاً : وتحته مبحثان .

الفصل الخامس : شبهات وردود : وتحته ثلاث عشرة شبهة .

الفصل السادس : كسر طاغوت حجة المفلسين (المصلحة) : وتحته أربعة مباحث.

وتفصيلات المباحث تركتها اختصاراً ، وانظرها في الفهرس آخر الكتاب .

السادس :

مهدت قبل هذه الفصول بمقدمتين :

إحداهما : في التعليق على البيان التوضيحي .

والثانية : في بيان خطورة بيان المثقفين وما شاكله .

السابع :

جعلت في آخر هذا الكتاب ملحقين :

الأول : أصول الصحوة الجديدة : لفضيلة الشيخ علي الخضير حفظه الله .

والثاني : لسنا أغبياء بدرجة كافية (في الرد على البيان التوضيحي) : لأبي البراء .

الثامن :

اعلم – أخي الفاضل – أنه بعد صدور (طليعة التنكيل) رمتني سهام بعض الإخوة هداهم الله وعفا عنهم ، فمنهم من قال (يريد شق الصف) ، أو (هذا الكلام له خلفيات تاريخية) ، أو (الخلاف شخصي قديم) ، أو (متسلق على الأكتاف) ، أو (طالب شهرة) ، أو (من الصغار ويتكلم في الكبار) ، أو (متحامل) ، وغير هذه الاتهامات ، فأقول :

أما ما يتعلق بشخصي من جميع هذه الاتهامات – ما سمعتها وما لم أسمع منها – فهم في حل من ذلك كله ، وأسأل الله تعالى أن يغفر لكل من تكلم فيّ ، أو أساء إليّ ، أو اتهمني ، أو ظلمني ، ولن أطالبهم بشيء – إن شاء الله – في الدنيا ولا الآخرة (**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**) [1] .

وأما ما يتعلق بالبيان والرد عليه فالحكم في ذلك ليس لي ، ولا لهم ، ولا لغيرهم ، بل للحجج والبراهين ، ومن كانت لديه حجة فليدل بها ، والسب والشتم يجيده الجميع .

وأخيراً :

فأسأل الله سبحانه أن ينفع بهذا الكتاب من قرأه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وذخراً لي يوم ألقاه ، وأن يغفر لنا الخطأ والزلل ، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، وأن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ،

---

[1] ومن تكلم فيّ – سامحهم الله – على قسمين :

الأول : من أخذتهم الحمية و (الحزبية) و (الهوى) بدون نظر إلى (الحق) أو (الباطل) ، فهؤلاء أنصحهم لأنفسهم أن يجعلوا الحق فوق كل أحد وأن لا يردوا الحق من أجل أن فلاناً قاله ، أو أن فلاناً رده .

و الثاني : من كان كلامه غيرة منه على الدين وحمية للإسلام وأهله ، فأسأل الله تعالى أن يثيبه على قصده ، وأن يغفر لنا وله وللمسلمين جميعاً .

وأختم كلامي في هذه المقدمة بما قاله ابن الوزير رحمه الله [1]:

"وقد قصدت وجه الله في الذب عن السنن النبوية ، والقواعد الدينية ، وليس يضرني وقوف أهل المعرفة على ما لي من التقصير ، ومعرفتهم أن باعي في هذا الميدان قصير ، لاعترافي بأني لست من نقاد هذا الشأن ، ولا من فرسان هذا الميدان ، لكني لم أجد من الأصحاب من تصدى لجواب هذا (البيان)[2] ، لما يجر ذلك من سوء القالة ، فتصديت لذلك من غير إحسان ولا إعجاب ، ومن عدم الماء تيمم بالتراب ، عالماً بأني لو كنت باري قوسها ونبالها ، وعنترة فوارسها ونزالها ، فلن يخلو كلامي من الخطأ عند الانتقاد ، ولا يصفو جوابي من الكدر عن النقاد ، فالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كلام الله الحكيم ، وكلام من شهد بعصمته القرآن الكريم ، وكل كلام بعد ذلك فله خطأ وصواب ، وقشر ولباب .

ولو أن العلماء رضي الله عنهم تركوا الذب عن الحق خوفاً من كلام الخلق ، لكانوا قد أضاعوا كثيراً ، وخافوا حقيراً ، وأكثر ما يخاف الخائف في ذلك : أن يكل حسامه في معترك المناظرة وينبو ، ويعثر جواده في مجال المحاجة ويكبو ، فالأمر في ذلك قريب : إن أخطأ فمن الذي عُصم ؟ وإن خُطّيء فمن الذي ما وُصم ؟ والقاصد لوجه الله تعالى لا يخاف أن ينقد عليه خلل في كلامه ، ولا يهاب أن يدل على بطلان قوله ، بل يحب الحق من حيث أتاه ، ويقبل الهدى ممن أهداه ، بل المخاشنة بالحق والنصيحة ، أحب إليه من المداهنة على الأقوال القبيحة ، وصديقك من صَدَقَك ،لا من صدّقك ، وفي نوابغ الحكمة: عليك بمن ينذر الإبسال والإبلاس ، وإياك ومن يقول : لا باس ولا تاس " انتهى.

وصلى الله على نبينا محمد .

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

الرياض – ربيع الآخر – ١٤٢٣

---

[1] الروض الباسم : ٩/١ ، ١٠ .

[2] في الروض : الرسالة ، وذكرت البيان لمناسبة المحل .

التعليق على البيان التوضيحي

ظهر بيان توضيحي من بعض الموقعين على بيان المثقفين وفقهم الله ، ولهذا البيان قصة سأذكر بعضها (وأعرض عن البعض الآخر !) :

١- أثناء انشغالي بـ(التنكيل) ، علمت من بعض المشايخ أن بعض الموقعين سيُصدرون تراجعاً ، فحمدت الله على ذلك ، وتوقفت عن الكتابة في (التنكيل) لأكثر من أسبوعين ، بل وشرعت في كتابة مسودة مقال بعنوان (وقفات مع بيان التراجع) ، تكلمت فيه على فضيلة الرجوع إلى الحق ، وبعض ما وقع للعلماء في ذلك ، وشكرت المشايخ على بيانهم ، واعتذرت لهم عن بعض ما جاء في (الطليعة) .

٢- فلما صدر البيان وقرأت ما فيه لم أر فيه أي تراجع ، بل هو مجرد (كشف للبس حصل عند القراء) ؛ إذ جعلوا الخطأ من (فهم) القراء ، لا من (البيان) ، ثم سردوا عقيدتهم في البراء من الكفار وفي الجهاد في سبيل الله ، ولم يتعرضوا للأخطاء التي في البيان ، ولم يذكروا موقفهم منها ، ولم يذكروا حرفاً واحداً في الرجوع عنها.

٣- وقد كنت أردت أن أناقش هذا البيان في مقدمة هذا الكتاب بعد أن انتهيت منه ، ولكنني وجدت مقالاً نشر في الشبكة بعنوان (لسنا أغبياء بدرجة كافية) في مناقشة هذا البيان فاكتفيت به ، وجعلته ملحقاً بهذا الكتاب .

٤- ومع هذا ، فلو كان التراجع واضحاً صريحاً فإنه يبقى أمور توجب الرد على بيان المثقفين منها :

الأول : أن الباقين من طلبة العلم والدعاة الموقعين لم يبينوا موقفهم[1] .

---

[1] وهناك من بين موقفه جزاهم الله خيراً ، ومنهم المشايخ الفضلاء : الشيخ محمد المعيتق ، والشيخ محمد البراك ، والشيخ محمد الوهيبي ، والشيخ خالد المشيقح ، والشيخ إبراهيم الفايز ، حفظهم الله تعالى وسددهم ، ومن هؤلاء من لم يوقع أصلاً ، ومنهم من وقع عبر الهاتف ، ومنهم من كان في المستشفى أثناء التوقيع ، وهناك من تراجع أول الوقت شفوياً ، ثم تراجع عن التراجع !.

والثاني : أن هناك من أصدر ما يؤيد فيه بيان المثقفين أو يدافع عنه ونشره بين المسلمين.

والثالث : أن البيان لا يزال إلى ساعة كتابة هذا الأحرف (في آخر ربيع الأول) منشوراً في موقع (الإسلام اليوم) باللغة الإنجليزية ، ممهوراً بتواقيع من تراجعوا عن البيان وطلبوا حذف أسمائهم !.

والرابع : أن البيان التوضيحي لم ينتشر كبيان المثقفين ، ولم يترجم مثله.

والخامس : أن الصحف والمجلات لا تزال تتكلم عن بيان المثقفين دون نظر إلى غيره .

والسادس: أن هذا البيان سابقة (فكرية) و (تحول منهجي) و (لبنة في أول الطريق) كما يقول العلمانيون والعصرانيون ونحوهم ممن استبشر به حال صدوره بالنظر إلى حال الموقعين من الدعاة وطلبة العلم ونحوهم .

والسابع : أن هذا البيان جاء في وقت شنت فيه حملة (عالمية) يراد من خلالها هدم الولاء والبراء كما سيتضح في الصفحة القادمة إن شاء الله ، فهذا الكتاب الذي بين يديك في حقيقته رد على :

بيان المثقفين ، ومؤتمرات أو مؤامرات (حوار الحضارات) ، ورد على التقريبيين الذين يسعون للتقريب بين الأديان ، وعلى كثير من أطروحات العصرانيين فيما يتعلق بالولاء والبراء والجهاد في سبيل الله ، وغيرها ، أسأل الله تعالى أن ينفع به من كتبه وقرأه.

تمهيد في بيان خطورة هذا البيان وما شاكله

بعد انتهاء ما يسمى بالحرب الباردة وظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي يسيطر عليه العدو الأمريكي ظهر لها الخطر الإسلامي الأصولي كما تزعم ، فأكثروا من الكلام على (الإرهاب الإسلامي) ، و (التطرف) ، و (الجماعات المتشددة) ، ونحو ذلك ، في إشارة إلى المجاهدين المسلمين الذين يجاهدون في أفغانستان وفلسطين والشيشان وكشمير والفلبين وغيرها .

ثم بعد الضربات الموجعة التي تلقتها أمريكا في أحداث ١١ سبتمبر زاد خطر (الإرهاب الإسلامي) عليهم ؛ إذ بلغهم في عقر دارهم ، فتبنوا لضرب هذا (الإرهاب) خطتين :

الخطة الأولى :

وهي (قصيرة المدى) : وهي ضرب (الإرهابيين) عسكرياً ، فضربوا الأفغان ، وأطلقوا عباد البقر على الكشميريين ، واليهود على الفلسطينيين ، وذكروا لحملتهم العسكرية الأولى سبعة وعشرين هدفاً كلها لمنظمات وحركات إسلامية وجهادية ، وحصلت اعتقالات (جماعية) في جميع دول العالم لمن يسمونهم بالإرهابيين .

والخطة الثانية :

وهي (طويلة المدى) : وهي إحداث تغيير نفسي وعقلي جذري عند المسلمين من أجل القضاء على عقيدة (كراهية الآخر) وتعني عقيدة (البراء من الكفار) ، والقضاء على عقيدة (الإرهاب) وتعني (الجهاد في سبيل الله) ، ولا يكون هذا إلا بنشر المؤتمرات والندوات والبيانات والمقالات والمحاضرات التي تنادي : بروح السلام ، و المودة ، والتسامح ، والتعايش ، وترك الصدام ومعاداة الآخرين ، والتي يراد من خلالها القضاء على (الولاء والبراء) و (الجهاد) ، ولا يعني هذا أن يأتي (مشايخ من الكونجرس) أو (دعاة من السي آي إيه) أو (وعاظ من الإف بي آي) فيتولون إدارة المحاضرات والندوات والمؤتمرات وكتابة الفتاوى والبيانات ، بل يكون عملهم هذا بتشجيع تيار من يسمونهم بالمنهج الوسطي الذي يقبل التعايش معهم ، وينبذ الجهاد وأهله ، وتمكينهم من (وسائل الإعلام) و (التعليم) ، مع شن

هجمة : إعلامية ، وفكرية ، وتعليمية ، وتربوية ، قوية ولكنها (هادئة) على معاقل التوحيد والكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار ومعاداتهم والجهاد في سبيل الله .[1]

لذلك كثرت مؤتمرات (حوار الحضارات)[2] ، وبيانات الاستجداء ، وفتاوى منع الدعاء على اليهود والنصارى ، وندوات محاربة الإرهاب ، وإغلاق المعاهد الدينية ، والكلام على مناهج التعليم ، والجمعيات الإسلامية الخيرية ، هذا فضلاً عن هجمات الصحف والمجلات والقنوات على الجهاد والمجاهدين و (الوهابيين) ، وغير ذلك .

وقد صرّح نائب وزير الدفاع الأمريكي (بول وولفويتز) يوم الخميس ٣/٢٥ / ١٤٢٣ لصحيفة واشنطن تايمز بنحو هذه الخطة حيث قال في معرض حديثه عن حربهم للإسلام السلفي: " إن من أكثر الدول التي يمكن أن تكون أمثلة للدول الإسلامية الحرة والديمقراطية هي : تركيا ، واندونيسيا ، والمغرب" .

وأضاف قائلا : " نروج لذلك النوع من النجاح كحل للإرهاب على المدى البعيد ؛ أما على المدى القريب فمن المهم اعتقال وأسر وقتل الإرهابيين "[3].

---

[1] ومثل هذه الخطط ليست جديدة ، بل هي قديمة تتجدد ، فقد ذكر محمد محمد حسين رحمه الله في (الإسلام والحضارة الغربية) ص ٤٦ نقلاً عن (كرومر) البريطاني أنه لاحظ الاختلاف الشديد بين المسلمين في مصر والمستعمر الغربي في العقائد والقيم والعادات واللغة وغيرها ، وذكر أن هذه الخلافات أوجدت هوّة واسعة تفصل بين الفريقين ، ودعا إلى العمل بمختلف الوسائل على بناء قنطرة فوق هذه الهوة ، وقد اتخذت هذه الوسائل طريقين:

أحدهما : تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشّئون تنشئة خاصة تقرّبهم من الأوربيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص ، فأنشئت (كلية فكتوريا) من أجل ذلك .

قال محمد محمد حسين رحمه الله ص ٤٧ : "**أما الوسيلة الأخرى** التي اتخذها الاستعمار لإيجاد هذا التفاهم المفقود وعمل على تنفيذها فهي أبطأ ثماراً من الوسيلة الأولى ، ولكنها أبقى آثاراً ، كما لاحظ اللورد لويد ، وهي تتلخص في تطوير الإسلام نفسه وإعادة تفسيره بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية ، أو قريباً منها وغير متعارض معها على الأقل ، بدل أن يبدو عدواً لها أو معارضاً لقيمها وأساليبها ".

[2] والمؤتمرات هذه في حقيقتها (للتقريب بين الأديان) ، وقد عقد مؤتمر لحوار الحضارات في الرياض في شهر محرم ، وعقد بعده بشهر مؤتمر آخر في البحرين ، وبعده بشهر مؤتمر في دمشق ، وقبله بشهر في قطر وتركيا ، ووضعت لجنة في شهر رمضان عام١٤٢٢ تابعة للجامعة العربية لحوار الحضارات .

[3] عن موقع مفكرة الإسلام في الشبكة ، وقد ذكر فوكوياما – وهو أحد الموقعين على بيان الأمريكيين – نحو هذا الكلام في التعامل مع ما أسماه بـ(الفاشية الإسلامية) حيث قال في مقابلة مع محمد السطوحي كما نشرته مجلة (الهلال)

=

ف(بيان المثقفين) ليس معزولاً عن هذه الأمور التي تجري على الساحة ، بل هو يصب – وإن كان بغير قصد – في خدمة الأهداف الأمريكية لضرب عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين .

والمقصود أن (التيار الإسلامي القادم) في العالم الإسلامي كله والمدعوم بـ(قوة) من (الحكومات) هو تيار (الإسلام الأمريكي) الذي يروج للتعايش والسلام والحوار والتسامح وترك (كراهية الآخرين) ، ونبذ الجهاد وأهله ، وسيمكن لهم في (القنوات) و (الصحافة) و (الإعلام) و (الفتاوى) و (المحاضرات) و (التعليم) و غيرها ، وسيروّج لما يسمى بـ(المنهج الوسطي المعتدل) ، في مقابل ضرب التيار السلفي المسمى بـ(الراديكالي) أو (الوهابي) والتضييق عليه في محاولة استئصاله ، والله سبحانه مظهر دينه ولو كره الكافرون.

على موقعها في الشبكة : "هناك أسلوبان للتعامل مع ظاهرة الفاشية الإسلامية : إما على المستوى الفكري ، أو العسكري ، وكلاهما مهم ".

الفصل الأول

مقدمات ضرورية

المقدمة الأولى : الكفر بالطاغوت – ومنه البراءة من الكفار – نصف التوحيد:

المقدمة الثانية : رضا الكفار لن يكون إلا باتباع ملتهم ، والزجر وقع على اتباع أهوائهم في قليل أو كثير:

المقدمة الثالثة : اللين والموعظة الحسنة لا يعني تغيير الشريعة بما يوافق هوى المدعو:

المقدمة الرابعة : أن الكلام بالباطل أعظم من السكوت عن الحق:

المقدمة الخامسة : أن الله سبحانه أكمل الدين وأتم النعمة:

المقدمة السادسة : في ما يجوز بذله للكفار وقت الضعف وما لا يجوز:

المقدمة السابعة : أن الجهاد شرع رحمة للعالمين:

المقدمة الثامنة : أن ترك الجهاد وقت الضعف لا يعني إلغاء التشريع:

المقدمة التاسعة : الصراع بين الحق والباطل واجب شرعاً دائم قدراً :

المقدمة العاشرة : أن الفترة المكية أشق من الفترة المدنية:

المقدمة الحادية عشرة : أن الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة :

المقدمة الثانية عشرة : أن الحق يقبل ممن أتى به :

المقدمة الثالثة عشرة : أن السابقة والفضل لا يعني ترك الباطل :

المقدمة الرابعة عشرة : أن مسائل الخلاف ينكر فيها:

المقدمة الخامسة عشرة : ذكر اللازم لبيان فساد القول جادة مطروقة :

المقدمة الأولى

الكفر بالطاغوت – ومنه البراءة من الكفار – نصف التوحيد

اعلم أن الكفر بالطاغوت نصف التوحيد ؛ إذ نصفه الآخر الإيمان بالله ، فلا بد من الأمرين للمؤمن ، كما قال تعالى (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**) ، وقال تعالى (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**) ، وقال تعالى (**والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى**) ، وكما جاء في صحيح مسلم مرفوعاً (**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه**) .

ومن الكفر بالطاغوت البراءة من الكفر وأهله وبغضهم ومعاداتهم ، كما قال تعالى (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[1]:

" أمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة والبغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله وحده " .

وقال أيضاً [2]:

" فقد أمرنا الله أن نتأسى بإبراهيم والذين معه إذ تبرءوا من المشركين ومما يعبدونه من دون الله ، وقال الخليل : (**إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين**) ، والبراءة ضد الولاية ، وأصل البراءة البغض ، وأصل الولاية الحب ، وهذا لأن حقيقة التوحيد ألا يحب إلا الله ويحب ما يحبه الله لله فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله" .

وقال القرطبي رحمه الله [1]:

---

[1] الفتاوى : ٨ / ٢٦٢ .

[2] الفتاوى : ١٠ / ٤٦٥ .

" قوله تعالى (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم**) لما نهى عز وجل عن موالاة الكفار ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وأن من سيرته التبرؤ من الكفار ، أي : فاقتدوا به وأتموا إلا في استغفاره لأبيه.. والآية نص في الأمر بالإقتداء بإبراهيم عليه السلام في فعله ، وذلك يصحح أن شرع من قبلنا شرع لنا فيما أخبر الله رسوله ، (**كفرنا بكم**) أي : بما آمنتم به من الأوثان ، وقيل : أي بأفعالكم وكذبناها وأنكرنا أن تكونوا على حق ، (**وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا**) : أي هذا دأبنا معكم مادمتم على كفركم ، (**حتى تؤمنوا بالله وحده**) فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة " .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى :

" يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**) أي : وأتباعه الذين آمنوا معه ، (**إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم**) أي : تبرأنا منكم ، (**ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم**) أي : بدينكم وطريقكم ، (**وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا**) يعني : وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم ، (**حتى تؤمنوا بالله وحده**) أي : إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد".

و قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [٢] :

"أصل الدين وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه .

الثاني : النهي عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ".

وقال أيضاً [١]:

---

[١] تفسير القطبي ١٨ / ٥٦ .

[٢] الدرر السنية : ٢ / ٢٢ .

"إن الإنسان لا يستقيم له دين – ولو وحد الله وترك الشرك – إلا بعداوة المشركين ، والتصريح لهم بالعداوة والبغض " .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله [٢]:

" وأجمع العلماء سلفاً وخلفاً ، من الصحابة ، والتابعين ، والأئمة ، وجميع أهل السنة :

أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر ، والبراءة منه ، وممن فعله ، وبغضهم ، ومعاداتهم ، بحسب الطاقة والقدرة ، وإخلاص الأعمال كلها لله ".

وقال أيضاً رحمه الله [٣]:

" ولهذا الأصل العظيم ، الذي هو ملة إبراهيم : شرع الله جهاد المشركين ، فقال : (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين**) (التوبة: ٣٦) ، وفي الحديث : " بعثت بالسيف ، بين يدي الساعة ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له " ومع هذا حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من الركون إليهم ، فقال : (**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً**) ، وقال تعالى : (**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**) الآية ... ولا ريب أن الله تعالى أوجب على عباده المؤمنين ، البراءة من كل مشرك ، وإظهار العداوة لهم ، والبغضاء ، وحرم على المؤمنين موالاتهم ، والركون إليهم".

وقال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمهما الله [٤] :

" إن الإسلام لا يستقيم إلا بمعاداة أهل هذا الشرك ؛ فإن لم يعادهم ، فهو منهم ، وإن لم يفعله " .

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى في اجتناب الطاغوت [٥]:

---

[١] الدرر السنية : ٣٣٨/٨.

[٢] الدرر السنية : ٥٤٥/١١.

[٣] الدرر السنية : ٢٦٦/٢ ، ٢٦٧ .

[٤] الدرر السنية : ٤٣٢/١ .

[٥] الدرر السنية : ١٠ / ٥٠٢ .

" والمراد من اجتنابه هو : بغضه ، وعداوته بالقلب ، وسبه وتقبيحه باللسان ، وإزالته باليد عند القدرة ، ومفارقته ، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق".

وهنا مسألتان مهمتان لا بد من التنبيه عليهما :

المسألة الأولى :

وهي مسألة عداوة الكفار ، فلا بد من التفريق بين ثلاثة أمور :

الأمر الأول :

وجود العداوة :

فهذا لا بد منه للمسلم ، فوجود عداوة الكفر وأهله في قلبه من مقتضيات الإيمان ، فإذا زال وجود هذه العداوة في القلب[1] فلم يبق لها أثر مطلقاً فهذا من (التولي المكفر) وهو ناقض من نواقض الإيمان ، ولا يمكن انتفاء عداوة الكفر وأهله في القلب بالكلية ووجود الإيمان فيه.

الأمر الثاني :

إظهار العداوة :

فهذا من واجبات التوحيد ، وشروط استقامة الإسلام ، فإذا لم تظهر هذه العداوة على الجوارح مع وجود أصلها في القلب فقد تكون كفراً ، وقد تكون من الموالاة الصغرى غير المكفرة (من المعاصي) ، وقد تكون جائزة من باب (التقية) بشروطها ، وكل هذا بحسب حال صاحبها ، ومكانه ، وعذره .

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله [2]:

"ومسألة إظهار العداوة ، غير مسألة وجود العداوة ، فالأول يعذر به مع العجز والخوف ؛ لقوله تعالى (**إلا أن تتقوا منهم تقاة**) ، والثاني لا بد منه ، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت ، وبينه وبين حب الله ورسوله تلازم كلي ، لا ينفك عنه المؤمن ، فمن عصى الله بترك إظهار العداوة ، فهو عاصٍ لله ، فإذا كان أصل العداوة في قلبه فله حكم أمثاله من العصاة ...وأما

---

[1] المقصود أصل العداوة ، وإلا فالعداوة قوة وضعفاً تتفاوت بين شخص وآخر ، بحسب الإيمان واليقين ومعرفة التوحيد .

[2] الدرر : ٨ / ٣٥٩ .

الثاني : الذي لا يوجد في قلبه شيء من العداوة فيصدق عليه قول السائل : لم يعاد المشركين ، فهذا هو الأمر العظيم ، والذنب الجسيم ، وأي خير يبقى مع عدم عداوة المشركين؟".

وقال أخوه الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن رحمه الله [1]:

"ولا يكفي بغضهم بالقلب ، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء ، قال تعالى (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**) ، فانظر إلى هذا البيان الذي ليس بعده بيان ، حيث قال : ﴿ **بدا بيننا** ﴾ أي ظهر، هذا هو إظهار الدين ، فلا بد من التصريح بالعداوة وتكفيرهم جهاراً والمفارقة بالبدن ، ومعنى العداوة : أن تكون في عَدْوَة ، والضدّ في عَدْوَة أخرى ، كان[2] أصل البراءة المقاطعة بالقلب واللسان والبدن ، وقلب المؤمن لا يخلو من عداوة الكافر ، وإنما النزاع في إظهار العداوة ؛ فإنها قد تخفى لسببٍ شرعي ، وهو الإكراه مع الاطمئنان ، وقد تخفى العداوة من مستضعف معذور عذره القرآن ، وقد تخفى لغرض دنيوي ، وهو الغالب على أكثر الخلق".

الأمر الثالث :

إلغاء العداوة :

والمقصود بهذا : تشريع (مودة الكفار) وتسويغها ، وإلغاء (عداوتهم) و (بغضهم) مطلقاً ، فهذا كفر وردة عن الإسلام ، بل هو أعظم من انتفاء أصل العداء والبغض في القلب ، لأن ذاك كفر لازم ، وهذا كفر متعدي ، مغير لشرع الله ، مناقض للنصوص المتواترة ، هادم للكفر بالطاغوت .

المسألة الثانية :

وهي في كيفية إظهار عداوة الكفار :

و يكون باتباع ما ورد في الكتاب والسنة في هذا ، ومن ذلك :

---

[1] الدرر : ٨ / ٣٠٥ .

[2] كذا في الأصل ، ولعل الصواب : كما أن .

ما إذا كان الكافر حربياً فإظهار عداوته بجهاده عند القدرة باللسان واليد والمال حتى يكون الدين كله لله ، فيدخل في الإسلام ، أو يلتزم بأحكام الإسلام والصغار ، أو يقتل غير مأسوف عليه .

وإن كان الكافر غير حربي : ذمي أو معاهد أو مستأمن : فإظهار عداوتهم باتباع ما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم في معاملتهم ، من عدم بدئهم بالسلام ، وترك تصديرهم في المجالس ، وترك التوسيع لهم في الطرق ، وعدم استعمالهم في أمور المسلمين ، وأن يلزموا بالصغار ، ومخالفة المسلمين في زيهم ، وركوبهم ، وغير هذا من الأمور المعروفة عند أهل العلم .

مع التزام المخالفة التامة للجميع في الهدي والزي ونحو ذلك مما سيأتي إن شاء الله في الفصل الرابع ، وفعل هذه الأمور كلها لا ينافي دعوتهم إلى الإسلام باللين والموعظة الحسنة ، فيدعوهم بذلك وقد أجرى عليهم أحكام الإسلام هذه ، كما أن قتال الكفار لا ينافي دعوتهم أيضاً ؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأمر قواده بعرض الإسلام على من يقاتلون من المشركين قبل بدئهم بالقتال .

المقدمة الثانية

رضا الكفار لن يحصل إلا باتباع ملتهم ، والزجر وقع في اتباع أهوائهم في قليل أو كثير

لقد ذكر الله سبحانه — ومن أصدق من الله قيلاً — أن اليهود والنصارى لن ترضى عن المسلمين إلا إذا اتبعوا ملتهم ودخلوا في دينهم ، وإن كانوا قد يفرحون بمداهنتهم واسترضائهم طمعاً فيما وراءه .

ومع ذلك : فقد رتب الله سبحانه الوعيد على مجرد اتباع أهوائهم فقط ولو لم يتبع ملتهم ، فقال تعالى (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير**) ، وقال تعالى في الآية الأخرى (**ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين)** .

فهم لا يرضون إلا باتباع (الملة) ، والله سبحانه توعد على مجرد اتباع (الهوى) ، وكل هذا لتأكيد المفاصلة بين المسلمين والكفار :

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى [1]:

"وليست اليهود – يا محمد – ولا النصارى براضية عنك أبداً ، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ؛ فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم" .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [2]:

" أخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا ، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم على بعض ، ثم جعل محمداً صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها

---

[1] تفسير ابن جرير : ١/٥٦٥ .

[2] اقتضاء الصراط المستقيم : ١/٨٥- ٨٧ .

له ، وأمره باتباعها ، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون ، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته .

وأهواءهم : هو ما يهوونه ؛ وما عليه المشركون من هديهم الظاهر ، الذي هو من موجبات دينهم الباطل ، وتوابع ذلك فهم يهوونه ، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه ، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ، ويسرون به ويودون أن لو بذلوا مالاً عظيماً ليحصل ذلك . ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها ، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره ، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه ، وأي الأمرين كان حصل المقصود في الجملة وإن كان الأول أظهر... وقد قال : (**ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم**) ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لأهوائهم ، بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك. ومن هذا أيضا قوله تعالى (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير**) .

فانظر كيف قال في الخبر (**ملتهم**) ، وفي النهي (**أهواءهم**) ؛ لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير ، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه كما تقدم" .

المقدمة الثالثة

اللين والموعظة الحسنة لا يعني تغيير الشريعة بما يوافق هوى المدعو

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فقال تعالى (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) .

وتفسير هذه الآية ونحوها من الآيات إنما يعلم بطريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة ، فهو الذي أنزلت إليه ، وهو أحرص الناس على طاعة ربه ، وأحرصهم على هداية الخلق ، وهو الذي أمر المسلمون بالإقتداء به .

يقول ابن جرير رحمه الله تعالى[1]:

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (**ادع**) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ، (**إلى سبيل ربك**) يقول : إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه ، وهو الإسلام ، (**بالحكمة**) يقول : بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك ، (**والموعظة الحسنة**) يقول : وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه ، وذكرهم بها في تنزيله ، كالتي عدّد عليهم في هذه السورة من حججه ، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه ، (**وجادلهم بالتي هي أحسن**) يقول : وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك".

وليس معنى الدعوة بالحسنى أن تحُرّف الشريعة أو تُغيّر على ما يوافق هوى المدعو ، فإن هذا من الكذب على الله تعالى ، بل المراد من ذلك تبليغ شريعة الله سبحانه كما جاءت وعرضها بالحكمة والرفق ، على درجات تبدأ بالحكمة وتنتهي بالسيف كما ذكرها أهل العلم ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب إلى أندية المشركين ومجامعهم ويدعوهم إلى الإسلام كما شرع ، ويعرضه كما نزل ، ولا يغير شريعة الله ، ولا بعضها ، ولا يحرف شيئاً مما

---

[1] تفسير ابن جرير : ٦٦٣/٧ .

نزل إليه من أجل إرضاء أحد ممن يدعوهم ، بل هو مبلغ عن ربه ، يؤدي ما أمره الله تعالى به ، كما قال تعالى (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**) ، وكما في قوله تعالى (**فاصدع بما تؤمر**) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [1]:

"ومما جاء به الرسول أمر الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى (**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) ، وقال تعالى (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**) ، وقال تعالى (**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**) ، ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ، ولم يكتم منها شيئاً ، فإن كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة ، كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ، ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة ، كما أنه معصوم من الكذب فيها ، والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله وبين ما أنزل إليه من ربه".

بل قد قال الله سبحانه عن نبيه صلى الله عليه وسلم (**ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين**) :

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى على هذه الآية [2]:

" ليبين سبحانه أنه ينتقم ممن يكذب في الرسالة كائناً من كان وأنه لو قُدّر أنه غير الرسالة لانتقم منه".

وكما أن الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بالتبليغ عن ربه ، فإن المسلم مأمور بالتبليغ عن الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً كما قال صلى الله عليه وسلم (**بلغوا عني ولو آية**) ، وقال (**رحم الله من سمع مني حديثا فأداه كما سمعه**) .

ومن الدعوة باللين ما جاء في قوله تعالى عن موسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون (**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**) ، وهذا القول اللين هو دعوتهما لفرعون إلى التوحيد وترك الكفر ؛ باللين والرفق ، وليس معناه قول بعض ما يهوى فرعون !! ، وقد قص الله

[1] الفتاوى : ٥ / ١٥٥ .

[2] الاستغاثة ٢/ ٤٦٤ .

سبحانه دعوة موسى لفرعون ومجادلته إياه في القرآن في مواضع كثيرة ، وبالنظر إليها نعرف المقصود من (اللين) المطلوب في الدعوة ؛ فانظر مثلاً إلى الآيات التي في سورة طه — بعد أمر الله سبحانه لهم بأن يقولا له قولاً ليناً — :

قال تعالى (**فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ، إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ، قال من ربكما يا موسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى**) الآيات .

فلم يكن ثمّ تنازل أو إرضاء لفرعون في دعوته بـ(اللين) ، بل هي دعوة إلى التوحيد ، وتحذير من الشرك ، وبيان ما أعده الله سبحانه للمشركين من عذاب ، كما أوحى الله إليهم ، بلا تغيير أو تبديل.

المقدمة الرابعة

أن الكلام بالباطل أعظم من السكوت عن الحق

اعلم أن السكوت عن بيان بعض الحق ، أو كتمانه بدون إظهار الباطل ، أو مع إظهار الباطل ، على أربع مراتب :

المرتبة الأولى :

أن يكون ترك بيان بعض الحق بقصد التدرج في الدعوة أو التعليم ، لا بقصد الكتمان ، فهذا جائز ، بل هو الذي عليه العمل ولا يمكن غيره ؛ إذ لا يمكن أن يتعلم أحد جميع أمور الدين مرة واحدة ، بل لا بد من التدريج ، فيعلم أصول الإسلام شيئاً فشيئاً ، سواء كان المتعلم من الكفار الذين يدعون إلى الإسلام ، أو من المسلمين الذين يتعلمون أمور الدين ، ويدل عليه ما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال : (إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم) .

ويدل عليه أيضاً سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه ، وتلقين من أسلم أصول الإسلام ، وتدرجه معهم في ذلك ، ويدل عليه تواتر عمل أهل العلم على ذلك إلى هذا الوقت .

المرتبة الثانية :

أن يكون ترك بيان بعض الحق على سبيل الكتمان للمصلحة وخوف الفتنة ، فهذا يجوز إذا كان العلم به مما لا يتوقف عليه عمل ولا يحتاجه الناس في عباداتهم وأعمالهم ، كأخبار الفتن أو فضائل الأعمال ونحوها مما لا يترتب على الجهل بها فساد في الدين .

ويدل عليه ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : (حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى [1] :

"وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم ، كقوله (أعوذ بالله من رأس الستين) يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية ؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها".

وقال مكحول رحمه الله : كان أبو هريرة يقول : رب كيس عند أبي هريرة لم يفتحه ، قال الذهبي رحمه الله تعالى في الكلام على هذا [2] :

" قلت : هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول أو الفروع ، أو المدح والذم ، أما حديث يتعلق بحل أو حرام فلا يحل كتمانه بوجه ؛ فإنه من البينات والهدى ، وفي صحيح البخاري قول الإمام علي رضي الله عنه : (حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله) ، وكذا لو بث أبو هريرة ذلك الوعاء لأوذي بل لقتل".

وكما قال تعالى (**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يعلنهم الله ويلعنهم اللاعنون**) .

فمفهوم هذه الآية يدل على أن ما كان من العلم ليس كذلك – أي ليس من البينات والهدى – فإنه يجوز كتمانه بحسب المصلحة .

يقول القرطبي رحمه الله تعالى على هذه الآية [3] :

"لما قال (**من البينات والهدى**) دل على أن ما كان من غير ذلك جائز كتمه ، لاسيما إن كان مع ذلك خوف فإن ذلك آكد في الكتمان ، وقد ترك أبو هريرة ذلك حين خاف فقال : (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) أخرجه البخاري ، قال أبو عبد الله : البلعوم مجرى الطعام ، قال

[1] الفتح : ١ / ٢١٦ .
[2] السير : ٢/٥٩٧ .
[3] تفسير القرطبي : ٢ / ١٨٤-١٨٦ .

علماؤنا : وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن ، والنص على أعيان المرتدين والمنافقين ، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى والله تعالى أعلم".

ويقول الشاطبي رحمه الله تعالى [1]:

" ومن هذا يعلم أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علماً بالأحكام ، بل ذلك ينقسم ؛ فمنه ما هو مطلوب النشر : وهو غالب علم الشريعة ، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق ، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حالٍ أو وقتٍ أو شخصٍ- ثم ذكر أمثلة مع الأدلة وقال - إلى غير ذلك مما يدل على أنه ليس كل علم يبث وينشر وإن كان حقاً ، وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلماً ما تكلم فيها ولا حدث بها ، وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل ، وأخبر عمن تقدمه أنهم كانوا يكرهون ذلك ، فتنبه لهذا المعنى" .

المرتبة الثالثة :

أن يكتم الحق الواجب إظهاره وبيانه ، ولكنه لا يظهر بدلاً منه الباطل ، فهذا محرم ، ومتوعد عليه ، وقد يكون كفراً في حالات ، وكبيرة من كبائر الذنوب في حالات أخرى ، و توعد الله من كتمه أشد الوعيد ، كما في الحديث (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) .

وكما قال تعالى (**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يعلنهم الله ويلعنهم اللاعنون**) .

وفي هذه الآية دليل على ما لا يجوز كتمانه من العلم ، وما يجوز ، من جهة المنطوق والمفهوم :

فترتيبه سبحانه الوعيد على الذين (**يكتمون ما أنزل من البينات والهدى**) يدل على أن أصول الدين وما أنزله الله من الهدى وما يحتاجه الناس لا يجوز كتمانه بحال من الأحوال وهو المتوعد عليه .

[1] الموافقات : ٥ / ١٦٧ – ١٧٢ .

ويدل مفهوم هذه الآية على أن ما كان من العلم ليس كذلك فإنه يجوز كتمانه بحسب المصلحة كما سبق في المرتبة الثانية.

يقول القرطبي رحمه الله [1]:

" فهي عامة في كل من كتم علماً من دين الله يحتاج إلى بثه وذلك مفسر في قوله صلى الله عليه وسلم (من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) ".

ويستثنى في مثل هذا حالة الاستضعاف التي يعذر فيها ، فلا يقدر على إظهار الحق ، كأن يكون بين ظهراني الكفار ، ولا يقدر على بيان الحق ، ولا على الهجرة ، فهو من المستضعفين الذين عذرهم الله سبحانه ، كمؤمن آل فرعون في قوله تعالى (**وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه**) ، وكامرأة فرعون ، والنجاشي ، والمستضعفين من المسلمين الذين لم يهاجروا كما في قوله تعالى (**إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا**) .

المرتبة الرابعة :

أن يضيف إلى كتمان الحق إظهار الباطل ، فهذا أشد من الذي قبله ، لأن الذي قبله كتم للحق بدون إظهار باطل ، وهذا جمع بين الأمرين ، وإذا كانت المسألة في أصول الدين فإنها تؤدي إلى الردة ، ولا يباح مثل هذا الشيء إلا في الحالة التي يباح فيها الكفر كالإكراه .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى [2]:

"فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه ، ولكن إن أمكنه بلسانه ، وإلا فبقلبه ، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ؛ إما أن يظهر دينه ، وإما أن يكتمه ، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله ، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون ، وهو لم يكن موافقا لهم على جميع دينهم ، ولا كان يكذب ، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، بل كان يكتم إيمانه ، وكتمان الدين شيء ،

---

[1] تفسير القرطبي : ٢ / ١٨٤- ١٨٦ .

[2] منهاج السنة : ٦ / ٤٢٤ – ٤٢٥ .

وإظهار الدين الباطل شيء آخر ، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره ؛ بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر ، والله تعالى قد فرق بين المنافق والمكره ، والرافضة حالهم من جنس حال المنافقين لا من جنس حال المكره الذي أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ؛ فإن هذا الإكراه لا يكون عاما من جمهور بني آدم ، بل المسلم يكون أسيرا أو منفردا في بلاد الكفر ولا أحد يكرهه على كلمه الكفر ، ولا يقولها ، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، وقد يحتاج إلى أن يلين لناس من الكفار ليظنوه منهم ، وهو مع هذا لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، بل يكتم ما في قلبه ، وفرق بين الكذب ، وبين الكتمان ، فكتمان ما في النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله في الإظهار كمؤمن آل فرعون ، وأما الذي يتكلم بالكفر فلا يعذره إلا إذا أكره " .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى [1]:

" إن المحرمات قسمان :

أحدهما : ما يقطع بأن الشرع لم يبح منه شيئاً ؛ لا لضرورة ولا لغير ضرورة : كالشرك ، والفواحش ، والقول على الله بغير علم ، والظلم المحض : وهي الأربعة المذكورة في قوله تعالى : (**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**) .

فهذه الأشياء محرمة في جميع الشرائع ، وبتحريمها بعث الله جميع الرسل ، ولم يبح منها شيئاً قط ، ولا في حال من الأحوال ؛ ولهذا أنزلت في هذه السورة المكية ونفي التحريم عما سواها" .

[1] الفتاوى : ١٤ / ٤٧١ .

المقدمة الخامسة

أن الله سبحانه أكمل الدين وأتم النعمة

فإن الله سبحانه وتعالى قال : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) .

قال ابن كثير رحمه الله [1] :

"هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف ، كما قال تعالى (**وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا**) أي : صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأوامر والنواهي ، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ؛ ولهذا قال تعالى (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) أي : فارضوه أنتم لأنفسكم ؛ فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه ، وبعث به أفضل الرسل الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : قوله (**اليوم أكملت لكم دينكم**) وهو الإسلام أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً" .

فالدين هو ما توفي عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقد كمل ، وسار عليه أصحابه رضوان الله عليهم ، لا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا شرع إلا ما جاء به ، فمن زاد فيه أو نقص أو حرّف فقد افترى على الله الكذب .

والمقصود :

أن هناك طائفة خرجت في هذا الزمان ابتليت بهزيمة نفسية أمام الكفار ، فصارت تحرف النصوص وتزيد في الشرع أو تنقص منه أو تغير فيه بحجة (تحسين صورة الإسلام في عيون

---

[1] تفسير ابن كثير : ٢ / ١٣ .

الكفار) ، كإنكار الجهاد ، أو أحكام أهل الذمة ، أو معاداة وبغض الكفار وأحكام الردة ، أو بعض أحكام النساء ، أو يزعمون أن (الاشتراكية) أو (الديمقراطية) و نحوها جاء بها الإسلام ، ونحو هذه الأمور ، وهذا باطل ، بل قد يؤدي إلى الكفر من جهتين :

الجهة الأولى : من جهة التشريع في الدين ما لم يأذن به الله[1] ، والكذب على الله تعالى إن كان من باب الزيادة ، أو جحد المعلوم من الدين بالضرورة إن كان من باب النقص.

والجهة الثانية : من جهة القدح بالله سبحانه وتعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يكمل الدين ، ولم يتم النعمة ، حتى احتاج إلى (زيادة في التحسين) !.

قال الإمام مالك رحمه الله : " من ابتدع بدعة في الدين يراها حسنة ، فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ؛ لأن الله يقول (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) ، وما لم يكن يومئذ دينا فليس اليوم دينا".

و(تحسين صورة الإسلام) قد يراد بها أحد أمرين :

الأول : عرض دين الإسلام كما جاء ، من غير تحريف ، ولا زيادة ، ولا نقصان ، بصورة قد يراها أحسن عند المدعو ؛ كأن يفيض في الدعوة بذكر صلة العبد بربه في الصلاة والذكر والدعاء ، أو يذكر بعض الجوانب الاجتماعية من دين الإسلام كبر الوالدين وصلة الأقارب والقيام بحقوق الجيران وتواد المسلمين وتراحمهم ونحو ذلك ، بحيث يتكلم بحق ، ولكنه لا يأتي بباطل ، كإنكار قتال الكفار مثلاً ، أو أحكام أهل الذمة ، أو عقيدة الولاء والبراء ، ونحو ذلك ، ومنه أيضاً أن يقول عن الجهاد: إنه شرع رحمة للعالمين ورغبة في هدايتهم لينقذهم من الكفر وينقلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة ، فمثل هذا يجوز وهو الذي يستدل عليه بقوله تعالى (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) ، فإن من الكفار من تستهويه الروحانيات ، ومنهم من تستهويه الجوانب الاجتماعية ، ونحو

---

[1] وهنا فرق بين المبتدع وبين من يريد (تحسين صورة الإسلام) ؛ فإن المبتدع له شبه من الكتاب أو السنة يحتج بها ، ولا يريد من وراء ذلك إكمال الدين ، أما أصحاب (تحسين صورة الإسلام) فإنهم يقرون بأن هذا جاء به الإسلام ، ولكن (ضرورة تحسين صورة الإسلام) تجعلهم إما ينكرونها أو يعدلون فيها فيزيدون أو ينقصون!!.

هذا ، فيدعى كل بحسبه ، بصورة تحببه إلى دين الإسلام ، من غير تغيير في الشرع أو زيادة أو نقصان .

الثاني : أن يغيّر في الشرع ، فيزاد فيه كالديمقراطية أو الاشتراكية ، أو ينقص كالبراء من الكفار أو أحكام أهل الذمة أو أحكام النساء أو الحدود ، بحجة تحبيب الكفار في دين الإسلام ، فهذا هو الباطل الذي تكلمنا عليه آنفاً .

واعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده أصحابه هدى الله على أيديهم أمماً لا يحصيهم إلا هو من الفرس والروم والقبط وغيرهم بدون تحريف للشرع أو افتراء على الله ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وهنا مسألة قد ترد :

وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ورد عنه أنه قبل إسلام بعض الكفار على شرط ترك بعض الشرائع .

والجواب عن ذلك : أن قبول الشرط الفاسد إذا اشترطه الكافر ليسلم شيء ، وعرض الإسلام على ذلك الشرع الفاسد شيء آخر ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما عرض الإسلام كما نزل عليه ، ولم ينقص منه ، ولم يغير فيه من أجل أن يقبل به المشركون ، ولأن المشركين عرفوا الإسلام كما جاء اشترطوا هذا الشرط ، وأما قبوله لإيمان بعضهم على شرط فاسد فهو من باب آخر غير ما نحن فيه ، قال ابن رجب رحمه الله [1] :

" قد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل من قوم الإسلام واشترطوا أن لا يزكوا ، ففي مسند الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال : اشترطت ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سيصّدقون ويجاهدون) ، وفيه أيضاً عن نصر بن عاصم الليثي عن رجل منهم أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم على أن لا يصلي إلا صلاتين ، فقبل منه .

---

[1] جامع العلوم والحكم : ١ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وقد بوّب المجد ابن تيمية على ذلك في منتقى الأخبار فقال : باب صحة الإسلام مع الشرط الفاسد ، وروى فيه عدداً من الأحاديث منها الأحاديث التي ذكرها ابن رجب رحمه الله ، وانظر كلام الشوكاني رحمه الله فيها (نيل الأوطار) ٨ / ١٢ وما بعدها .

وأخذ الإمام أحمد بهذه الأحاديث ، وقال : يصح الإسلام على الشرط الفاسد ، ثم يلزم بشرائع الإسلام كلها . واستدل أيضاً بأن حكيم بن حزام قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر إلا قائماً ، قال أحمد : معناه أن يسجد من غير ركوع".

والمقصود هنا أن هذا باب آخر غير الذي نحن فيه ، فمسألتنا في عرض الإسلام كما جاء من غير تحريف فيه ولا تغيير ، وهذه مسألة قبول إسلام الكافر على شرط فاسد .

المقدمة السادسة

في ما يجوز بذله للكفار في وقت الضعف وما لا يجوز

اعلم أنه يجوز للمسلمين[1] حال ضعفهم من التصرف مع الكفار إذا تسلطوا عليهم لكف شرهم ما لا يجوز لهم حال قوتهم ، والمقصود هنا حال الضعف لا حال الإكراه[2] ، إلا أن هذا التصرف مضبوط بالشرع وليس تصرفاً مطلقاً .

فينقسم هذا التصرف إلى قسمين :

القسم الأول :

ما لا يجوز بذله للكفار مطلقاً :

وهو كل ما يتعلق بأمور الشريعة وأصول الدين مما يكون حكم فعله أو حكم تركه كفراً ، كالذي يتعلق بأصول الدين من توحيد ، أو كفر بالطاغوت ، أو براءة من الكفار ، أو ما

---

[1] وكلامنا هنا على المسلمين المتميزين عن الكفار ببلادهم ، أما المسلمون الذين يقيمون بين ظهراني الكفار ولا يقدرون على الهجرة ولا على إظهار دينهم فلهم حكم آخر من جواز التقية بكتمان دينهم عند الخوف من الكافرين ، ولكن لا يجوز لهم إظهار الباطل من موافقة الكفار على كفرهم إلا في حالة الإكراه ، وقد تقدم الكلام على هذا في المقدمة الرابعة .

[2] ومسألة الإكراه مسألة طويلة لها ذيول ، فهناك مسائل تحتاج إلى بحث موسع وتأصيل ، منها :

الفرق بين حالة الإكراه الفردي ، والإكراه الجماعي : كإكراه أهل بلد مثلاً على الكفر ، فإن هؤلاء ليس لهم رخصة في الامتثال ؛ للإجماع المنعقد بأن العدو إذا داهم بلداً فإنه يجب عليهم مدافعته ولا يكون ذلك إلا بقتالهم له ، وأشد حالات الإكراه هو القتل ، فإذا كانت مدافعة الكفار عن البلد تجب بالإجماع ، فوجوب مدافعته عن الدين من باب أولى ، ولأن الرخصة في مثل هذا يؤدي إلى الردة الجماعية وتغيير الدين ؛ وقد قال تعالى **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** ، ولم يرخص في الكفر لاجتناب القتال من ذوي الشوكة .

وكذلك الفرق بين حالة الإكراه الآني الوقتي الذي يزول ، والإكراه الدائم : فإن الإكراه الدائم يؤدي إلى زوال الدين بالكلية ، ولا شك أن عدم الرخصة في ذلك متجه، وقد أفتى بعض أهل العلم كالإمام أحمد بأن الأسير الذي في يد العدو لا يرخص له بالكفر إذا أكره لهذا الملحظ .

وكذلك مسألة ما يقع به الإكراه المبيح للكفر ، وما لا يقع .

وهذه المسائل تحتاج إلى مزيد بحث وتحرير .

يتعلق بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة أو الجهاد ونحو ذلك[1] ، فلا يجوز بذل شيء من هذا إلا في حال الإكراه[2] .

والقاعدة في هذا : أن ما لا يبيحه إلا الإكراه فلا يجوز بذله في وقت الضعف مطلقاً .

لأن هذه الأمور كفر وردة عن دين الإسلام ، وما كان كذلك فلا مبيح له إلا في الحالة التي يجوز فيها الكفر ، وهو الإكراه.

والدليل على هذا سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه في (مكة) فإنهم كانوا في حالة ضعف شديد ، وقد تسلط عليهم الكفار ، فأرهقوهم بالقتل والحبس والتشريد والتعذيب وغير ذلك مما هو معلوم مشهور ، ومع هذا كله لم يتنازل المسلمون عن شيء من عقائدهم وشرائعهم ، ولم يبح لهم ذلك ، ولو فعلوا لكفوا شر كفار مكة عنهم ، بل نزل قوله تعالى (**فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون**) في تلك الفترة ، فنهاه عن مجرد الادهان ومصانعة الكفار – وهو بالكلام في الغالب – ، وسيأتي مزيد تفصيل من هذا في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

القسم الثاني :

ما يجوز بذله :

وهو ما دون ذلك من أمور الدنيا ونحوها ، كبذل مالٍ أو ثمرٍ ونحوه للكفار لكف شرهم عن المسلمين ، كما ورد في السيرة في قصة الخندق لما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن و إلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهم ، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك ، فلما

---

[1] ومن ذلك التزام تشريع طاغوتي : يحرم ما أحل الله ، أو يحل ما حرم الله ، أو يبدل شرع الله ، ولو كان فعله مجرداً عن التزام التشريع ليس كفراً ، ومنه الامتناع عن شيء من شرائع الإسلام الظاهرة ، وهو المقصود بقولي : ما يتعلق بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والجهاد ، ولذا يجب التفريق بين ترك الجهاد في وقت الضعف لعدم القدرة مع الإقرار بمشروعيته فهذا جائز ، وبين إلغائه أو التزام تشريع يحرمه فهذا كفر ، ويجب التفريق بين ترك الزكاة بخلاً بها فهذه كبيرة عند الجمهور ، وبين تركها التزاماً بتشريع طاغوتي فهذا كفر .

[2] وهذا الإكراه بالنسبة للفرد ، أما الأمة فلا ، كما سبق في الحاشية الثانية من الصفحة السابقة.

أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه؟ ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ ، أم شيئاً تصنعه لنا؟ ، قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، أ فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا[1] .

قال أبو عبيد رحمه الله [2]:

"لو خاف من العدو استعلاء فاحتاج إلى أن يتقيهم بمالٍ يدرؤهم به عن المسلمين فعل ذلك ، كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب".

ويدخل في هذا أيضاً :

ما كان من أمور الدين إلا أن تركه لا يحتوي على مفسدة ، مثل ما ورد في الصحيحين من قصة الحديبية وفيه أن سهيل بن عمرو جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : هات ، أكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم . قال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم . ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك

---

[1] على أن من الفقهاء من لا يجيز الصلح ببذل مال للكفار !! ولعلهم لا يصححون هذه القصة لورودها بسند مرسل ، قال في المغني ٩ / ٢٣٩ : " وأما إن صالحهم على مال نبذله لهم ، فقد أطلق أحمد القول بالمنع منه ، وهو مذهب الشافعي ؛ لأن فيه صغاراً للمسلمين " .

[2] الأموال : ص ١٧٦.

عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب محمد بن عبد الله .

فإن ترك الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض البسملة ، ووصف الرسالة ، ليس فيه مفسدة شرعاً ، وليس هناك دليل على وجوب كتابة هذه الأمور ، أو تحريم تركها ، وكذلك فهو لم يضع بدلاً منها باطلاً ، قال النووي رحمه الله تعالى على هذا الحديث [1]:

" قال العلماء : وافقهم النبي صلى الله عليه وسلم في ترك كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) وأنه كتب (باسمك اللهم) ، وكذا وافقهم في (محمد بن عبد الله) وترك كتابة (رسول الله) صلى الله عليه وسلم ، وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلينا دون من ذهب منا إليهم ، وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح ، مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور ، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد ، وكذا قوله : محمد بن عبد الله هو أيضا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ، ولا في ترك وصفه أيضاً صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها ، فلا مفسدة فيما طلبوه .

وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك ، وأما شرط رد من جاء منهم ومنع من ذهب إليهم فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة فيهم في هذا الحديث بقوله (من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا)[2] ، ثم كان كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ فجعل الله للذين جاءونا منهم وردهم إليهم فرجا ومخرجا ولله الحمد ، وهذا من المعجزات ".

---

[1] شرح النووي لصحيح مسلم : ١٢ / ١٣٩ ، ١٤٠ .

[2] انظر الكلام على هذا الشرط بالتفصيل – إن شئت – في الجواب على الشبهة الثانية من الفصل الثالث من كتاب (التبيان في كفر من أعان الأمريكان).

المقدمة السابعة

أن الجهاد شرع رحمة للعالمين

اعلم أن الله سبحانه فرض الجهاد في سبيله على هذه الأمة ، فورد في القرآن أكثر من مائة آية عن هذا الأمر ، وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، بالإضافة إلى ما اشتهر من سيرته ومغازيه وسراياه ، وسيرة أصحابه من بعده ، وتواتر عليه عمل المسلمين في تاريخهم ، وتناقله العلماء في كتبهم .

قال الشوكاني رحمه الله [1]:

"أما غزو الكفار ، ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام ، أو تسليم الجزية ، أو القتل ، فهو معلوم من الضرورة الدينية ، ولأجله بعث الله رسله ، وأنزل كتبه ، وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ بعثه الله سبحانه إلى أن قبضه إليه جاعلاً لهذا الأمر من أعظم مقاصده ، ومن أهم شئونه ، وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ، ولا لبعضها ، وما ورد في موادعتهم أو تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ بإجماع المسلمين".

وليس المقصود هنا استقصاء الأدلة على هذا ، ولا ذكر شيء منها ، بل المقصود منها بيان أن الجهاد إنما شرع رحمة للعالمين ؛ فإن الله سبحانه من رحمته بخلقه شرع الجهاد ليخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، فيحصل لهم بهذا خير الدنيا والآخرة ، كما ورد في المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل) ، وفيه عن أبي هريرة في قوله تعالى (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) قال : (خير الناس للناس ، يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام) .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة في مكة بدون قتال ، فما آمن معه إلا قليل ، فلما هاجر إلى المدينة وشرع الجهاد لم يمض عشر سنوات إلا وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وفي هذا يقول الشاعر :

---

[1] السيل الجرار : ٥١٨/٤ ، ٥١٩.

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب *** وقد لان منه جانب وخطاب

فلما دعا والسيف صلت بكفه *** له أسلموا واستسلموا وأنابوا

ثم حمل الراية من بعده أصحابه رضوان الله عليهم فجاهدوا في الله حق جهاده ، ولم يمض القرن الأول – ولا يزال جيل الصحابة لما ينقرض – إلا وراية الإسلام ترفرف على مشارق الأرض ومغاربها ، من الأندلس غرباً ، حتى حدود الصين شرقاً ، ودخلت (بالسيف) أمم لا يحصيهم إلا الله سبحانه في دين الإسلام من : الروم ، والفرس ، والقبط ، والبربر ، والفرنجة ، والسند ، والهند ، والزنج ، والنوبة ، وغيرهم ، فأنقذ الله سبحانه هذه الأمم من ظلمة الكفر في الدنيا ، ومن عذاب جهنم في الآخرة ، بسبب الجهاد في سبيله .

بل وحمل العلم بعد جيل الصحابة كثير من أبناء هذه الأمم ، فكان كثير من كبار التابعين وتابعيهم منهم ، فانظر كيف أعزهم الله بالجهاد في الدنيا قبل الآخرة ؟! [1] .

---

[1] وقد كنت أظن أن نشر الإسلام إنما يكون بجهاد الطلب فقط ، ولكنني بعد أن رأيت آثار ضرب أمريكا أو ما يسمى بـ(غزوة سبتمبر) – وهو من جهاد الدفع لأنه دفع للظالم المعتدي – تغير هذا الظن ؛ فقد تضاعف عدد الداخلين في الإسلام في أمريكا بعد هذه الغزوة – كما صرحت به مجلة نيوزويك– وتضاعف عدد الداخلين في الإسلام في غيرها من الدول ، ونفدت نسخ ترجمة القرآن في فرنسا وبريطانيا ، وزاد عدد المقبلين على المراكز الإسلامية في أوربا وأمريكا واليابان وغيرها من الدول حسب ما صرح به عدد من القائمين على هذه المراكز ، وأخبرني بعض الدعاة في أفريقيا أن الإسلام قد انتشر فيها بعد هذه الغزوة بشكل عجيب ، وخصوصا بين القساوسة !!.

المقدمة الثامنة

أن ترك الجهاد وقت الضعف لا يعني إلغاء التشريع

اعلم أن ترك الجهاد على ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

أن يكون تركه لعدم القدرة عليه ، فهذا مسقط للفرض ، ولكن يجب الانتقال إلى البدل وهو الإعداد للجهاد ، قال شيخ الإسلام رحمه الله [1] :

"يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

وهنا لابد من التنبيه على ثلاث مسائل :

المسألة الأولى :

أن ترك الجهاد وقت الضعف إنما هو لعدم الاستطاعة ، كباقي الواجبات تماماً [2] ، وذلك لأن الله تعالى يقول (**فاتقوا الله ما استطعتم**) ، وكما في المتفق عليه مرفوعا (**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**) ، فجاء سقوط الجهاد مع عدم القدرة على وفق قاعدة الشريعة (**لا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة** [3]) ، وليس هذا لأننا في (فترة مكية)

---

[1] الفتاوى ٢٨ / ٢٥٩ .

[2] فالصلاة مثلاً : من لم يقدر فيها على القيام سقط إلى الجلوس ، ومن لم يقدر على ذلك سقط إلى الاضطجاع ، ومن لم يقدر على ذلك سقط إلى الإيماء ، ومن لم يقدر على الإيماء فعلى قولين لأهل العلم ، ورجح شيخ الإسلام سقوطها مطلقاً لأنها آخر القدرة .

والزكاة لا تجب إلا على المقتدر ، والحج كذلك ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : يجب باليد مع القدرة –كما في حديث أبي سعيد – فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه .

وهكذا في بقية الواجبات ، ولم يحل أحد هذه الواجبات عند عدم القدرة عليها إلى ما قبل مشروعيتها !!، والجهاد من جنس هذه الواجبات ، وهو داخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً ، فليس لأحد أن يلغي مشروعيته.

[3] المحرم تبيحه الضرورة في الجملة ، ولكن هناك من المحرمات ما لا تبيحه الضرورة ، ولا يبيحه إلا الإكراه كالشرك ، والقول على الله بلا علم ، وقد سبق ذكر كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في هذا في آخر المرتبة الرابعة من المقدمة الرابعة (الكلام بالباطل أعظم من السكوت عن الحق) فراجعه إن شئت.

كما يزعم البعض ! ؛ فإن التشريع قد اكتمل والنعمة قد أتمها الله سبحانه ، ولم يمت النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد بين كل شيء نحتاجه في أمور ديننا ، ويلزم من قولهم إننا في (الفترة المكية) لوازم منها :

أولاً : أن يزعم أننا أمرنا بكف الأيدي مطلقاً ، حتى عن جهاد الدفع ، و دفع الصائل ، لأن الصحابة في (الفترة المكية) أمروا بكف الأيدي ، وجهادهم في مكة – لو كان – إنما هو عن أنفسهم ، وهذا لم يقله أحد — على حسب علمي — ، ولا أظن أحداً ممن يقول إننا في فترة مكية يقول بهذا! .

ثانياً : أن يزعم أن جميع المسلمين في جميع البلدان مأمورون بكف الأيدي أيضاً ، بما فيهم من في (فلسطين) و (الشيشان) و (كشمير) وغيرها من بلاد الإسلام التي يجاهد فيها المسلمون المعتدين ؛ لأن الضعف عام في المسلمين ، ولا أظن أحداً يقول بهذا[1] ! .

ثالثاً : أن يجوز لنا أن نلغي تشريع الجهاد وننكره !! لأنه لم يشرع في مكة ونحن في فترة مكية ، وهذا باطل .

رابعاً : أن تكون أحكامنا (مكية) فلا صلاة أو زكاة أو صوم أو حج ، ولا تحريم خمر ، ولا وجوب حجاب على النساء ، وغيرها من الأحكام التي فرضت في المدينة .

المسألة الثانية :

---

[1] يقول أحدهم : إن الجهاد في (فلسطين) من أعظم أنواع الجهاد ، والجهاد في (الشيشان) سذاجة !! .

فيقال له : ما الفرق بين الجهادين ؟ .

فأي كلام يستدل به على جهاد فلسطين فإنه يلزمه في الشيشان ، وأي كلام يقدح به في جهاد الشيشان فإنه يلزمه في فلسطين .

فالبلدان مسلمان ، واعتدي عليهما من اليهود والنصارى ، ويجاهد فيهما مسلمون ، وجهادهم جهاد دفع ، والمسلمون في البلدين مستضعفون ، والكفار ظاهرون ، ومعهم آلات الدمار ، بل وتزيد الشيشان على فلسطين بأمرين وهما : إن الراية فيها إسلامية واضحة بخلاف فلسطين فقد اختلطت فيها الرايات ، وتسليح الشيشان أفضل من تسليح الفلسطينيين المحاصرين من كل الجهات !! .

أن الذي يسقط لعدم القدرة عليه زمن الاستضعاف هو (جهاد اليد) ، أما (جهاد اللسان) فإنه باق لا يسقط ، وقد كان هو جهاد النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وغيرها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [1] :

" فكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده ؛ فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً ، قال تعالى في سورة الفرقان – وهي مكية – (**فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً**) ، وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ، ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد ، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم ؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار ، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ، ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال ، وأما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره".

المسألة الثالثة :

أن وجود الفعل المطلوب من العبد لا بد له من أمرين : أن يكون قادراً عليه ، و مريداً له ، فإذا وجدت القدرة التامة ، والإرادة الكاملة ، فلا بد أن يوجد الفعل ، وإذا تخلف الفعل فلتخلف أحد هذين الأمرين : إما القدرة ، وإما الإرادة .

وتخلف القدرة مع وجود الإرادة هو ما يسمى بـ(العجز) ، وتخلف الإرادة مع وجود القدرة هو ما يسمى بـ(الكسل) ، وقد تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم منهما في دعائه المشهور (وأعوذ بك من العجز والكسل) ، و العذر الشرعي هو في (عدم القدرة) لا في (عدم الإرادة) .

والمقصود هنا التنبيه إلى أن بعضهم قد توجد عنده (القدرة) و لكن تنقصه (الإرادة) فيعتذر بالعجز ، وعذره في الحقيقة الكسل ، وهو المراد في :

---

[1] الجواب الصحيح : ١ / ٢٣٧ .

القسم الثاني :

وهو من ترك الجهاد كسلاً وركوناً إلى الدنيا ونحو ذلك مع قدرته عليه ، فهذا محرم ، ومتوعد عليه :

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله [1] :

" الكبيرة التسعون ، والحادية والتسعون ، والثانية والتسعون بعد الثلاثمائة :

" تركُ الجهاد عند تعيُّنه بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخَذَ مسلماً وأمكن تخليصه منهم ، ترْك الناس الجهاد من أصله ، ترك أهل الإقليم تحصينَ ثغورهم بحيث يُخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين " .

و قال :

" عدُّ هذه الثلاثة ظاهرٌ ؛ لأن كل واحد منها يحصل به من الفساد العائد على الإسلام وأهله ما لا يُتَدارك خَرْقُهُ ، وعليها يُحمل ما في هذه الآية والأحاديث من الوعيد الشديد فتأمَّلْ ذلك فإني لم أر أحداً تَعرّض لعد ذلك مع ظهوره".

بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن ترك الجهاد دائماً مع القدرة عليه خروج من الدين استدلالاً بنحو قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) .

قال الكتاني رحمه الله – بعد أن ساق بعض أحاديث الوعيد على ترك الجهاد – [2]: "وذكر الدمياطي وابن النحاس وغيرهما أن ترك الجهاد في جميع السنين ، والركون إلى الدنيا : خروج من الدين ، واحتجوا له بالأحاديث المتقدمة ".

والصحيح أنه لا يكفر ما دام مقراً بوجوب الجهاد وما حمله على تركه إلا الكسل وطلب الراحة ونحوه .

القسم الثالث :

---

[1] الزواجر : ١٦٣/٢ .

[2] أحكام أهل الذمة : للكتاني : ص ١٣٢ .

من ترك الجهاد اتباعاً لتشريع جاهلي يحرم الجهاد ويمنعه فهذا كفر وردة عن الإسلام ، والأدلة على هذا القسم كثيرة ليس هذا موضعها .

والمقصود من هذا كله :

أن الجهاد باقٍ إلى قيام الساعة ، والأدلة على مشروعيته متواترة ، تفيد العلم الضروري ، فإذا لم يقدر المسلمون على الجهاد في وقت ما ؛ فإن هذا لا يعني أن تلغى مشروعيته ، وأن ينكر وجوده !! .

المقدمة التاسعة

أن الصراع بين الحق والباطل واجب شرعاً دائم قدراً

اعلم أن الله سبحانه أوجب جهاد الكفار في آيات كثيرة ، فقال تعالى (**وقاتلوا المشركين كافَّة كما يُقاتلُونكم كافَّة**) ، وقال تعالى : (**فقاتلوا أئمةَ الكفرِ إنهم لا أيمانَ لهم لعلَّهم ينتهون**) ، وقال تعالى (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم**) ، وقال تعالى (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ، وقال تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قُوَّةٍ ومن رِباطِ الخيلِ تُرهِبون به عدُوَّ الله وعدوكم ...الآية**) ، وقال تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) ، وغيرها من الآيات .

وورد بهذا أحاديث كثيرة متواترة منها : ما في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من مات ولم يَغْزُ ، ولمُ يحَدِّث نفسه بالغزو ، مات على شُعبة من النفاق) ، وما رواه أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : (جاهدوا المشركين بأموالِكم ، وأنفسِكم ، وألْسِنتِكم) ، وما في المسند وسنن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي) ، وغيرها من الأحاديث .

وعلى ذلك مضت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والأئمة من بعدهم .

وكما أوجب الله سبحانه هذا الجهاد شرعاً ، فقد كتب بقاءه قدراً :

حيث جاءت نصوص تدل على بقاء الجهاد في الناس إلى آخر الزمان ، فمن ذلك ما في الصحيحين عن عروة البارقي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم " .

قال القرطبي رحمه الله [1]:

---

[1] تفسير القرطبي : ٢/٣٥٠.

" فلما فتح الله مكة كان القتال لمن يلي ممن كان يؤذي حتى تعم الدعوة وتبلغ الكلمة جميع الآفاق ولا يبقى أحد من الكفرة وذلك باق متماد إلى يوم القيامة ممتد إلى غايةٍ هي قوله عليه السلام : (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم) ، وقيل : غايته نزول عيسى بن مريم عليه السلام " .

وقال ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث [١] :

" وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة ؛ لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين – وهم المسلمون – وهو مثل الحديث الآخر : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق) الحديث "اهـ .

وقد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم في الصحاح وغيرها أنه قال " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة" ووردت روايات صحيحة تصف هذه الطائفة بالقتال في سبيله.

قال النووي رحمه الله [٢]:

" وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فان هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث ".[٣]

---

[١] فتح الباري : ٦ / ٥٦ .

[٢] شرح مسلم : ١٣/٦٧ .

[٣] بالإضافة إلى الآيات التي تدل على أن المدافعة سنة كونية ،كقوله تعالى (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**) ، وغيرها ، وكثير من الكفار يؤمن بحتمية هذا الصراع ، وقد ذكرت شيئاً من كلامهم في (التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين) في آخر مبحث منه .

ويقول محمد محمد حسين رحمه الله (الإسلام والحضارة الغربية) ص ٦١ بعد ذكر تيارات (النصارى والعلمانيين والعصرانيين) : "كانت هذه التيارات الثلاثة متعاونة في السيطرة على المجتمع ، وفي مصارعة الاتجاه الإسلامي المحافظ ، الذي كان يتخلى يوماً بعد يوم عن مكانه وعن وظيفته ، وليس الخطر الذي يهدد المجتمع الإسلامي ناشئاً عن هذا الصراع ، فالصراع بين الأصيل والدخيل سنة من سنن الله العليم الحكيم ، يضرب فيها الحق والباطل ، (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**) ، ليس هذا الصراع إذن مصدر خطر :

=

المقدمة العاشرة

أن الفترة المكية أشق من الفترة المدنية

جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟.

فقال : (لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال : فناداني ملك الجبال وسلم علي ، ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني

بل إنه – في تقديري – يدعو إلى التفاؤل والاطمئنان ، ولكن مصدر الخطر وعلامته هو أن يزول هذا الصراع ، وأن يفقد الناس الإحساس بالفرق بين ما هو (إسلامي) وما هو (غربي) ، إن فقدان هذا الإحساس هو النذير بالخطر ، لأنه يعني فقدان الإحساس بالذات ، فالجماعات البشرية إنما تدرك ذاتها من طريقين معاً :

١-من طريق وحدتها التي تكوّنها المفاهيم والتقاليد المشتركة .[**قلت** : وهو موالاة المؤمنين] .

٢-ومن طريق مخالفتها للآخرين التي تنشأ عن المغايرة والمفارقات .[**قلت** : وهو البراء من الكافرين]

ولذلك كان الخطر الذي يتهدد هذه الوحدة يأتيها من طريقين :

١-الشعوبية : التي تفتتها . [**قلت** : ومثل ذلك : القومية ، والوطنية]

٢-والعالمية : التي تميعها . [**قلت** : ومثل ذلك : السلام العالمي ، والتعايش ، حوار الحضارات]

فزوال الإحساس بالمغايرة والمفارقة هو هدم لأحد الركنين اللذين تقوم عليهما الشخصية ، وهذا ما لا نريد أن يكون ، نريد أن يظل هذا التمييز بين ما هو إسلامي ، وبين ما هو طاريء مستجلب – شرقياً كان أو غربياً – حياً في نفوس الأجيال الصاعدة والتالية .

وهي أمانة تلقاها جيلنا عمن قبله ، ولا بد أن يحملها إلى من يجيء بعده ، والله سبحانه هو المستعان ".

ربك إليك لتأمرني بأمرك ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) .

ومن المعلوم أن ما حصل يوم أحد كان شديداً ، بل لعله أشد ما وقع على الرسول صلوات الله عليه وعلى أصحابه من البلاء في المدينة ، فقد قتل سبعون من خيرة أصحابه رضوان الله عليهم ، وقتل عمه حمزة رضي الله عنه ، وشج وجهه ، وكسرت رباعيته ، وحصل عليه وعلى أصحابه قرح شديد .

ومع هذا كله :

فقد كان ما لقيه صلى الله عليه وسلم في مكة أشق وأشد من ذلك .

وروى البخاري عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله الآية**) .

والناظر في السيرة يعلم هذا جيداً ، فقد أوذي أذى شديداً من الكفار :

فكان المشركون يضعون الشوك في طريقه ، و الأذى عليه وهو ساجد ، وحاولوا قتله ، ورموه بالنقائص كالجنون والسحر ، وفعل به صلى الله عليه وسلم سفهاء الطائف لما خرج إليه ما هو معروف حتى إنه لم يتمكن من الدخول في مكة إلا بجوار المطعم بن عدي ، وكان من آخر أمره في مكة أن حوصر ثلاث سنين في شعب أبي طالب ، فبلغ فيهم الجهد مبلغه .

هذا غير ما وقع لأصحابه رضوان الله عليهم من العذاب والحبس والقتل والتشريد ، حتى هاجر مجموعة منهم إلى ديار الحبشة (البعداء البغضاء)[1] هرباً بدينهم من الكفار وبقوا هناك أربع عشرة سنة ، وأمرهم في هذا كله معروف مشهور في كتب السيرة والتراجم .

---

[1] كما وصفتها أسماء بنت عميس رضي الله عنها إحدى المهاجرات .

والمقصود:

أن الفترة المكية لم تكن فترة (راحة) و (دعة) و (خلود إلى الأرض) و(ركون إلى الكافرين) و (مداهنة لهم) بسبب ضعف قوتهم ، وقلة عددهم ، وتسلط الكافرين عليهم ، بل كانت فترة صدع بالدين ، وإقامة للتوحيد ، وكفر بالطاغوت ، وبراءة من الكفار ، وصبر على الابتلاء [1].

[1] يحلو لكثير من الدعاة – هداهم الله – أن يحيلوا الناس – إذا أرادوا أن يحاجوهم – إلى الفترة المكية ، والفترة المكية كما ترى أشق على المسلمين من الفترة المدنية ، فلو سلمنا ترك الجهاد ، أ فيترك الصدع بالحق و الكفر بالطاغوت أيضاً؟! فإذا أراد أحد أن يترك هذا فليحل الناس إلى (ما قبل البعثة) !!.

المقدمة الحادية عشرة

أن الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة[1]

فقد جاءت النصوص الشرعية بوجوب رد التنازع إلى الكتاب والسنة ، فما وافقهما قبلناه ، وما عارضهما رددناه ، ولو كان المنازع من العلماء الكبار ، فإن أقوال الرجال يحتج لها ولا يحتج بها ، وقد قال الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**) والرد إلى الله : الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول : الرد إلى سنته ، كما ذكر غير واحدٍ من المفسرين ، وكما قال تعالى : (**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**) وقال تعالى : (**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء**) ، وقال تعالى (**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**) ، وكانت هذه وصية الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر أيامه ، ففي صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يا أيها الناس إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ثم حضّ على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته) ، وروى أحمد والترمذي وأبو داود من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها الدموع فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ،فقال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) .

فالرد عند التنازع يكون إلى (الكتاب) و (السنة) ، وليس إلى (رأي) أو (استحسان) أو (مصلحة) أو (وجهة نظر) .

---

[1] كثير من الناس يوافقك – نظراً – على هذا الأصل ، وأن الرد عند التنازع يكون إلى الكتاب والسنة ، ولكن الشأن في (العمل) !! .

وهنا مسألة هامة وهي:

أن الله سبحانه لم يحلنا عند التنازع إلى الكتاب والسنة إلا وفيهما الفصل في النزاع ، وإلا فلا فائدة من هذه الإحالة ، خصوصاً في مسائل أصول الدين كالتوحيد والكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار ونحو ذلك ، قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر قوله تعالى (**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**) [1] :

" فأمر الله تعالى المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ، وهذا يوجب تقديم السمع ، وهذا هو الواجب ؛ إذ لو ردوا إلى غير ذلك من : عقول الرجال ، وآرائهم ، ومقاييسهم ، وبراهينهم ، لم يزدهم هذا الرد إلا اختلافاً واضطراباً وشكاً وارتياباً ؛ ولذلك قال تعالى (**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**) فأنزل الله الكتاب حاكما بين الناس فيما اختلفوا فيه ؛ إذ لا يمكن الحكم بين الناس في موارد النزاع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب منزل من السماء".

وقال القرطبي رحمه الله [2]:

" (**في شيء**) أي : من أمر دينكم ، (**فردوه إلى الله والرسول**) أي : ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله ، أو إلى رسوله بالسؤال في حياته ، وبالبحث في سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، هذا قول مجاهد والأعمش وقتادة ، وهو الصحيح ، ومن لم ير هذا اختل إيمانه لقوله تعالى (**إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**) ".

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى [3]:

" إن قوله (**فإن تنازعتم في شيء**) : نكرة في سياق الشرط ، فتعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين : دقه وجله ، جليه وخفيه ، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله

---

[1] درء التعارض : ١/ ١٤٦ ، ١٤٧ .

[2] تفسير القرطبي : ٥ / ٢٦١ .

[3] إعلام الموقعين : ٤٩/١ .

بيان حكم ما تنازعوا فيه ، ولم يكن كافيا ، لم يأمر بالرد إليه ؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع " .

المقدمة الثانية عشرة

أن الحق يقبل ممن أتى به

إن سبيل المسلمين قبول الحق حيثما كان ، وممن أتى به ، والحق هو موافقة الكتاب والسنة ، فمن جاء به قُبِل منه ، ولا ينظر إلى القائل في هذه الحالة ؛ فيرد ما معه من الحق من أجل أن (فلاناً) هو المتكلم !.

ويدل عليه فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قبل الحق من اليهود :

كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ (**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة**)) فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحق الذي قاله هذا اليهودي من أجل كونه يهودياً ! بل قبله .

وفي النسائي من حديث قُتيلة بنت صيفى رضي الله عنها : (أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت) ، فقد غير النبي صلى الله عليه وسلم منكراً بسبب تنبيه يهودي عليه .

بل وأبلغ من ذلك ما في الصحيح معلقاً ووصله النسائي بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل عندما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الزكاة ، فكان يأتيه رجل في كل ليلة فيحثو من الطعام ، فيمسكه أبو هريرة في كل مرةٍ ثم يطلقه ، فلما كانت الأخيرة أطلقه بعد أن علمه كلمات فقال له : (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ؛ فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح) وفيه قول

الرسول صلى الله عليه وسلم : (أما إنه صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب يا أبا هريرة منذ ثلاث) فقال : لا ، قال : (ذلك شيطان) . فقُبِل كلام الشيطان هنا لأنه موافق للحق .

وهكذا :

على المسلم أن يعرض القول على الكتاب والسنة ، فما وافقه قبله ، وما خالفه رده ، فإن هذا أمن من الزيغ بإذن الله ، واعتصام بما ينجي من الهلكة .

المقدمة الثالثة عشرة

أن السابقة والفضل لا يعني ترك الباطل

إن فضل العبد ، وعلمه ، و سابقته في الدين ، لا تعني أن يقبل ما يقوله من باطل ، أو أن يترك فلا يرد عليه ؛ فإن هذا هو أصل عبادة الأحبار والرهبان ، كما قال تعالى (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**) قال أبو البختري : أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله تعالى ما أطاعوهم ، ولكن أمروهم : فجعلوا حلال الله تعالى حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعوهم .

ولهذا كثر التحذير من زلة العالم ، لأن العالم مظنة الإتباع ، فإذا زل ؛ زلت أمم معه ، قال عمر رضي الله عنه : (ثلاث يهدمن الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون) ، وروي نحوه عن أبي الدرداء وسلمان رضي الله عنهما ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (ويل للأتباع من عثرات العالم ، قيل وكيف ذلك؟ قال: يقول العالم برأيه ثم يجد من هو أعلم منه برسول الله صلى الله عليه وسلم فيترك قوله ذلك ثم تمضي الأتباع) ، وقال الإمام مالك : ليس كل ما قال رجل قولا – وإن كان له فضل – يتبع عليه ، يقول الله عز وجل : (**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم لله وأولئك هم أولو لألباب**) .

ومن هذا :

قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه يوم كاتب الكفار في فتح مكة ، وحصل معه ما هو معروف ، فإن في قصته فوائد من هذا الباب ، منها :

أولاً : أن حاطباً رضي الله عنه كانت له سابقة وفضل ودين وجهاد وهجرة ، فهو من السابقين الأولين ، ومن أهل بدر والحديبية ، وشهد المغازي ، ومع هذا كله : فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما علم بزلته لم يتركها ، ولم يقم بنصيحته سراً ، بل أتى به أمام الصحابة وقرره بما فعل ، وعرّفه هذا الخطأ ، فتناقلت الكتب اسمه رضي الله عنه إلى هذا اليوم ، ونزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ...الآيات**) .

ثانياً : أن حاطباً رضي الله عنه تاب من هذه الزلة ، وهكذا أهل الفضل .

ثالثاً : أن عمر رضي الله عنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم : (دعني أضرب عنقه فإنه قد نافق) ، ومع هذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعنف عمر على قوله ، لأنه قال هذا غيرة للدين ، ولمنكر عظيم رآه .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في فوائد هذا الحديث [1]:

" وفيها أن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه ، فإنه لا يكفر بذلك ، بل لا يأثم به ، بل يثاب على نيته وقصده ، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع فإنهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم ، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه " .

رابعاً : إن التصرف مع حاطب رضي الله عنه في هذه الأقضية كان على وجهين :

الوجه الأول : الإنكار عليه في فعله ، ورد زلته ، وتحذير المسلمين من ذلك :

فهذا ما حصل ، حتى حفظت لنا كتب الحديث هذه النازلة ، وحفظت لنا قول عمر رضي الله عنه فيه ، ونزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة في التحذير من فعله ، وصار حديثه هذا أصلاً في أبواب من التوحيد و الفقه.

الوجه الثاني : عقابه على فعله :

فهذا ما شفعت له فيه سابقته رضي الله عنه ؛ حيث قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لما طلب منه عقابه (إنه من أهل بدر ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) .[2]

---

[1] زاد المعاد : ٣ / ٤٢٣ .

[2] إذا تقرّر هذا : فاعلم أن هناك من يريد السكوت عن أهل الفضل إذا أخطأوا بحجة حديث حاطب الذي شفعت له سابقته ، وأين هذا من هذا ؟ فإن سابقته لم تشفع له في عدم الرد والإنكار عليه ونزول القرآن محذرا من فعله وتقريره أمام الصحابة بهذا الفعل ، وإنما شفعت له سابقته بترك عقوبته رضي الله عنه ، ونحن هنا في مقام الرد لا في مقام العقوبة !!.

المقدمة الرابعة عشرة
أن مسائل الخلاف ينكر فيها

اعلم أن المسائل التي يتنازع فيها الناس قسمان — من حيث الجملة — :

القسم الأول :

مسائل ليس فيها نصوص صريحة ولا إجماع ظاهر ، وللاجتهاد فيها مساغ ، إما لكونها مبنية على الفهم والقياس ، أو لوجود أدلة قوية من الجانبين كنقض الوضوء من مس الذكر ، ونحو هذا ، فهذه المسائل محل اجتهاد ونظر ، و لا إنكار فيها وقد تسمى (مسائل الاجتهاد).

القسم الثاني :

مسائل فيها نصوص صريحة ، أو إجماعات ظاهرة ، وقد تقسم إلى قسمين :

الأول : أن يوجد فيها خلاف شاذ أو ضعيف ، مع وجود النص الصريح الصحيح في المسألة ، نحو قتل المسلم بالكافر ؛ فإنه وإن قال به بعض أهل العلم فإنه قول ضعيف مخالف للدليل الصحيح في ذلك .

والثاني : أن لا يوجد فيها خلاف أصلاً ، بل عليها إجماعات معلومة متواترة ، مثل الولاء والبراء ، والجهاد ، وأحكام أهل الذمة ، ونحو ذلك .

فهذه المسائل ينكر فيها على المخالف ولو كان الخلاف في الفروع ، وقد تسمى هذه (مسائل الخلاف) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [1]:

"وقولهم : (**إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها**) : ليس بصحيح ؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى ، أو العمل . أما الأول : فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً ، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله . وأما العمل : فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار ،

---

[1] إعلام الموقعين : ٣ / ٢٨٨ .

وكيف يقول فقيه : لا إنكار في المسائل المختلف فيها والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء؟!.

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً ، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن (مسائل الخلاف) هي (مسائل الاجتهاد) كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم.

والصواب : ما عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد : ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ فيها – إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به – الاجتهاد لتعارض الأدلة أو لخفاء الأدلة فيها ، وليس في قول العالم : إن هذه المسألة قطعية أو يقينية ولا يسوغ فيها الاجتهاد طعن على من خالفها ولا نسبة له إلى تعمد خلاف الصواب ، والمسائل التي اختلف فيها السلف والخلف وقد تيقنا صحة أحد القولين فيها كثير... وعلى كل حال : فلا عذر عند الله يوم القيامة لمن بلغه ما في المسألة من هذا الباب وغيره من الأحاديث والآثار التي لا معارض لها إذا نبذها وراء ظهره وقلد من نهاه عن تقليده ، وقال له : لا يحل لك أن تقول بقولي إذا خالف السنة ، وإذا صح الحديث فلا تعبأ بقولي ، وحتى لو لم يقل له ذلك ؛ كان هذا هو الواجب عليه وجوباً لا فسحة له فيه ، وحتى لو قال له خلاف ذلك ؛ لم يسعه إلا اتباع الحجة "[1] .

---

[1] وانظر كلام شيخ الإسلام رحمه الله في هذا : الفتاوى : ١٩ /١٢٢ .

المقدمة الخامسة عشرة

أن ذكر اللازم لبيان فساد القول جادة مطروقة

اعلم أنه إذا ذكر أحدهم قولاً أو مذهباً له لوازم فاسدة ، فإن ذكر هذه اللوازم في الرد عليه تأتي على أحد وجهين :

الوجه الأول :

أن يكون ذكر لازم قوله من أجل ترتيب الحكم على القائل من : تكفير ، أو تبديع ، أو تفسيق ، ونحو ذلك ، فهذا باطل ، ولا يحكم على أحد بناء على لازم قوله ؛ لأن الصحيح – كما ذهب إليه الأئمة – أن (لازم المذهب ليس بمذهب) ، و (لازم القول ليس بقول) ، ولا يؤاخذ أحد إلا بما قال ، لا بما يلزم على قوله ، لأنه قد لا يلتزم بهذا اللازم إذا عرفه ، وقد ينكره ، وقد يغفل عنه ، وقد يكون متأولاً فيه ، ونحو هذا .

قال شيخ الإسلام رحمه الله [1]:

" و لازم المذهب لا يجب أن يكون مذهباً ، بل أكثر الناس يقولون أقوالاً و لا يلتزمون لوازمها ، فلا يلزم إذا قال القائل ما يستلزم التعطيل أن يكون معتقداً للتعطيل ، بل يكون معتقداً للإثبات و لكن لا يعرف ذلك اللزوم " .

وقال أيضاً جواباً على سؤال : هل لازم المذهب مذهب أم لا؟ [2]:

" وأما قول السائل : هل لازم المذهب مذهب أم ليس بمذهب ، فالصواب : أن لازم مذهب الإنسان ليس بمذهب له إذا لم يلتزمه ، فإنه إذا كان قد أنكره ونفاه كانت إضافته إليه كذباً عليه ، بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال ".

وقال ابن حزم رحمه الله [3]:

---

[1] الفتاوى : ١٦ / ٤٦١ .

[2] الفتاوى : ٢٠ / ٢١٧ .

[3] الفصل : ٣ / ٢٩٤ .

" وأما من كفّر الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ ؛ لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به وإن لزمه ؛ فلم يحصل على غير التناقض فقط" .

الوجه الثاني :

أن يكون ذكر اللازم لبيان فساد القول وما يفضي إليه من المنكرات ، فهذه جادة مطروقة ، وعليها العمل ، وردود أهل العلم منذ القدم تقوم على هذا الأمر ، فيذكرون في ردودهم على من قال كلاماً باطلاً ما ينبني على هذا القول وما يؤدي إليه من اللوازم الفاسدة ؛ لأنه إذا فسد اللازم فسد الملزوم ، وقد يكون ذكر اللازم وفساده أوضح من إفساد الملزوم بمجرده [1].

---

[1] إذا تبين هذا فاعلم أنه قد اتهمني بعض الفضلاء – عفا الله عنهم – بأنني قد كفرت وبدعت وفسقت في (الطليعة) الدعاة الذين رددت عليهم ، وقد أخطأوا هداهم الله في كلامهم هذا عليّ خطأ مركباً من وجهين :

الوجه الأول : أنني لم أذكر حرفاً واحداً في (الطليعة) في تكفير أحد ، بل ذكرت فيه ما تؤدي إليه تلك الأقوال الموجودة في (بيان المثقفين) من هدم للولاء والبراء ، وإنكار للجهاد ، وموالاة للكفار ، ونحو ذلك ، فمن أين أتوا بهذا التكفير ؟ وكلامي في الكفر والردة إنما هو حكم على اللازم ، لا على من تكلم بالملزوم ، وإنما ذكرت هذه الأشياء لأبين بها فساد بيانهم .

الوجه الثاني : أنهم وقعوا فيما عابوه عليّ ، بل أشد ، لأنني لم أذكر اللازم في (الطليعة) لأرتب الحكم على أصحابه ، بل ذكرته للتحذير منه ولبيان فساده ، أما هؤلاء فقد حكموا عليّ باللازم ، فإنهم يقولون : يلزم على قولك أنك تكفرهم ، ثم نشروا عني أنني كفّرت وبدّعت وفسّقت ، فإن كانوا سيؤاخذون باللازم : ويجعلون لازم قولي قولاً لي ، فليطردوا مذهبهم ، وليجعلوا لازم ما في (بيان المثقفين) قولاً لأصحابه ، ولا أظنهم يفعلون ذلك .

والمقصود : أن من نسب إليّ تكفير أحد من هؤلاء الدعاة وأهل العلم الموقعين على البيان فقد كذب عليّ سامحه الله.

الفصل الثاني

مقارنات

المبحث الأول : مقارنة بين (جهاد الأمس) و (تعايش اليوم) :

المبحث الثاني : مقارنة بين (بيان المثقفين) و (بيان الأمريكيين) :

المبحث الثالث : مقارنة بين (بيان المثقفين) و(بيان الليبراليين) :

المبحث الرابع : مقارنة بين (بيان المثقفين) و بعض ما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان :

المبحث الخامس : مقارنة بين (بيان المثقفين) و رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ملك قبرص :

المبحث الأول

مقارنة بين (جهاد الأمس) و (تعايش اليوم)[1]

....

....

[1] هذا المبحث كان مقارنة بين أقوال بعض الموقعين على البيان – هداهم الله – وتقريراتهم قديماً ، وبين ما ذكر في هذا البيان بدون تعليق مني ، بل أكتفي بنقل من (الجهاد القديم) وما يقابله من (تعايش اليوم) بحيث يعلم الناظر إلى القولين بأن أحدهما رد على الآخر ، ومع أنني لم أعلق بشيء مطلقاً على هذه النقول إلا أنني رأيت ترك هذا المبحث في هذا الوقت رغم اكتماله ! .

المبحث الثاني

مقارنة بين بيان المثقفين وبيان الأمريكيين

إن الله سبحانه قد جعل العزة له ولرسوله وللمؤمنين كما قال تعالى (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) ، والمؤمن ولو كان عبداً مملوكاً فإنه يظل أعز من ملء الأرض من أحرار الكفار ؛ قال تعالى (**ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم**) .

وفي المقابل فإن الله سبحانه كتب الذلة والصغار على الكفار – ولو كانت صروحهم من ذهب – كما قال تعالى (**ومن يهن الله فما له من مكرم**) ، وقال تعالى (**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) ، وقال تعالى عنهم (**أولئك كالأنعام بل هم أضل**) ، وقال تعالى عنهم (**إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) ، وقال تعالى (**والذين كفروا يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام**) ، وقال تعالى عنهم (**ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي**) ، وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره مرفوعاً (وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري) .

والناظر في حال بيان المثقفين – الذين يفترض فيهم الاعتزاز بدينهم وأنهم يتكلمون باسم الإسلام – يرى أنهم يتكلمون بانهزامية ولغة دونية ظاهرة ، بخلاف كفار الأمريكان الذين يتكلمون بتعالٍ وفوقية ، وهذه مقارنة سريعة بين البيانين :

أولاً : في نشر البيانين :

فإن بيان الأمريكيين لم ينشر في أمريكا إلا على نطاق محدود [1].

أما بيان المثقفين فنشر على نطاق واسع ، فقد تبناه موقع الإسلام اليوم ، وحاولوا أن يجمعوا (مليون توقيع) لتأييده ، ونشر في الصحف والمجلات ، ووضعت له الملاحق ، وعقدت له اللقاءات والندوات في الفضائيات ، وغير ذلك .

---

[1] كما جاء في (الحياة) ٧ / ٣ / ٢٠٠٢ م ، وفي هذا يقول إدوارد سعيد إنه لو نشر على نطاق واسع لأصبح فضيحة لأن الذين وقعوه يمثلون أسوأ ما في أمريكا : جريدة (الوطن) ٣/١ عدد ٥٩٧ .

ولا شك أن تصرف كفار الأمريكان في هذا أحكم ؛ فإنه إن كان صواباً آتى ثماره لمن كتب إليه ، وينشر بعد التأكد من ذلك ، وإن كان خطأ ظل الأمر مستوراً**!!** .

ثانياً : في عنوان البيانين :

عنوان بيان الأمريكيين (**على أي أساس نقاتل؟**) .

وهم بهذا العنوان قد صدقوا مع أنفسهم ، وهو الذي يشهد له واقعهم .

وأما عنوان بيان المثقفين فهو : (**على أي أساس نتعايش؟**) .

ولا شك أن في هذا العنوان انهزامية ظاهرة ممن ينتمون إلى أمة من أعظم شعائرها الجهاد [١] ، ولم يعد الكفار يخشون من هذه الأمة شيئاً إلا هذه الشعيرة ، بل حتى لو لم يكن الجهاد مشروعاً ؛ فإن مقاومة المعتدين فطرة في نفس كل كائن حي ، والأمة الإسلامية قد تعرضت في هذا الزمن لأعظم الحملات في كل مكان من طواغيت الأمريكان .

فهلاّ إذ لم يذكروا الجهاد جعلوا العنوان بدلاً من ذلك : (**على أي أساس نقاوم؟**) .

ثالثاً : في أسس البيانين :

ذكر الأمريكان (الحقائق الخمس الأساسية) التي يرونها متعلقة بجميع البشر ، ثم ذكروا (القيم الأمريكية) التي يريدون فرضها على الناس بغض النظر : هل يرضى المسلمون بهذه القيم أو لا ؟ ، لذلك رأوا وجوب فصل الدين عن الدولة ، وكانوا صادقين مع أنفسهم فيما ذكروه من أسس لهم ولمجتمعهم.

وأما في (بيان المثقفين) فإنهم إنما ذكروا فيه – من ما أسموه بـ(الأسس والقيم التي يؤمنون بها) – ما حاولوا به استرضاء أولئك بنوع تحريف – سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى – ، ولم

---

[١] وقد كان العرب في الجاهلية يأنفون من الخضوع – حتى بالقول – للعدو و لو كان أقوى منهم ، كما سبق في المقدمة ، وقد حفظت أشعار العرب وتواريخهم كثيراً من أخبارهم في هذا ، ومن ذلك أن كسرى – وهو في ذلك الوقت في مقام بوش في هذا الوقت – أرسل رسولاً إلى ثعلبة بن سيار العجلي وهو أعرابي من بني بكر بن وائل لما نزلوا بقربه يخيرهم بين ثلاثة أمور : إما أن يعطوا بأيديهم إليه فيحكم فيهم بما شاء ، وإما أن يعروا الديار ، وإما أن يأذنوا بالحرب ، فقال ثعلبة لقومه : إني لا أرى إلا القتال ، فلأن يموت الرجل كريماً ، خير له من أن يحيى مذموماً!!.

يذكروا الحقائق الأساسية لدين الإسلام ، بل ولدين جميع الأنبياء ؛ من التوحيد والنهي عن الشرك ، فضلاً عن الولاء والبراء أو الجهاد !!.

رابعاً : في لهجة البيانين :

تجد في بيان الأمريكيين نبرة التعالي –كما سبق – ومن ذلك قولهم :

(نحن متحدون في اعتقادنا الجازم أن الاحتجاج بأية سياسة خارجية[1] محددة لن تبرر أو حتى تفسر التذبيح الجماعي للأبرياء) ، (وفي نفس الوقت ثمة قيم أمريكية أخرى مختلفة تماما عن تلك وهي أجمل بكثير ليس للأمريكيين فحسب، بل لجميع الناس في أي مكان من العالم ونعتقد أن هذه القيم هي مبادئنا الأساسية وهي التي تحدد طريقة حياتنا) ، ومن ذلك الاستشهاد كثيراً بمؤسسي أمريكا وقوانينها ، و (بالنسبة لنا فإن ميزة هذه القيم أنها تطبق على جميع الناس بدون تمييز) ، (ولم يسبق في التاريخ أن أمة من الأمم أقامت شخصيتها – من دستورها ووثائقها الأساسية وفهمها الذاتي – بهذه الصراحة على أساس القيم البشرية العالمية ، وعندنا لا توجد حقيقة عن دولتنا أهم من ذلك) ، (نعترف بإنجازات حضارتنا) ، (نقترح أيضا أن القيم التي نسميها عرضا بـ"القيم الأمريكية" لا تمتلكها أمريكا فقط ، لكنها في الحقيقة ميراث مشترك للبشرية) ، (لكننا أكثر تمسكا بالدين من سائر مجتمعات الغرب) ، (لكننا أمة يقوم أفرادها قائلين في عهد الولاء: "أمة واحدة تحت رعاية الله" ونحن أمة تعلن في كثير من محاكمها وتنقش في كل نقد من نقودها العبارة: "نتوكل على الله) .

وهكذا في سلسلة كثيرة من قولهم (ونحن) و (أمتنا) و (نوافق) و (نخالف) ، ولم يسألوا أحداً أن يعترف بقيمهم ، بل رأوا فرضها على الناس.

وأما (بيان المثقفين) فقد كان مبيناً وللأسف على اللغة الاسترضائية لهم ، فلا يذكر من مباديء الإسلام –كما يزعمون – إلا ما يكون مرضياً لهم ، كما أنهم سألوهم الاعتراف بهم وبدينهم ، كقولهم :

---

[1] قولهم هذا بعد أن اعترفوا بأن حكومتهم قد تعامل الناس بازدواجية !.

(و تعاليم الإسلام تصف النصارى بأنهم أقرب للمسلمين من غيرهم) ، (إن المسلمين من حقهم أن يكونوا متمسكين بدينهم وقيمه وتعليماته ، هذا خيار من الصعب محاولة تعويقه ؛ لكننا نقدم المفهوم الوسطي المعتدل) ، (وسيجد العالم الغربي فيه فرقاً كبيراً عن المفاهيم والتصورات التي يحملها عن الإسلام، هذا إذا كان جاداً في الاعتراف بنا وبديننا ومقدراتنا)[1] ، (إننا ندعو إلى انفتاح جاد من الغرب على الإسلام ، وقراءة مشاريعه ، والتعامل بهدوء مع الواقع الإسلامي) ، (فمن الممكن أن نشاركه الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني في العالم) .

خامساً : في الموقعين على البيانين :

اعترف الأمريكيون في بيانهم أنهم طوائف لا تتكلم كلها باسم الدين فقالوا :

(موقعو هذه الرسالة ينتسبون إلى فئات دينية وأخلاقية مختلفة بما فيها الفئات العلمانية) .

أما (بيان المثقفين) فذكروا أن بيانهم باسم التعريف بالقيم الإسلامية ، وتبناه موقع إسلامي ، ودعاة إسلاميون ، وهذا غير صحيح لأمرين :

الأول : أن ما ذكروه في بيانهم لا يصح نسبته إلى الإسلام إلا بنوع تحريف.

الثاني : أن من الموقعين من لا يحسبون على الإسلاميين ، بل من أضدادهم من العلمانيين ، أو أذنابهم من العصرانيين[2] .

---

[1] من البواعث على التقريب بين الأديان عند العصرانيين (باعث الرغبة في الحصول على الاعتراف من أهل الكتاب) انظر نقولاً قريبة من هذا الكلام في (دعوة التقريب بين الأديان) للقاضي : ٨٢٨/٢ وما بعدها .

[2] ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ونقلاه عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري – رحم الله الجميع – أن الأشعرية (**مخانيث المعتزلة**) وذلك أنهم تأثروا بأصول المعتزلة وأرادوا نصرة السنة فصاروا كالمخنث – وهو من ليس برجل ولا امرأة – لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وإذا طبقت هذه القاعدة على (العصرانيين) فإن أصدق وصف لهم هو أنهم (**مخانيث العلمانية**) ؛ لأنهم أخذوا أصول العلمانية وأرادوا بها نصر الإسلام ، والصلة بين العلمانيين وبينهم وثيقة جداً ، تعود إلى تاريخ (شيخيهم) محمد عبده والأفغاني ، فقد قال محمد محمد حسين رحمه الله (الإسلام والحضارة الغربية) ص ٨٥ : " ولمن شاء أن يعرف المكان الصحيح والقيمة الحقيقية لمحمد عبده وللأفغاني أن ينظر في الصحف اليومية والمجلات الدورية وفي كتب الكتاب الليراليين الذي لا يسمحون بأن يُمس أي منهما ، والذين يهاجمون بفظاظة وشراسة كل من يمسهما من قريب أو بعيد ، مع أن هذه الصحف والمجلات والكتّاب لا يُعرف عنهم غيرة على

=

ولا يشغّب أحد فيقول : إن توقيع العلماني على هذا الخطاب الإسلامي مكسب!! .

فإنهم – هداهم الله – لم يرفعوا هؤلاء العلمانيين إلى مستوى الإسلام ، بل وضعوا الإسلام إلى مستوى يرضى به العلمانيون[1] ، بل ويرضى به الزنادقة[2] واليهود والنصارى[3] ، ولو عرض هذا البيان على الروافض والقبوريين والحداثيين وغيرهم لوقعوا عليه !!.

سادساً : في موقف أصحاب البيانين من المتقاتلين :

في بيان الأمريكيين أيدوا (بوش) في حملته على المجاهدين ؛ حيث قالوا ما نصه :

(نحن نقاتل للدفاع عن أنفسنا وعن هذه المبادئ العالمية) ، **(باسم المبادئ الأخلاقية الإنسانية العامة ، وبوعي كامل لقيود ومتطلبات الحرب العادلة نؤيد قرار حكومتنا ومجتمعنا باستخدام حد السلاح)** ، **(نرفع صوتا واحداً للقول إن انتصار أمتنا وحلفائها في هذه الحرب حاسم ، إننا نقاتل للدفاع عن أنفسنا ، ولأننا نؤمن أيضاً**

الإسلام في غير هذا الموضع ، بل إنهم لا يثورون حين يمُس رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويرون أن ذلك مما تسعه حرية الفكر واختلاف الرأي ، بل إنهم يلتزمون التزاماً دقيقاً أن لا يذكر اسم محمد عبده إلا مقروناً بلقب (الإمام) ، ويذكرون اسم الرسول صلى الله عليه وسلم مجرداً !".

قلت : وانظر إلى (العصرانيين) اليوم أين يستكتبون ؟ ومن يحتضنهم ؟.

[1] حتى كلامهم في العلمانية وأنها لا تصلح في بلاد الإسلام فإنهم ذكروه بأدلة علمانية (رأي الأكثرية ، وحفظ حقوق الأقلية) لا بأدلة شرعية ، وهي تنقلب عليهم بسهولة ، ويقرها العلماني وقد أيدهم عليها كبار العلمانيين والحداثيين والروافض والزيود وغيرهم ؛ فإنهم لم يذكروا أن رفضهم العلمانية في بيانهم هذا لأن الله سبحانه أمرهم بإقامة الدين ، بل قالوا إن هذا هو رأي الأكثرية في بلاد المسلمين، والعلماني لا يرفض هذا ، بل هو يطالب بالانتخابات وتحقيق آراء الأكثرية ، فلو صار رأي الأكثرية ضد الإسلام فإنه يلزمهم على هذا التقرير قبول رأيهم!! وسيأتي إن شاء الله .

[2] ومن أوضح الأدلة على هذا ثناء تركي الحمد – وهو المعروف بانحرافه – على هذا البيان بل قوله عنه بأنه **(باقة من الأفكار الجميلة!!)** كما سيأتي إن شاء الله في الفصل الثالث ، وسيأتي الكلام على هذا المنحرف بالتفصيل ، وذكر من أفتى من أهل العلم بردته ، والأدلة على ذلك ، فانظر هذا في ص ١١٥.

[3] كما اعترف به الذين قاموا على هذا البيان ، فقد نشروا ثناء بعض النصارى على هذا البيان ، وهذا من القرائن على بطلانه فإن الله يقول **(ولن ترضى عنك اليهود و لا النصارى حتى تتبع ملتهم)** .

، **أننا نقاتل من أجل حماية تلك المبادئ العامة المتعلقة بحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية والتي تشكل الأمل الأفضل للنوع الإنساني)** .

وأما في بيان المثقفين فقد تبرؤوا فيه من المجاهدين وأعمالهم ، ووصفوهم بأنهم أفراد ، وأنهم لا يتحملون مسئولية أعمالهم ، وأن كثيراً من المسلمين ساءهم فعلهم ، بل وإنهم معنيون في الحملة عليهم ، وأنهم شاركوا الأمريكان شعورهم في أحداث سبتمبر ، في لمز ظاهر وخفي للمجاهدين في مواضع من بيانهم .

والمجاهدون حتى لو أخطأوا خطأً قطعياً فإن لهم حق النصرة والإخوة خصوصاً في الوقت الذي يقاتلهم فيه الكفار ، والله المستعان .

سابعاً : في موقف البيانين من إلزام الآخرين بالقيم والمفاهيم :

طالب الأمريكيون بفرض ما يسمونه بـ(**القيم الأمريكية**) و (**المباديء الأساسية**) التي رأوها على المجتمع المسلم ولو بالقوة ! .

وأما في بيان المثقفين فإنهم يقولون ما نصه (**وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي**) ، وكرروا ما يفهم منه هذا الأمر في مواضع.

وهذا باطل ، فإن الله سبحانه يقول (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ويقول (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ..الآية**) ، وغيرها من آيات السيف ، مع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد ، وسيرته ، وسيرة الصحابة ، وعلى ذلك أجمع العلماء إجماعاً قطعياً ، وهذا هو الإلزام بالمفاهيم ؛ فإما الإسلام ، وإما أن يؤدي الجزية وهو صاغر ، وإما السيف ولا كرامة له.

ثامناً : في موقف البيانين من الآخرين :

في بيان الأمريكيين يطالبون فيه أن يضرب (الإسلام الإرهابي) يعني الحقيقي القائم على (الولاء والبراء) و (الجهاد في سبيل الله) ، ويدعون فيه إلى فصل الدين عن الدولة .

وأما في بيان المثقفين فإنهم يدعون الكفار و (المفكرين الأحرار) إلى (التعقل) وفتح (باب الحوار) من أجل (التعايش) و (السلام العادل) و (التعاون) لما فيه (خير البشرية)!! .

المبحث الثالث

مقارنة بين بيان المثقفين وبيان الليبراليين

أصدر في أول شهر صفر – قبل صدور بيان المثقفين – ١١٣ من الحداثيين والعلمانيين والروافض وغيرهم ممن لا يحسب عليهم – ولكنه لا يحسب على الإسلاميين[١] – بياناً ضد أمريكا .

ويهمنا هنا في مقارنة هذين البيانين ذكر أمرين :

الأمر الأول :

أن أولئك لم يحاولوا أن يتكثروا بالإسلاميين حتى لو كانوا من العصرانيين في بيانهم ، كما فعل أصحاب (بيان المثقفين) – هداهم الله – الذين تكثروا بالعلمانيين[٢].

الأمر الثاني :

أن أولئك كان خطابهم الموجه إلى أمريكا شديداً ، فقد طالبوا الدول العربية بالتنديد بالدعم الأمريكي لإسرائيل ، وجاء في البيان أن (الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني يمثلان محور الشر في العالم!!) ، كما طالبوا بضرورة اتخاذ مواقف جادة من الحكومات العربية إزاء الاختراق الأمريكي والإسرائيلي للمنطقة العربية الإسلامية ، وأشاروا إلى ضرورة ممارسة مختلف وسائل الضغط على الولايات المتحدة لإشعارها بأن مصالحها

---

[١] حيث إن هناك من الموقعين على بيان الليبراليين ممن ليس منهم ولا من الروافض والحداثيين ولا يحسب عليهم ، ولكنه أيضاً ليس من الإسلاميين .

وهنا مسألة أثارها بعض الإخوة : وهو لماذا الركان على بيان المثقفين دون الليبراليين ، والجواب ظاهر ؛ وهو أن الليبراليين لا يتكلمون باسم الإسلام والشريعة ، بل هم في جانب ، والشريعة في الجانب الآخر ، ولا يوجد من المسلمين من يأخذ كلامهم على أنه (كلام شرعي) ؛ فليس منه خطر ولو أصدروا عشرات البيانات !.

[٢] وكما سبق أن قلت : لا يشغب أحد بأن هذا الخطاب إسلامي ، فإنه قد صيغ بلغة ترضي جميع الأطراف ولا أدل من موافقة تركي الحمد عليه!!.

مهددة في المنطقة العربية ، ودعوا إلى قطع كل العلاقات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية مع إسرائيل، وشددوا على تطبيق إجراءات المقاطعة العربية ضدها ، ومقاطعة السلع والمنتجات الأمريكية .

ولا شك أنك إذا قرنت هذه اللغة بلغة (بيان المثقفين) فستجد أن البون كبير ، فإن لغة خطاب (بيان المثقفين) في غاية (السماحة) و (اللطف) !!.

مع أن بعض الموقعين على بيان المثقفين – هداهم الله – كانوا إذا أرادوا وصف كثير من أصحاب البيان السابق فإنهم يذكرون عنهم أنهم (دسائس غربية) و (طابور خامس لهم) و (تغريبيون) !!.

فصار (دسائس الغرب) أقوى لهجة من الذين يعيروهم بهذا لما حصلت المواجهة[1] ، والله المستعان.

---

[1] لا يقول أحد – ممن يسيئون الظن – إنني أفضل أولئك الحداثيين ونحوهم على الدعاة وأهل العلم والدين من الموقعين على بيان المثقفين ، بل ولا مقارنة بين الفريقين ، ولكن الكلام هنا على صيغة البيانين ، وقد ذكرت هذه المقارنة ليعلم الفرق في لغة هذا الخطاب.

المبحث الرابع

مقارنة بين بيان المثقفين و بعض ما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان

والكلام هنا ليس على تفصيل هذا الأمر وذكر الأسس التي قام عليها البيان مما يوافق فيه مؤتمرات التقريب بين الأديان وإبطال ذلك ، بل هذا موضعه في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى ، وإنما الكلام هنا على المقارنة المجردة بين هذا البيان ، وبين بعض ما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان ، وهو على قسمين :

القسم الأول :

ذكر أسماء بعض مؤتمرات التقريب بين الأديان و التي كانت بعناوين مشابهة[1] لعنوان (بيان المثقفين) :

١- (**مؤتمر : التعايش بين الأديان : الواقع والآفاق**) :

عقد في (لافلتا) في مالطا في الفترة : ٤-٥ جمادى الأولى من عام ١٤١١ .

٢-(**مؤتمر : التعايش الإسلامي المسيحي**) :

عقد في (شامبيزي) في سويسرا في الفترة : ١٣ – ١٥ ربيع الثاني من عام ١٣٩٩ ، وشارك فيه خمسة من المسلمين ، وعشرة من النصارى .

٣- (**المسيحيون والمسلمون العائشون العاملون معاً : المباديء الأخلاقية والممارسات في حقل البرامج الإنسانية والتنموية**) :

عقد في كولمبو في سيرلانكا في الفترة : ٣ – ٥ جمادى الثانية .

٤-(مؤتمر : **لنعش فوارقنا معاً**) :

عقد في موفو في فرنسا في الفترة : ٢٢-٢٣ جمادى الثانية من عام ١٤٠٩ ، وشارك فيه مائة وخمسون شخصاً .

---

[1] ليس هذا الأمر مجرد مشابهة في العنوان ، بل في المضمون كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

٥- (**مؤتمر : التعايش**) :

عقد في مرسيليا في فرنسا يوم ٢٧ شعبان من عام ١٤١٢ ، وحضره مائة وثلاثون شخصاً من المسلمين واليهود والنصارى .

٦- (**مؤتمر : نصارى ومسلمون : العيش مع بعضهم بعضاً ، والاستماع من بعضهم بعضاً**) :

عقد في (فيتان) في ألمانيا الاتحادية في الفترة : ١٠ – ١٣ : مايو من عام ١٩٨٤م .

٧- (**مؤتمر : التعايش الأفضل**) :

عقد في مدينة (أليغاره) في الهند في الفترة : ٨-١٠ شوال من عام ١٣٩٤ ، وشارك فيه ثلاثة عشر مسلماً ، وعشرون نصرانياً .

٨- (**مؤتمر : التعايش الإسلامي المسيحي في لبنان**) :

عقد في بيروت في لبنان يوم ٢ جمادى الأولى من عام ١٤٠٤ .

٩- (**مؤتمر : التعايش الإسلامي المسيحي والقيم الإنسانية المشتركة**) :

عقد في عمان في الأردن في الفترة : ٢٩ ربيع الأول – ٢ ربيع الآخر من عام ١٤٠٨ ، بحضور ثمانين مشاركاً .

١٠- (**مؤتمر : حوار وتعايش**) :

عقد في القدس في الفترة : ١ – ٣ ذي الحجة من عام ١٤٠٣ ، وحضره أربعون مشاركاً.[١]

١١- وفي أثناء كتابة هذه الأحرف عقد مؤتمر في دمشق بعنوان (**الحوار بين الحضارات من أجل التعايش**) (!) تحت رعاية رئيس سوريا النصيري ، وهذا نص ما جاء في موقع الجزيرة عن هذا المؤتمر بتاريخ ٤ / ٣ / ١٤٢٣ :

---

[١] انظر : دعوة التقريب بين الأديان : للقاضي : ٣ / ١١٢٦ ، ١١٦٤ ، ١١٦٨ ، ١٢٥٦ ، ١٢٨٤ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢٣ ، ٤/ ١٣٥٤ ، ١٣٧٧ ، ١٣٨٥ ، ١٥٤٠ .

وقد عقد خلال أربعين سنة تقريبا ما يزيد على ثلاثمائة مؤتمر للتقريب بين الأديان ، وكانت أكثر عناوينها كما يلي: **الحوار** : ٣٢ مرة ، **السلام** : ١٨ مرة ، **التعايش** : ١٦ مرة ، **التعاون** : ١٤ مرة ، **التفاهم** : ٧ مرات . دعوة التقريب بين الأديان : ٣٣٦/١ .

قلت : وقارن هذه العبارات مع ما ورد في (بيان التعايش) تجد الصلة وثيقة !!.

" تعقـد المنظمـة الإسـلامية للتربيـة والعلـوم والثقافـة "إيسيسـكو" نـدوة دوليـة في دمشـق الأسبوع القـادم تحت عنوان (**الحـوار بـين الحضـارات مـن أجـل التعـايش**) ، وذلـك تحت رعاية الرئيس السوري بشـار الأسـد الـذي سيفتتح أعمالها ، ويشـارك في النـدوة مجموعـة مـن المفكرين والأكاديميين من العالم العربي الإسلامي ومن بعض البلدان الغربية ومن اليابان والهند .

وستبحث الندوة أربعة محاور تشمل : أسس الحوار بين الحضارات ومنطلقاته ، والحوار بين الحضارات والتنوع الثقافي ، والصور النمطية المشوهة عن الحضارات وسبل تصحيحها ، ومن الحوار إلى التعايش".

القسم الثاني :

مقارنة بين بعض ما جاء عن دعاة التقارب و(بيان المثقفين) [1] :

أولاً : من كلام النصراني موريس بورمانس :

يقول في كتاب له بعنوان (**توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين**) [2] :

(إن الذين يدينون بالإسلام ، والذين يتبعون يسوع يتساءلون اليوم عما كان لمسيرتهم معاً على الطريق من الأشكال المتنوعة طوال أربعة عشر قرناً من التاريخ المضطرب ، إن الله يدعوهم إلى استخلاص العبر من ذلك ليعرفوا على وجهٍ أفضل بلا ريب أن سبل الحوار قد تصل بهم غداً إلى شهادة أنصع ، وتعاون أخلص ، في خدمة الله لمصلحة الناس وخير العالم) [3] .

---

[1] سأقوم بذكر ما في بيان المثقفين مما يقابل كلام دعاة التقارب في الحاشية بدون تعليق !!.

[2] وهو إصدار من الكنيسة الكاثوليكية في سبيل التقريب بين الأديان ، وحظي بمراجعة لفيف من كبار النصارى – وليس فيهم كبير – وطبع في طبعته الثانية عام ١٩٨٠م ، وتبنته ونشرته أمانة السر للعلاقات بغير النصارى ، انظر : دعوة التقريب : ١/٤٢٠ .

[3] في بيان المثقفين : (وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين ، وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع ، ويمهّد لمستقبل أفضل لأجيالنا التي تنتظر منا الكثير ،

=

ثم إن هذا النصراني حدّد أربعة استعدادات أساسية ضرورية في أشخاص المتحاورين لبلوغ حوار حقيقي وهي – باختصار – [1]:

١- **قبول الواحد للآخر** : يفترض استقبال المسيحيين والمسلمين بعضهم للبعض الآخر على ما بينهم من اختلاف عظيم واحترام بعضهم بعضاً في تنوع تراثهم الديني .[2]

٢- **التفاهم** : والمطلوب هو التلاقي في سبيل التفاهم ، ومعرفة كل واحد للآخر [3].

٣- **التعايش والمشاركة**[4] : على المسيحيين والمسلمين المدعوين إلى أن يعترف بعضهم ببعض في أصالتهم[5] ،

وأن يتعاونوا حيثما يشعرون بأنهم ملتزمون القيم نفسها[6] .

يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، مبشرين العالم بمشروع يصنع الخير والأمن له).

[1] دعوة التقريب : ١ / ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

[2] في بيان المثقفين : (وبقدر ما إن الحوار ضروري ومؤثر فإن **الاحترام** والوضوح والصراحة والموضوعية من ضروريات نجاحه، فالحوار إنما يتأسس على **الاحترام** والوضوح والمصارحة وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة والبعد عن التشنج) و (ندعوه كذلك إلى فتح قنوات حوار بين النخب المثقفة الممثلة لتيار الإسلام العريض وبين المفكرين وصناع القرار في الغرب) .

[3] وهذا ما يدعو له بيان المثقفين مراراً كقولهم (وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد **يحقق الفهم الأفضل للفريقين**) ، و (نرى أن من حقنا -كما هو من حق أي شعب- أن نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل **تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض**) ، و (ولذا فإن إيجاد مساحة أوسع للحوار، **وتبادل الرأي** يلتقي فيها أهل الفكر والعلم والثقافة هي – من وجهة نظرنا – البديل للغة العنف والتدمير، وهذا هو دافعنا لكتابة هذه الورقة وإدارة هذا الحوار).

[4] وعنوان بيان المثقفين (**على أي أساس نتعايش؟**) يدل على هذا الأمر .

[5] في بيان المثقفين طلبوا من الأمريكان الاعتراف بهم حيث قالوا (وسيجد العالم الغربي فيه فرقاً كبيراً عن المفاهيم والتصورات التي يحملها عن الإسلام، هذا إذا كان جاداً **في الاعتراف بنا وبديننا ومقدراتنا**) و (إننا ندعو إلى **انفتاح جاد من الغرب على الإسلام** ، وقراءة مشاريعه ، والتعامل بهدوء مع الواقع الإسلامي، وأن يُجري الغرب مراجعة جادة في الموقف من الإسلام، وندعوه كذلك إلى فتح قنوات حوار بين النخب المثقفة الممثلة لتيار الإسلام العريض وبين المفكرين وصناع القرار في الغرب).

[6] في بيان المثقفين (مدركين أن مجموعة من المفاهيم في الأخلاق والحقوق والقضايا المعرفية **هي قاسم مشترك مع الغرب ومؤهلة للتطوير** الذي يصنع الأفضل لنا جميعاً وهذا يعني أننا نملك أهدافاً مشتركة) ، و (هذه الأسس هي ما

=

٤-**الجرأة والمخاطرة**[١] : والحوار دوماً مغامرة لا يعرف فيها المتحاورون إلى أين ينتهون ، وبحسبهم أن تقوم بينهم الثقة ، وأن يشرعوا في التخاطب والتعايش[٢].

ثانياً : مجلس الكنائس العالمي :

عقد هذا المجلس ندوة في يونيو من عام ١٩٦٦م في (برمانا) في لبنان لبحث العلاقة مع الإسلام ، أعقبها في مارس من العام التالي دعوة بعض المسلمين إلى جنيف للتمهيد للقاء أشمل تم في (كرتينيه) قرب جنيف بين ٢ – ٦ مارس ١٩٦٩م جاء في نتائجه ما يلي [٣]:

(يرى المشتركون في المؤتمر أن الحوار بين المسيحيين والمسلمين ضروري [٤]، وأنه ينبغي التوسع فيه على أصعدة مختلفة[٥] ، وهذه الضرورة تأتي :

أ – من القرابة الخاصة والتاريخية بين الدينين [٦].

ب- من النقد الذاتي الذي تمتاز به الديانتان [١].

نؤمن به، وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، **وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم،** ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) .

[١] قال موقع الإسلام اليوم في مقدمة هذا البيان : (قام موقع "الإسلام اليوم " **بخطوة جريئة** في هذا المجال من خلال طرح ورقة جوابية يخاطب بها الطبقة المثقفة في المجتمع الغربي) .

[٢] والبيان كله شروع في الدعوة إلى التخاطب والتعايش!!!.

[٣] دعوة التقريب : ٢ / ٤٦٦ .

[٤] في بيان المثقفين بعد طلبهم للحوار (وبقدر ما إن الحوار **ضروري** ومؤثر) .

[٥] في بيان المثقفين (فكذلك ينبغي أن نقدر أن ثمة **مجموعة من المشاكل يواجهها العالم** في: الحقوق، والحريات، والأوليات الإنسانية (التعليمية، والصحية، والغذائية، والأخلاقية) يفترض أن تحظى باهتمامنا).

[٦] في بيان المثقفين (و تعاليم الإسلام تصف **النصارى بأنهم أقرب للمسلمين** من غيرهم، والتاريخ يذكر أن نبي الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – أرسل مجموعة من أصحابه في سنوات الإسلام الأولى إلى أحد الملوك المسيحيين في الحبشة ؛ لأنه يتميز برعاية الحقوق الخاصة، وأن النبي محمداً –صلى الله عليه وسلم– كتب كتاباً لملك المسيحيين الرومان، ولملك المسيحيين الأقباط ولقي الكتابان حفاوة بالغة. وقد أخبر القرآن الكريم بأن المسيحيين هم الأفضل في أخلاقيات التعامل من بين كل المجموعات الدينية..) .

ج – من الوضع الناتج عن اختلاط السكان .

د – من الوضع التاريخي الحالي الخاص [٢] .

غاية الحوار الأولى هي : حمل الديانتين على تأمين الاحترام المتبادل [٣]، وتعزيز التفاهم[٤] . فعلاقتهما قد أثقلتها عصور مشحونة بكثير من سوء التفاهم[٥]) .

ثالثاً : من كلام النصراني جورج ليونارد كاري رئيس أساقفة كانتربري في بريطانيا:

ألقى محاضرة في جامعة الأزهر بعنوان (تحديات العلاقات بين الأديان الكبرى) عام ١٩٩٥م ومما جاء فيها [٦]:

(بدون سلام بين الأديان ستكون هناك حرب بين الحضارات ، لا سلام بين الأديان بدون حوار بينها ،

ولا حوار بين الأديان بدون البحث في الأسس) [٧].

ثم حدّد أربعة أسس لبناء علاقة جديدة بين الديانتين :

---

[١] في بيان المثقفين (ونحن نرحب بالحوار **والمراجعة** فالحوار – من حيث المبدأ – خطوة نبيلة **لإعادة** طرح الأسس الأخلاقية، **والتداول** حولها؛ من أجل إقامة علاقات أكثر عدلاً وإنصافاً بين الأمم والشعوب) ، و (وأن يكون لدى أطرافه القابلية **للنقد والمراجعة** والبعد عن التشنج) ، (وإن كنا **نعترف** بأشكال متطرفة مرتبطة ببعض المسلمين كغيرهم) .

[٢] في بيان المثقفين (**وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ** فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين).

[٣] في بيان المثقفين (وبقدر ما إن الحوار ضروري ومؤثر فإن **الاحترام** والوضوح والصراحة والموضوعية من ضروريات نجاحه، فالحوار إنما يتأسس على **الاحترام** والوضوح والمصارحة وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة والبعد عن التشنج) .

[٤] في بيان المثقفين دعوة إلى (حوار جاد **يحقق الفهم الأفضل للفريقين**) ، (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل **تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض**) .

[٥] وهو ما امتلأ به بيان المثقفين من الكلام على البعد عن (التطاحن) و (الصدام) و (الصراع) و (الإرهاب) .

[٦] دعوة التقريب : ٢ / ٤٨٩ – ٤٩٣ .

[٧] وهذا تلخيص لما جاء في بيان المثقفين **!!** .

(١- **الصداقة لا العداء** : الصداقة هي الإطار الذي يحتوي كل الاختلافات في تواصل ، والذي يحتضن المعتقدات المخالفة بدون الانزلاق إلى العداوة والبغضاء[١] .

٢-**التفهم لا الجهل** : إن جهل بعضنا بالبعض الآخر هو أمر مريع ، فالجهل هو أخطر أمراض الحضارة [٢].

٣- **الانفتاح لا الانغلاق** : وإذا كان للحوار أن يستمر من خلال الصداقة فلا مناص من أن نتناول مسألة الانفتاح التي تطرح نفسها بإلحاح [٣].

٤- **التعاون لا المجابهة**[٤] : نحن لا نستطيع أن نستحمل الانزلاق إلى العداء والمجابهة فنحن في حاجة إلى رسم طرقٍ جديدةٍ للتعاون والسلام المبنيين على الفهم والنوايا الصادقة ، فقد ذكرت حتى الآن الاختلافات بين الأديان ، فهذه الاختلافات حقيقة ولا يجب إنكارها ، كما لا يجب أيضاً أن يفهم منها أنه ليس هناك شيء مشترك بينها ، فهناك تفاهم واتفاق أكبر مما نعتقد في بعض الأحيان[٥] ...اسمحوا لي أن ألخص الطرق التي يمكن من خلالها تقوية أواصر التعاون :

١- التعاون في محاربة الفقر والشقاء الإنساني [٦].

---

[١] في بيان المثقفين (وبقدر ما إن الحوار ضروري ومؤثر فإن **الاحترام** والوضوح والصراحة والموضوعية من ضروريات نجاحه، فالحوار إنما **يتأسس على الاحترام** والوضوح والمصارحة وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة **والبعد عن التشنج**) .

[٢] في بيان المثقفين (حوار جاد **يحقق الفهم الأفضل للفريقين**) ، (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل **تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض**) .

[٣] في بيان المثقفين (إننا **ندعو إلى انفتاح جاد من الغرب على الإسلام**) ، و (**وندعوه كذلك إلى فتح قنوات حوار** بين النخب المثقفة الممثلة لتيار الإسلام العريض وبين المفكرين وصناع القرار في الغرب) .

[٤] وهو ما قام عليه بيان المثقفين من الدعوة للحوار من أجل التعاون والتعايش وترك الصراع .

[٥] في بيان المثقفين (مدركين أن مجموعة من المفاهيم في الأخلاق والحقوق والقضايا المعرفية **هي قاسم مشترك مع الغرب ومؤهلة للتطوير** الذي يصنع الأفضل لنا جميعاً) ، (**وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم**، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) .

[٦] في بيان المثقفين (فكذلك ينبغي أن نقدر أن ثمة **مجموعة من المشاكل يواجهها العالم** في: الحقوق، والحريات، والأوليات الإنسانية (التعليمية، والصحية، والغذائية، والأخلاقية) يفترض أن تحظى باهتمامنا) .

٢-السلام والتآلف بين الشعوب[1] .

٣-التسامح والتفهم [2].

...نحن مطالبون بوضع أسس الحوار بين الأديان والعمل المشترك[3] من أجل الأجيال التي لم تولد بعد لكي تعيش يوماً ما في عالم يسوده السلام[4]) .

والحقيقة أن بين يدي ما لا يقل عن عشرين ورقة إضافية في المقارنة بين ما جاء في مؤتمرات التقريب بين الأديان وبين (بيان المثقفين)[5] ، ولكني سأكتفي بما ذكرت طلباً للاختصار ، ولأنه يكفي للدلالة على ما وراءه ، ومن لم يكفه هذا فلا حيلة فيه .

---

[1] في بيان المثقفين (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض، **تحقيقاً للسلام العالمي**، وخلق فرص استفادة للباحثين عن الحقيقة والخير).

[2] في بيان المثقفين (حوار جاد **يحقق الفهم الأفضل للفريقين**) ، (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من **أجل تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض**) .

[3] في بيان المثقفين بعد أن ذكروا ثمانية أسس زعموا أنها أسس علاقة المسلمين بغيرهم : (هذه الأسس هي ما نؤمن به، وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، **ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية**) .

[4] في بيان المثقفين (**حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين، وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع، ويمهّد لمستقبل أفضل لأجيالنا التي تنتظر منا الكثير** ، يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، **مبشرين العالم بمشروع يصنع الخير والأمن له**).

[5] هذا بالإضافة إلى مقارنة بين ما ورد في بيان المثقفين وما جاء عن العقلانيين من دعاة التقارب مثل : محمد عبده ، والترابي ، والقرضاوي ، وهويدي ، وعمارة ، وغيرهم ، وسيأتي في الفصل القادم إن شاء الله ثناء أحد دعاة التقارب بين الأديان وهو الصحفي الذي صار مفكرا إسلاميا (فهمي هويدي) على هذا البيان ! ، وسيأتي في الفصل الرابع أيضاً عند الكلام على التقريب مرة أخرى مقارنات سريعة مع التقريبيين العصرانيين إن شاء الله .

المبحث الخامس

مقارنة بين بيان المثقفين ورسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى سراجون ملك قبرص

يذكر بعض الموقعين – هداهم الله – على بيان المثقفين إذا نوقشوا أنهم فعلوا قريباً من فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته إلى ملك قبرص !! .

ورسالة شيخ الإسلام هذه محفوظة ولله الحمد في فتاواه (٢٨/ ٦٠٢-٦٣٠) ، وفيما يلي مقارنة سريعة بين رسالة الشيخ وبيان المثقفين لبيان الفرق بينهما :

أولاً : في استهلال الخطابين :

استهل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى رسالته بالصلاة على الأنبياء وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بمزيد صلاة وثناء وبيان ختمه للرسالات فقال : (أما بعد فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو إله إبراهيم وآل عمران . ونسأله أن يصلي على عباده المصطفين وأنبيائه المرسلين ، ويخص بصلاته وسلامه أولي العزم الذين هم سادة الخلق وقادة الأمم ، الذين خصوا بأخذ الميثاق وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ... ونسأله أن يخص بشرائف صلاته وسلامه خاتم المرسلين وخطيبهم إذا وفدوا على ربهم وإمامهم إذا اجتمعوا شفيع الخلائق يوم القيامة نبي الرحمة ونبي الملحمة الجامع محاسن الأنبياء الذي بشر به عبد الله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى الصديقة الطاهرة البتول التي لم يمسها بشر قط " مريم ابنة عمران " ذلك مسيح الهدى عيسى ابن مريم الوجيه في الدنيا والآخرة المقرب عند الله المنعوت بنعوت الجمال والرحمة لما أنجر بنو إسرائيل فيما بعث به موسى من نعت الجلال والشدة – وبعث الخاتم الجامع بنعت الكمال ؛ المشتمل على الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين . والمحتوي على محاسن الشرائع والمناهج التي كانت قبله صلى الله عليهم وسلم أجمعين . وعلى من تبعهم إلى يوم القيامة) .

أما استهلال (بيان المثقفين) :

(ونحن نرحب بالحوار والمراجعة فالحوار – من حيث المبدأ – خطوة نبيلة لإعادة طرح الأسس الأخلاقية، والتداول حولها؛ من أجل إقامة علاقات أكثر عدلاً وإنصافاً بين الأمم والشعوب، ومن هذا المنطلق نقدم نحن الموقعين هذه الورقة من أرض الحرمين ومهد الإسلام

(المملكة العربية السعودية) وجهة نظر بديلة متطلعين لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات) .

ولا شك أن الفرق بين الاستهلالين من ناحية القوة والعزة والاعتناء بالشرع والأدلة كالفرق بين السماء والأرض!!.

ثانياً : في الكلام على التوحيد :

تكلم شيخ الإسلام رحمه الله على أصل دعوة الأنبياء : التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له مرارا في رسالته ، فمن ذلك :

قوله : (فمن هداه الله صراطه المستقيم ...لا يعبد إلا إياه رغبة ورهبة ومحبة وأخلص دينه لمن الدنيا والآخرة له رب الأولين والآخرين ، مالك يوم الدين ، خالق ما تبصرون وما لا تبصرون عالم الغيب والشهادة الذي أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون ، لم يتخذ من دونه أندادا كالذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولم يشرك بربه أحدا ولم يتخذ من دونه وليا ولا شفيعا ؛ لا ملكا ولا نبيا ولا صديقا ؛ فإن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) .

وقوله (ذلك أن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر – عليه السلام – حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان – بدعة من تلقاء أنفسهم – لم ينزل الله بها كتابا ولا أرسل بها رسولا ؛ بشبهات زينها الشيطان...) .

وقوله (فابتعث الله نبيه نوحا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه ؛ وإن زعموا أنهم يعبدونهم ليتقربوا بهم إلى الله زلفى ويتخذوهم شفعاء..) .

وقوله (بعث الله تعالى إمام الحنفاء وأساس الملة الخالصة والكلمة الباقية : إبراهيم خليل الرحمن . فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص . ونهاهم عن عبادة الكواكب والأصنام..)

وقوله (الأحزاب من بينهم هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فبعث النبي الذي بشر به المسيح ومن قبله من الأنبياء داعيا إلى ملة إبراهيم ودين المرسلين قبله وبعده وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص الدين كله لله وطهر الأرض من عبادة الأوثان ونزه الدين عن الشرك : دقه وجله..) .

وأما في (بيان المثقفين) فلا يوجد شيء من ذلك مطلقاً !!.

ثالثاً : في إبطال دين النصارى :

بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بطلان دين النصارى في أكثر من موضع ، ومن ذلك:

قوله (فتفرق الناس في المسيح عليه السلام ومن اتبعه من الحواريين ثلاثة أحزاب : قوم كذبوه وكفروا به وزعموا أنه ابن بغي ورموا أمه بالفرية ونسبوه إلى يوسف النجار وزعموا أن شريعة التوراة لم ينسخ منها شيء وأن الله لم ينسخ ما شرعه بعد ما فعلوه بالأنبياء وما كان عليهم من الآصار في النجاسات والمطاعم . وقوم غلوا فيه وزعموا أنه الله أو ابن الله وأن اللاهوت تدرع الناسوت وأن رب العالمين نزل وأنزل ابنه ليصلب ويقتل ؛ فداء لخطيئة آدم عليه السلام وجعلوا الإله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . قد ولد واتخذ ولدا ؛ وأنه إله حي عليم قدير جوهر واحد ثلاثة أقانيم وأن الواحد منها أقنوم الكلمة وهي العلم و هي تدرعت الناسوت البشري مع العلم بأن أحدهما لا يمكن انفصاله عن الآخرين ؛ إلا إذا جعلوه ثلاثة إلهات متباينة . وذلك ما لا يقولونه . وتفرقوا في التثليث والاتحاد تفرقا وتشتتوا تشتتا ؛ لا يقر به عاقل . ولم يجئ نقل إلا كلمات متشابهات في الإنجيل وما قبله من الكتب قد بينتها كلمات محكمات في الإنجيل وما قبله كلها تنطق بعبودية المسيح وعبادته لله وحده ودعائه وتضرعه).

وقوله (أرباب التثليث في الوحدانية والاتحاد في الرسالة قد دخل في أصل دينهم من الفساد ما هو بين بفطرة الله التي فطر الناس عليها وبكتب الله التي أنزلها) .

وقوله (هذا يقول : إن جوهر اللاهوت والناسوت صارا جوهرا واحدا وطبيعة واحدة وأقنوما واحدا . وهم اليعقوبية . وهذا يقول : بل هما جوهران وطبيعتان وأقنومان . وهم النسطورية . وهذا يقول بالاتحاد من وجه دون وجه وهم الملكانية) .

وقوله (فمن كان لا يؤمن بالله بل يسب الله ويقول : إنه ثالث ثلاثة وأنه صلب . ولا يؤمن برسله ؛ بل يزعم أن الذي حمل وولد وكان يأكل ويشرب ويتغوط وينام : هو الله وابن الله . وأن الله أو ابنه حل فيه وتدرعه ويجحد ما جاء به محمد خاتم المرسلين ويحرف نصوص التوراة والإنجيل ؛ فإن في الأناجيل الأربعة من التناقض والاختلاف بين ما أمر الله به وأوجبه ما فيها ولا يدين الحق) .

أما في بيان المثقفين فلم يذكروا شيئاً من ذلك ، بل مدحوا النصارى بأنهم أقرب الأديان إلى الإسلام !!.

رابعاً : في ذكر فساد النصارى :

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فساد النصارى في مواضع ، ومن ذلك :

قوله (ولهذا كان عامة رؤسائهم – من القسيسين والرهبان وما يدخل فيهم من البطارقة والمطارنة والأساقفة – إذا صار الرجل منهم فاضلا مميزا فإنه ينحل عن دينه ويصير منافقا لملوك أهل دينه وعامتهم) .

وأما في بيان المثقفين فلم يذكروا شيئا من ذلك .

خامساً : في ذكر تبشير عيسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام :

بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن عيسى قد بشر بمحمد عليهما الصلاة والسلام ، ومن ذلك :

قوله (وقد أخبر الحواريون عن خاتم المرسلين أنه يبعث من أرض اليمن وأنه يبعث بقضيب الأدب وهو السيف . وأخبر المسيح أنه يجيء بالبينات والتأويل) .

وأما في بيان المثقفين فلم يذكروا شيئا من ذلك .

سادساً :في ذكر تناقضاتهم :

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى تناقضات اليهود والنصارى :

كقوله (إن هؤلاء عمدوا إلى الشريعة التي يعبدون الله بها فناقضوا الأولين من اليهود فيها ؛ مع أنهم يأمرون بالتمسك بالتوراة ؛ إلا ما نسخه المسيح . قصر هؤلاء في الأنبياء حتى قتلوهم . وغلا هؤلاء فيهم حتى عبدوهم وعبدوا تماثيلهم ...ثم ذكر جملة من ذلك)

وأما في بيان المثقفين فلم يذكروا شيئا من ذلك .

سابعاً : في ذكر بدعهم :

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بدع النصارى وأبطلها ، ومن ذلك :

قوله (إن الصلاة إلى المشرق لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون ؛ وإنما ابتدعها قسطنطين أو غيره ، وكذلك الصليب إنما ابتدعه قسطنطين برأيه وبمنام زعم أنه رآه ، وأما المسيح والحواريون فلم يأمروا بشيء من ذلك ، والدين الذي يتقرب العباد به إلى الله لا بد أن يكون الله أمر به وشرعه على ألسنة رسله وأنبيائه ؛ وإلا فالبدع كلها ضلالة وما عبدت الأوثان إلا بالبدع . وكذلك إدخال الألحان في الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون ، وبالجملة فعامة أنواع العبادات والأعياد التي هم عليها لم ينزل بها الله كتابا ولا بعث بها رسولا) .

وفي بيان المثقفين لم يذكروا شيئا من ذلك .

ثامناً :في ذكر الجهاد في سبيل الله :

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن قتال الكفار شرعه الله سبحانه ، ومن ذلك :

قوله (إن أصل الدين هو الإيمان بالله ورسوله كما قال خاتم النبيين والمرسلين : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)) .

وقوله (من لم يؤمن به من الأمم فإن الله أمر بقتاله كما قال في كتابه : (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**)) .

وقوله (فمن هذا حاله فقد أمر الله رسوله بجهاده حتى يدخل في دين الله أو يؤدي الجزية وهذا دين محمد صلى الله عليه وسلم)

وأما في بيان المثقفين فأبعد ما يكون عن هذا الأمر ، بل هو قائم على البراءة من الجهاد في سبيل الله وأهله كما سيأتي إن شاء الله تعالى ! .

تاسعاً : في العناية بأسرى المسلمين والسؤال عنهم :

أن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ذكر الأسرى المسلمين وأمر بحسن معاملتهم وهدد الملك وقومه في مواضع ، ومن ذلك :

قوله (ليس الأسرى في رعية الملك أليست عهود المسيح وسائر الأنبياء توصي بالبر والإحسان . فأين ذلك . ثم إن كثيرا منهم إنما أخذوا غدرا والغدر حرام في جميع الملل والشرائع والسياسات فكيف تستحلون أن تستولوا على من أخذ غدرا أفتأمنون مع هذا أن يقابلكم المسلمون ببعض هذا وتكونون مغدورين والله ناصرهم ومعينهم ؛ لاسيما في هذه الأوقات والأمة قد امتدت للجهاد) .

وقوله (ثم عند المسلمين من الرجال الفداوية الذين يغتالون الملوك في فرشها وعلى أفراسها : من قد بلغ الملك خبرهم ؛ قديما وحديثا).

وقوله (كيف يحسن أيها الملك بقوم يجاورون المسلمين من أكثر الجهات أن يعاملوهم هذه المعاملة التي لا يرضاها عاقل ؛ لا مسلم ولا معاهد) .

وقوله (ما يؤمن الملك أن هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدته ينتقم لهم رب العباد والبلاد كما ينتقم لغيرهم وما يؤمنه أن تأخذ المسلمين حمية إسلامهم فينالوا منها ما نالوا من غيرها ونحن إذا رأينا من الملك وأصحابه ما يصلح عاملناهم بالحسنى وإلا فمن بغي عليه لينصرنه الله) .

وقوله (هو مساعدته للأسرى الذين في بلاده وإحسانه إليهم وأمر رعيته بالإحسان إليهم والمعاونة لنا على خلاصهم ؛ فإن في الإساءة إليهم دركا على الملك في دينه ودين الله تعالى ودركا من جهة المسلمين ، وفي المعاونة على خلاصهم حسنة له في دينه ودين الله تعالى وعند المسلمين ؛ وكان المسيح أعظم الناس توصية بذلك) .

وقوله (كيف يمكن السكوت على أسرى المسلمين في قبرص سيما وعامة هؤلاء الأسرى قوم فقراء وضعفاء ليس لهم من يسعى فيهم).

وأما في بيان المثقفين فلم يذكروا (أسرى المسلمين في كوبا) بحرفٍ واحدٍ ، وهم الذين ذكرهم الكفار ، واحتجت على سوء معاملتهم المنظمات الكافرة كالصليب الأحمر وحقوق الإنسان وغيرها!! .

عاشراً : في الدفاع عن المجاهدين :

أن شيخ الإسلام رحمه الله دافع عن المجاهدين الذين قاتلوا ملك قبرص:

فقال : (إن قال قائل : هم قاتلونا أول مرة . قيل : هذا باطل فيمن غدرتم به ومن بدأتموه بالقتال . وأما من بدأكم منهم فهو معذور لأن الله تعالى أمره بذلك ورسوله بل المسيح والحواريون أخذ عليهم المواثيق بذلك ولا يستوي من عمل بطاعة الله ورسله ودعا إلى عبادته ودينه وأقر بجميع الكتب والرسل وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وليكون الدين كله لله ومن قاتل في هوى نفسه وطاعة شيطانه على خلاف أمر الله ورسله) .

وأين هذا الكلام مما في (بيان المثقفين) من مشاركة الكفار شعورهم في حوادثهم ، والبراءة من المجاهدين وتسميتهم بالإرهابيين ، ومشاركة الكفار وموافقتهم على حربهم !! . [1]

[1] أما تلطف شيخ الإسلام مع الملك وذكره ببعض الأوصاف الحسنة فهذا لا بأس فيه إذا كان لمصلحة شرعية وكان الكلام صدقاً ، وانظر إلى كلامه السابق فإنه لم يداهن الملك مطلقاً في دعوته للتوحيد وإبطال دينه وبيان فساده ودفاعه عن المجاهدين والأسرى . والمقصود هنا أن احتجاج من احتج لبيان المثقفين بمثل هذه الرسالة من أبعد ما يكون عن الصحة كما ظهر لك في هذه المقارنة ، ولا نقصد أن يقال كقول شيخ الإسلام رحمه الله هنا ، بل نريد أن نبين فساد احتجاجهم برسالته .

الفصل الثالث

نقض بيان المثقفين عقلا

المبحث الأول : بالنظر إلى الأمريكان :

المبحث الثاني : بالنظر إلى التاريخ :

المبحث الثالث : بالنظر إلى الواقع :

المبحث الرابع : بالنظر إلى طبيعة البيان :

المبحث الخامس : بالنظر إلى مؤيدي البيان :

تمهيد

إن كثيراً من الموقعين أو المؤيدين للبيان يندر أن يذكروا في تأييدهم له أدلة شرعية ، و إنما يؤيدونه من باب (المصلحة) ، و (العقلانية) ، و (الواقعية) ، و (بعد النظر) ، و (رجاحة العقل) ، و (الحكمة) ، و (موازنة الأمور) ، و نحو هذه العبارات .

فأردت من خلال هذا الفصل أن أبين أن (الواقعية) و (العقلانية) و (بعد النظر) و (رجاحة العقل) و (الحكمة) كلها تدل على فساد هذا البيان ، من دون نظر إلى الشرع.

وهذا كله يعود إلى أصل عظيم وهو :

إن كل معقول يؤدي إلى خلاف الشرع فهو معقول فاسد ، وقد فصل الكلام على هذا الأصل شيخ الإسلام رحمه الله في الدرء ، وابن القيم رحمه الله في الصواعق .

وبقراءة هذا الفصل سيتبين لك الأمر جلياً في مسألتنا إن شاء الله تعالى .

المبحث الأول
بالنظر إلى الأمريكان

إن (بيـان المثقفـين) كمـا يقـول أصـحابه موجـه لشـريحة معينـة ممـن يسـمون بـ(المثقفين) الأمريكان ، وسؤالنا هنا :

هل هؤلاء الذين وجّه هذا البيان إليهم يجهلون دين الإسلام حقاً حتى ينفع معهم مثل هذا الخطاب في تغيير صورة الإسلام في أذهانهم؟! .

أو بمعنى آخر :

هل سينجح هذا الخطاب في تغيير فكرة هؤلاء عن الإسلام القائم عندهم على الجهاد في سبيل الله وهو ما يسمونه (إرهاباً) ، وعلى تقسيم العالم إلى (مسلمين) و (كفار) من حيث الموالاة والمعاداة وهو ما يسمونه (عنصرية) و (كراهية الآخرين) ، وغير هذا مما حاول البيان تقديمه ؟!.

وهل سيقتنعون بأن الإسلام ضد (الصدام) و (الصراع) و (العنف) ، وأنه مع (الحوار) و (التعايش) و (السلام) ، وأنه يمهد لاستقرار المؤمنين وغير المؤمنين ، ونحو هذا ؟![1] .

من الممكن أن نقسم (تصور) هؤلاء الأمريكان للإسلام إلى قسمين كالتالي :

القسم الأول :

الإسلام الحقيقي : وأعني به الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء به القرآن ، وحكم به المسلمون ، وفتحت به الأمصار ، وبقي أربعة عشر قرناً محفوظاً من التحريف ، من الدين القائم على التوحيد ، والولاء والبراء ، والجهاد في سبيل الله ، ونحو هذا .

القسم الثاني :

الإسـلام الإضـافي : وأعـني بـه الـذي يختلـف بـاختلاف النـاس المضـاف إلـيهم ؛ كإسـلام المعتدلين (!) ، والإسلام الأمريكي (!) ، وإسلام الصوفية ، وإسلام الروافض ، ونحو هذا.

---

[1] ولو قام أحد المثقفين هؤلاء بقراءة (ترجمة لمعاني القرآن) فقط لرأى أكثر آياته ترد هذا القول .

فبالنسبة إلى القسم الأول :

فالناظر في التاريخ المعاصر يعلم أن (المتخصصين) من كفار أمريكا والغرب المهتمين بـ(الدراسات الإسلامية) يعلمون الإسلام جيداً ، ويعرفون أصوله ، ويوجد عندهم من (المراكز) ، و (كليات الجامعات) ، و (المعاهد) المتخصصة في هذا الشيء الكثير ، بل ويقومون بترجمة أهم الكتب الإسلامية القديمة والحديثة ودراستها[1] .

بل إن الدول الغربية عموماً منذ سقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء ما يسمى بالحرب الباردة قد جعلوا (الإسلام) هو العدو الرئيس لهم ، وقد صرح بذلك عدد من زعمائهم ، وما ذلك إلا لمعرفتهم بحقيقته ، وألفت في ذلك كتب كثيرة ، منها كتاب (أمريكا والإسلام السياسي صراع حضارات أم تضارب مصالح) ومؤلفه فواز جرجس ، وكما في كتاب (صدام الحضارات) لصمويل هنتغتون – وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل إن شاء الله – ، وكما في كتاب نيكسون (نصر بلا حرب) ، وفيه قوله : "وفي العالم الإسلامي من المغرب إلى إندونيسيا تخلف الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف" .

و قال (خفير سولانا) أمين عام حلف شمال الأطلسي سابقاً في اجتماع للحلف عام ١٤١٢ بعد سقوط الاتحاد السوفييتي " بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط العدو الأحمر يجب على دول حلف شمال الأطلسي ودول أوربا جميعاً أن تتناسى خلافاتها فيما بينها وترفع أنظارها من على أقدامها لتنظر إلى الأمام لتبصر عدواً متربصاً بها يجب أن تتحد لمواجهته وهو الأصولية الإسلامية" .

---

[1] بل إن (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) و (لألفاظ الحديث) و (مفتاح كنوز السنة) وغيرها من المعاجم والكتب المتخصصة الإسلامية إنما هي من وضع المستشرقين الغربيين !! ، وليست معرفة أصول دين الإسلام بالشيء الصعب ، بل يكفي أن يقرأ أحدهم ترجمة لمعاني القرآن الكريم ليعرف أن من أهم أصول الإسلام (الولاء والبراء) ومن أعظم تشريعاته (الجهاد في سبيل الله) !، ومن المعلوم أن السياسات الغربية تجاه الإسلام تقوم على دراسات المتخصصين من أصحاب الخبرة بدين الإسلام ، ولا تقوم على دراسات يقوم بها (عوام في هذا الباب) من الممكن تغيير فكرهم بعشر ورقات !!.

وفي صحيفة (صنداي تلغراف) ٢٣ سبتمبر ٢٠٠١ كتب الصحفي (ستيفن سكوارت) مقالاً بعنوان (المسألة كلها بدأت من العربية السعودية) ، وكان مما قاله فيه :

"وعليه فإننا يجب أن نسأل أنفسنا ما الذي جعل من هؤلاء الأفراد وحوشا؟ ما الذي يُحفّز نزعات العنف في ثاني أكبر أديان العالم (وأسرع الأديان نمواً في أمريكا) ؟" .

ثم قال : " إن الكثير منهم سوف يجيبونك بكلمة واحدة: إنها "الوهابية". إنه صنف متوتر من الإسلام ، انبثق أو ظهر ، ليس خلال الحملات الصليبية ، ولا حتى خلال حروب مقاومة الأتراك في القرن السابع عشر ، وإنما منذ أقل من قرنين فقط . إنها حركة عنيفة ، إنها قليلة الاحتمال ، إنها شديدة التعصب للنموذج ".

وقال : " الوهابية هي المقابل الإسلامي للطائفة البروتستانتية الأكثر تطرفاً. إنها حركة متقشفة وتطالب بالعقاب لأولئك الذين يستمتعون بأي نوع من الموسيقى ما عدا الدف ، وبالعقاب الصارم حتى الموت لممارسة السكر أو المحرمات الجنسية ، وهي تدين من لا يصلون بوصفهم كفاراً ، في رؤية لم يحدث أن وُجدت في السابق ، في السياق الرئيس للإسلام . إنها دعوة إلى الإسلام المجرد : صلوات وجيزة ، ومساجد غير مزخرفة ، وهدم للأضرحة (نظراً لأن المساجد المزخرفة والمقابر ، تعرض أنفسها أماكنَ للتقديس ، وهو ما يحمل معنى الوثنية في العقل الوهابي) ، والوهابيون لا يسمحون حتى لاسم النبي محمد بأن يكون منقوشاً على المساجد ، كما لا يسمحون بأن يُحتفل بعيد ميلاده[١] ".

ونشرت صحيفة (نيويورك تايمز) مقالاً في عددها الصادر يوم الجمعة ١٤٢٢/٨/٣ الموافق ٢٠٠١/١٠/١٩ اتهمت فيه مدارس السعودية بأنها تصنع الإرهاب من خلال بثّ الأفكار المتطرفة والمعادية للغرب في عقول أبنائها ، وزعمت تلك الصحيفة الأمريكية أن كتب الدين الدراسية في مدارس السعودية تحتوي على تحذيرات للمسلمين من تكوين أي صداقات مع

---

[١] انظر إلى معرفته لمسألة تكفير تارك الصلاة ، وزخرفة المساجد ، وهدم الأضرحة ، والاحتفال بالمولد النبوي ، بل والتفريق بين الموسيقى والدف !! وأعتقد أن هذه الأمور قد يجهلها بعض من وقع على بيان المثقفين ، هذا وهو صحفي ، فكيف بالمتخصصين ؟!.

اليهود والمسيحيين ؛ لأنهم كفرة وأعداء لهم ، وذكرت في هذا (كتاب التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى !! .

وفي دورية (الفورين أفريز) التابعة للشؤون الخارجية الأمريكية[١] — خريف ١٩٩٧م — يقول ليزلي جيلب :

" **الإسلام لا يعترف بالتعايش مبدأ ، فالتعايش يتنافى مع مفهوم الإسلام للنظام العالمي**"[٢].

وتقول جوديث ميللر — في نفس الدورية — :

" تقريباً كل الإسلاميين أنصار للعنف ، ويعارضون الديمقراطية والتعددية ، وكلهم سيظلون معادين للغرب ولأمريكا ولإسرائيل ، إن فكرة الدولة الإسلامية كما يعتنقها معظم مؤيديها لا تنسجم مع القيم والحقائق التي يعتبرها الأمريكان وعظم الغربيين حقائق مسلمة ولا تحتاج لإثبات لأنها واضحة بذاتها ، **إن أي حوار أمريكي مع تلك القوى الإسلامية يعتبر مضيعة للوقت** " .

وصرّح (بول وولفويتز) نائب وزير الدفاع الأمريكي يوم الأربعاء ٢٤ / ٣ / ١٤٢٣ أمام مؤتمر أكاديمي – كما ذكرته صحيفة واشنطن تايمز يوم الخميس ٣/٢٥[٣] – بأن : معركتهم ليست مع القاعدة فحسب ، بل هي مع الفكر السلفي (الوهابي) المنتشر في العالم الإسلامي ! ، وكان مما قاله : إن هدف الإرهابيين الإسلاميين هو جر العالم الإسلامي إلى العودة إلى أفكار القرون الوسطي ؛ حيث اضطهاد النساء —كما يزعم وولفويتز– والترويج للتعصب والتطرف الديني ؛ وتلقين الأطفال الكراهية [٤].

---

[١] مجلة البيان : عدد ١٤٤ — شعبان — ١٤٢٠ — ص ١٣١ .

[٢] وقد صدق في هذا !!.

[٣] نقلاً عن موقع مفكرة الإسلام .

[٤] وما قاله صحيح على كفره ، فالصادقون من المسلمين يريدون أن يعودوا بالأمة إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في القرون المفضلة التي سماها (أفكار القرون الوسطى) ، وأن يكرموا المرأة بإلزامها بالحجاب والحشمة والعفة والستر والصيانة — والتي سماها هذا الكافر اضطهادا! – ، وأن يقوم دينهم على الولاء والبراء (الذي

=

ولن أستطرد في ذكر النقول عنهم في هذا الباب التي تدل على فهم جيد لدين الإسلام وموقفه من الكفار والديمقراطية ونحوها – وكلامهم كثير جداً – ، ولكني سأكتفي ببعض النقول عن أحد أشهر الموقعين على (بيان المثقفين الأمريكان) وهو :

صمويل هنتنغتون[1] :

وقد اشتهر هذا الرجل بكتابه (صدام الحضارات) [2] ، وقد ذكر فيه ما يدل على معرفته بدين الإسلام [3]، ومن ذلك :

قوله تحت عنوان (**الإسلام والغرب**) [4]:

" بعض الغربيين – من ضمنهم بيل كلنتون – يطرحون أن الغرب ليس لديه مشاكل مع الإسلام ، ولكن مع المتشددين الإسلاميين الذين يدعون للعنف " .

ويعقب هنتنغتون على هذا بقوله :

" أربعة عشر قرناً أثبتت عكس ذلك[5] ، العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت غالباً عاصفة ، كل واحد كان آخراً للآخر [6] ، صراع القرن العشرين بين الليبراليين والديمقراطيين والماركسيين اللينيين ظاهرة سطحية زائلة مقارنة بالعلاقة التصارعية العميقة والمستمرة بين

سماه تعصبا وتطرفاً دينياً) ، وأن يلقنوا أولادهم ملة إبراهيم القائمة على البراءة من الكفار وبغضهم وعداوتهم التي سماها (الكراهية)!!.

[1] أحد كفرة أمريكا ، أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفرد ، وسنتوسع في النقل عنه لأمرين :

الأول : أنه يعد من أشهر المفكرين الاستراتيجيين في أمريكا ، ومدير أكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية ، وكان مسئولا في مجلس الأمن القومي الأمريكي.

الثاني : أنه من أبرز الموقعين على بيان المثقفين الأمريكان .

[2] وقد قسم في كتابه هذا الحضارات في العالم إلى (ثمان حضارات) ، وذكر أن أخطرها على الحضارة الغربية هي : الحضارة الإسلامية ، والحضارة الكنفوشيوسية (الصينية) .

[3] والمقصود من معرفته هنا بدين الإسلام أن دراسته له قائمة على الاستقراء التاريخي ، بالإضافة إلى معرفة بأصوله ، ومعرفة واقع المسلمين اليوم كما يظهر جلياً في كتابته عنه .

[4] صدام الحضارات : ترجمة : مالك أبو شهيوة ، ومحمود خلف – الدر الجماهيرية للنشر – ط١ – ١٤١٩ : ص ٣٧٠ ، ٣٧١.

[5] هنا يرد بالاستقراء التاريخي ، لا بمجرد دراسات عابرة ، فقد ذكر بعد ذلك حركة الفتوحات الإسلامية !!.

[6] كذا في الترجمة ، ولعله : كان نداً للآخر .

الإسلام والمسيحية . في أوقات التعايش السلمي كان ظاهرة [كذا] وغالباً العلاقة كانت صراعاً حاداً أو درجات من الحرب الساخنة (ديناميكيتها التاريخية) ...حسب أربعة عشر قرناً سقط الدينان في سلسلة خطيرة من الاندفاعات ومعارضة هذه الاندفاعات .

مبدءا العرب المسلمون حققوا توسعاً خارجياً من أوائل القرن السابع إلى منتصف القرن الثامن ، وبنوا حكماً إسلامياً في الشمال الأفريقي ، وفي إيبيريا[1] ، والشرق الأوسط ، وبلد الفرس ، والشمال الهندي . ولمدة قرنين أو أكثر استقرت خطوط التقسيم بين الإسلام والمسيحية ، ثم في أواخر القرن الحادي عشر أكد المسيحيون السيطرة على غرب البحر المتوسط ، وأخضعوا صقلية ، واستولوا على طليطلة ، في عام ١٠٩٥ م بدأ المسيحيون الحروب الصليبية ، ولمدة قرن ونصف القرن ، الملوك المسيحيون حاولوا بنجاح محدود إقامة حكم مسيحي في الأراضي المقدسة والأراضي المحيطة بها في الشرق الأقصى . وفقد المسلمون قرطبة موقع أقدامهم الأخير[2] في ١٢٩١م . وفي نفس الوقت ظهر العثمانيون إلى الوجود ، أولا أضعفوا بيزنطة ، ثم أخضعوا البلقان ، وكذلك شمال أفريقيا ، واستولوا على القسطنطينية في ١٤٥٣م ، وحاصروا فيينا في عام ١٥٢٩ م ، في حدود ألف سنة تقريباً – لاحظ برنارد لويس – بأنه منذ الوهلة الأولى التي حط فيها المغاربة في أسبانيا ، إلى الحصار التركي الثاني لفيينا ، كانت أوربا تحت تهديد مستمر من الإسلام .

الإسلام الحضارة التي وضعت استمرار الغرب في شك ، ولقد فعلت ذلك مرتين على الأقل ".

ثم قال بعد كلام على الاستعمار الأخير [3]:

---

[1] يعني : الأندلس .

[2] آخر معقل للمسلمين في الأندلس كانت (غرناطة) ، وسقوطها كان عام ٨٩٧(١٤٩٢م) ، ولكن لعل المراد هنا سقوط (أكبر) معاقل المسلمين (قرطبة) ، لا (آخر) معاقلهم ، وكان هذا عام ٦٣٣ ، وبقراءة مسلسل سقوط معاقل المسلمين في الأندلس تظهر لك مصائب عظيمة من تولي ملوك الطوائف للكفار وإعانتهم لهم على باقي المسلمين ، ويكفي أن تعرف أن ملك غرناطة ابن الأحمر أرسل كتيبة لإعانة ملك قشتالة النصراني ضد أهل أشبيلية المسلمين لما رفضوا معاهدات الذل معهم إلى أن سقطت بأيدي الكفار عام ٦٤٦ ، والله المستعان .

[3] صدام الحضارات : ص ٣٧٢ –٣٧٥.

"أسباب هذا النمط من الصراع يكمن ليس في ظاهرة التحولات المسيحية في القرن الثاني عشر ، أو أصولية القرن العشرين الإسلامية . **إنها تنبع من طبيعة الدينين ، والحضارات المؤسسة على مبادئهما** .

الصراع كان من جهة نتاج خلافات ، وخاصة مفهوم المسلم بأن الإسلام منهج الحياة ، يوحد الدين والسياسة ، ضد المفهوم الغربي المسيحي الذي يفصل الدين عن السياسة . ولكن الصراع أيضاً ينشأ من التشابه بينهما ، كل منهما يؤمن بالله الواحد [1] وفي ذلك يختلفان عن الأديان الأخرى التي تشرك بالله . كل منهما يرى العالم بطريقة مزدوجة (نحن) و (هم)[2] . كل منهما عالمياً يدعي بأنه الإيمان الحقيقي والذي يجب أن تعتنقه كل الإنسانية . كل منهما صاحب رسالة دينية يعتقد بأن معتقديه ملتزمين [كذا] بتحويل غير المؤمنين إلى ذلك الإيمان الحقيقي الواحد [3] .

الإسلام من بدايته انتشر بحد السيف ، وعندما سنحت الفرصة للمسيحية فعلت كذلك . تماثل مفهوم (الجهاد) و (الصليب) لا يجعل الدينين متشابهين فقط ، ولكن تميزهما عن الأديان الكبرى الأخرى ...

وحيث إن الإسلام يبقى إسلاماً (وسيبقى) والغرب سيبقى غرباً (مشكوك فيه) هذا الصراع الأساسي بين حضارتين عظيمتين سيستمر لتحديد علاقتهما في المستقبل مثلما حددها في السابق خلال الأربعة عشر قرناً ...

وفي أعقاب الحرب الباردة تزايدت شدة العداوة التاريخية ، وقد اعترف بها أعضاء من المجتمعين " .

ويقول [4] :

---

[1] أي توحيد للنصرانية المثلثة ؟!! .

[2] يعني تقسيم العالم إلى (مؤمن) و (كافر) .

[3] وقوله هذا بالنسبة للمسلمين هو الموافق للأدلة الشرعية كما سيأتي إن شاء الله ، و قارن قوله مع قولهم في بيان المثقفين (وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي)!!.

[4] صدام الحضارات : ٣٧٦ .

"هم يؤكدون الاختلاف بين حضارتهم والحضارة الغربية ، وتفوق ثقافتهم ، ويؤكدون على الحاجة إلى المحافظة على سلامة وكمال هذه الثقافة ضد الهجوم الغربي . المسلمون يخافون ويزدرون القوة الغربية والتهديد الذي تشكله هذه القوة الغربية على المجتمع الإسلامي ومعتقداته . المسلمون يرون الثقافة الغربية ثقافة مادية ، فاسدة ، ولا أخلاقية ، وينظرون إليها بأنها مغرية ، ولذلك يؤكدون مقاومة تأثيرها على طريقة حياتهم . المسلمون يهاجمون بشكل متزايد الغرب ، ليس لارتباط الغرب بالدين غير الصحيح والذي هو (دين الكتاب) ، ولكن لعدم ارتباط الغرب بأي دين على الإطلاق ".

وختم كلامه هذا بقوله [1]:

"**المشكلة في الغرب ليست الأصولية الإسلاموية ، المشكلة الإسلام** . حضارة مختلفة ، وشعوبها مقتنعة بتفوقها الثقافي ، وواعية بدونية موقفها .

المشكلة بالنسبة للإسلام ليس المخابرات الأمريكية أو وزارة الدفاع ، المشكلة الغرب ، حضارة مختلفة ، شعوبها مقتنعة بعالمية ثقافتها ، واعتقاد هذه الشعوب بتفوقها ، القوة تجبرهم بالالتزام لتوسيع تلك الثقافة خلال العالم .

هذه هي المكونات الأساسية ، والتي تشغل الصراع بين الإسلام والغرب" .

ومما يدل على متابعة هنتغتون لديننا وفكرنا و ما يصدر عن المسلمين ما ذكره في كتابه هذا - (صدام الحضارات) — عن موقف أحد الموقعين على (بيان المثقفين) وفقه الله أثناء أزمة الخليج فقال [2]:

" وفي خريف ١٩٩٠م عميد الكلية الإسلامية في (مكة) الدكتور سفر الحوالي أعلن في شريط مسجل وزع في السعودية العربية بأن تلك الحرب ليست هي : العالم ضد العراق ، إنها الغرب ضد الإسلام".

---

[1] صدام الحضارات : ٣٨٣ .

[2] صدام الحضارات : ٤٢٩ .

وفي مقابلة لصمويل هنتغتون أيضاً في مجلة المجلة جاء فيها [1] :

"**س** : قلت إن المشكلة بالنسبة للغرب ليست الإسلاميين المتطرفين ، إنما الإسلام كله؟

ج : نعم ، قلت ذلك ، الإسلام بكل طوائفه وأقسامه في مختلف الدول ، عبارة عن حضارة كاملة ، تشمل الدين والدنيا ، وكل مظاهر الحياة اليومية ؛ ولهذا قلت : **إن الإسلام ونظام الدول الغربية لن يلتقيا** "

" **س** : لماذا أنت متشائم حول مستقبل العلاقات بين الغرب والإسلام ؟.

ج : ما دام الإسلام سيبقى إسلاماً ، وليس هناك أي شك في ذلك ، وما دام الغرب سيبقى غرباً ، ولا يتوقع أحد أن يصبح الغرب شرقاً ، سيظل الصراع قائماً بينهما كما ظل قائماً لأربعة عشر قرناً". [2]

فعند التأمل في هذه الأقوال والنقول :

نعلم أن القوم يعرفون أصول دين الإسلام جيداً ، ولهم في ذلك : مراكز ، ودراسات ، وأبحاث ، ورسائل ، وتقارير ، ومؤتمرات ، واستقراء للتاريخ ، ولكتب المسلمين ، وغير ذلك ، وأنه من السذاجة [3] بمكان أن نعتقد أننا نستطيع تغيير فكرتهم عن (حقيقة الإسلام) بورقات معدودة ، أو حتى بمجموعة من الكتب ، أو الحوارات .

هذا إذا كان المطلوب هو تعديل تصورهم لـ(الإسلام الحقيقي) .

أما إذا كان المطلوب هو تعديل تصورهم لـ(إسلام الموقعين) على هذا البيان ، وأنهم من أصحاب (الإسلام المعتدل) لا (الإرهابي) أو (الراديكالي) كما نصوا عليه في قولهم (**لكننا نقدم المفهوم الوسطي المعتدل ، ونسعى لإشاعته**) ، فهذا البيان قد ينجح في ذلك ، إلا أن الواجب أن لا ينسبوا هذه الأمور إلى (دين الإسلام) و (الشريعة) و (تعاليم محمد صلى

---

[1] المجلة : عدد ٨٩٦ – ١٣ / ٤ / ١٩٩٧ م.

[2] هناك نقول أخرى عن رجل آخر من مشاهير الموقعين على بيان المثقفين الأمريكان وهو (فوكوياما) صاحب كتاب (نهاية التاريخ) تكلم فيها عن (الفاشية الإسلامية) و (الوهابية) تركتها اختصاراً .

[3] وهذه السذاجة يصفها بعض العباقرة بقوله : (نظرة عميقة لا يفهمها السطحيون) !!.

الله عليه وسلم) ، بل عليهم أن ينسبوها إلى (أنفسهم) و (آرائهم الخاصة) و (اجتهاداتهم)!!

.

المبحث الثاني

بالنظر إلى التاريخ

وسيكون الكلام في هذا المبحث على قسمين :

القسم الأول : بالنظر إلى تاريخ الإسلام :

والقسم الثاني : بالنظر إلى تاريخ بعض الموقعين على البيان :

أما القسم الأول :

فالذي يقرأ (بيان المثقفين) يخرج بنتيجة مؤداها : أن الإسلام دين ينبذ (الصدام) و (الصراع) و (العنف) و (منازعة الشعوب في ثرواتها) وأنه أتى (لاستقرار المؤمنين وغير المؤمنين) و أنه (لا يلزم الناس بشريعته) و (لا يكره أحداً على اعتناق دينه) وغير هذا مما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وبالنظر إلى تاريخ الإسلام في القرن الأول فقط وهو أفضل القرون نرى خلاف هذا :

فالنبي صلى الله عليه وسلم مكث بعد هجرته إلى المدينة عشر سنوات غزى بنفسه خلالها خمساً و عشرين غزوة تقريباً ، وكانت سراياه وبعوثه التي يرسلها أكثر من ستين سرية حتى لم يمت صلى الله عليه وسلم إلا وقد دخل الناس في جزيرة العرب في دين الإسلام ، وهذا كله يدل على أن الإسلام دين (صراع) و (تصادم) و (إلزام للغير بشريعته) ، ويدل على أنه لم يستقر غير المؤمنين بوجود الإسلام ، بل على العكس فقد أرهقهم القتال مع وجود الإسلام !.

ثم بعد أن مات النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما صنع الصحابة رضوان الله عليهم مقاتلة المرتدين الذين خرجوا من دين الإسلام !، وعرفت هذه الحروب فيما بعد بـ(حروب الردة) ، فجمع أهل الإسلام في هذا بين : (الصراع) و (الإكراه على الدين) ، وهذان الأمران أنكرهما (بيان المثقفين) !.

ثم بعد أن انتهت حروب الردة توجهت جيوش المسلمين إلى (فارس) و (الروم) و (مصر) ففتحوها ، وحكموا أرضهم ، وغنموا كنوزهم ، وأخذوا أموالهم ، وامتلأت خزائن بيت مال المسلمين من ذلك ، قال الذهبي رحمه الله [١] :

"واستولى المسلمون في ثلاثة أعوام على كرسي مملكة كسرى ، وعلى كرسي مملكة قيصر ، وعلى أمي بلادهما ، وغنم المسلمون غنائم لم يسمع بمثلها قط من : الذهب ، والجوهر ، والحرير ، والرقيق ، والمدائن ، والقصور . فسبحان الله العظيم الفتاح".

ثم استمروا في جهادهم حتى وصلوا جبال البرانس شمال الأندلس غرباً ، وسور الصين شرقاً في أقل من قرن من الزمان ، وفتحوا ما بينها من البلدان ، وحكموها بالإسلام!.

وهذا كله يدل على أن دين الإسلام دين (صراع) و (منازعة للشعوب في ثرواتهم) و (إلزام للغير بالشريعة) و أنه لم يأت لاستقرار غير المؤمنين به !.

هذا فقط في (القرن الأول) من (الإسلام) وهو قرن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ، وهو مليء بالصراعات كما سبق .

فهنا تبرز عدد من الاحتمالات وهي :

إما أن يكون أولئك على الحق ، وما في بيان المثقفين باطل !! .[٢]

وإما أن يكون أولئك لم يفهموا الإسلام جيداً كما فهمه أصحاب بيان المثقفين !!.[٣]

وإما أن يكون ذلك هو الإسلام الحق ، وهؤلاء يريدون تقديم إسلام آخر (معتدل) مناسب للعصر !! .[٤]

---

[١] تاريخ الإسلام : عهد الخلفاء الراشدين : ص ١٥٩ .

[٢] وهذا هو الصواب .

[٣] ومن قال هذا فهو كافر مرتد !!.

[٤] وهذا باطل ، فإن الدين قد اكتمل بحمد الله ، كما قال تعالى (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت لكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) ، قال الإمام مالك رحمه الله : من ابتدع بدعة في الدين يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله سبحانه يقول (**اليوم أكملت لكم دينكم**) وما لم يكن يومئذ دينا ، فليس اليوم دينا) .

وأما القسم الثاني :

وهو بالنظر إلى تاريخ بعض الموقعين على البيان :

فقد سبق في المبحث الأول من الفصل الثاني أن ذكرت بعضاً من أقوال بعض الموقعين على البيان – هداهم الله – والذي يناقض تمام المناقضة ما كتب في (بيان المثقفين) من دعوة للتعايش ، والاحترام المتبادل ، والحوار ، ونبذ للصراع ، وبراءة من الإرهابيين ونحو ذلك.

والمقصود هنا أن أحد هذين القولين حق والآخر باطل[1] :

فإما أن يكون قولهم الأول حقاً ، وما في هذا البيان باطل .

وإما أن يكون قولهم الأول باطلاً ، وما في هذا البيان حق .

فإن كان الأول فظاهر .

وإن كان الثاني فهنا أمران :

الأول : إن كانت تقريراتهم السابقة في الخطب والمحاضرات والكتب والرسائل المؤيدة بالأدلة والمناقشات العلمية باطلة ، فهذا يدل على أنهم قد يبقون سنين يقررون الباطل وينشرونه بقوة باعترافهم ، فما الذي يضمن في هذا الوقت أن هذا البيان والذي نشر بقوة أيضاً لن يأتي بعده زمن ويقررون فيه خلافه ويقولون ببطلانه ؟! فأقل ما يحدث في النفس بسبب هذا (التوقف)! .

الثاني : أنهم إذا قالوا بأن ما ينادون به في السابق باطل ، فإنه يلزمهم البراءة مما فيه ، وتحذير الناس من ذلك ، فإنه لا تزال تلك التقريرات باقية عند شريحة منهم !! .

ولاشك أن هذا الشعور بالتناقض العجيب ليس مختصاً بكاتب هذه السطور ، ولا مختصاً بفئة من يسمون بالإسلاميين ، بل إن أعداء الإسلاميين من علمانيين وحداثيين وغيرهم رأوا هذا الأمر أيضاً ، فتسلطوا على الدعاة الموقعين على البيان – هداهم الله – لهذا السبب ، مطالبين بالاعتذار عن مواقفهم السابقة ، وامتلأت الصحف والمجلات بذلك :

---

[1] بلغ تقديس الرجال ببعضهم أن جعل كلا القولين – على ما بينهما من تناقض – حقاً ! فكأنه صدر ممن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !! والمسألة هنا في (أصول الدين) مما بينه القرآن والسنة وعليه إجماع أهل العلم فلا يحتمل الاجتهاد أوتغير (الفتوى) بتغير الزمان !.

فقد كتب أحد المعروفين بكتاباته عن الإسلاميين في الجريدة المسماة بـ(الحياة) [1] :

"ألم تكونوا بالأمس القريب تفكرون داخل مرجعية ثقافية عنيفة أطاح أتباعها بالشواهد الحضارية الأمريكية ، وكنتم مغتبطين بهذا الفتح العظيم...

حسناً تريدون منا أن ننسي ونسدل الستار ونقمع الأسئلة المحرجة ونموه المواقف وندعكم تنسلون من فعلكم وتتخلون عن مسؤولية تغريركم بفلذات أكبادنا وهم اليوم بين سجين ومهان وطريد لا يعرف له عنوان بين أحراش الشيشان ومرتفعات أفغانستان[2]...

أنتم واهمون : لن ندعكم تخدعوننا مرة ثانية ، ولن نخفي شماتتنا فيكم...

ثم قال هذا الكاتب :

"الكلام السابق : مقطع من آخر رد علي بيان المثقفين السعوديين ، نشره (...) يوم السبت في جريدة الشرق الأوسط ، وعلى رغم أن الردود على البيان لم تتوقف منذ صدوره ، إلا أن مقال (...) شكل نقلة في طريقة الرد ، وخرج من دائرة نص البيان ولغته ومضمونه ومحاوره ، واستثمره في طرح قضية في غاية الأهمية.

المقال كان مثيراً وحاداً في بعض عباراته ، لكنه فتح باب الحوار **حول تغير بعض المثقفين والمفكرين الذي كان يتمسك بخطاب متطرف[3] في يوم من الأيام ، وتنازل عنه تماماً في هذا البيان** ، ومع التسليم بإيجابية هذا التصرف في هذه الظروف ، وتأثيره الواضح علي المصلحة الوطنية[4] ، إلا أن تخلي بعضهم عن التطرف علي طريقة عفا الله عما سلف يصعب قبوله ، والاعتذار بهذه الطريقة يصلح في الحالات الخاصة والفردية ، لكن من الصعب الموافقة على ذلك من مفكر يتحدث في القضايا العامة ويؤثر في الناس ، ولا زال يلعب الدور ذاته ، وربما في شكل أوسع.

---

[1] جريدة الحياة : عدد ١٤٣١٢ – ١٥ / ٣ / ١٤٢٣ – ص ٣.

[2] هكذا يزعم في كلامه عن المجاهدين في الشيشان وأفغانستان !!.

[3] هكذا تفسيره !! ولهذا الكاتب قواصم (إسلامية!) مجموعة من مقالاته ، لعل الله أن ييسر إخراجها قريباً!.

[4] انظر إلى تأييد أمثال هذا للبيان ، واحتجاجه بالمصلحة الوطنية!!.

إن تشكيك (...) بجدية هؤلاء المثقفين في رفض الخطاب المتطرف وإقصاء الآخرين يبقي وجيهاً طالما استمر بعضهم يعتبر أن سلوكه السابق مرحلة فكرية جري إعادة صوغها **عوضاً عن الاعتذار عنها ، وكشف خطورتها ، وتلافي تأثيرها علي جيل كامل من الشباب.**

إن لغة التسامح التي شكلت مضمون بيان المثقفين السعوديين تقتضي من بعض الذين وقعوا عليه الإعلان أن خطابه السابق كان خطأ يقتضي التراجع والاعتذار الواضح، والعمل علي معالجة الأضرار التي خلفها[1]، وبغير هذا يبقي الخوف من عودة بعضهم إلى سيرته الأولي قائماً".

ويقول آخر وهو من أصحاب المواقف ضد الإسلاميين أيضاً [2]:

"وليست هذه الحال الأولى التي يجيش فيها هؤلاء وأمثالهم الناس من حولهم ثم يتخلون عنهم. وأكتفي هنا بالإشارة إلى تجييشهم ، هم وأمثالهم ، الشباب وبث روح الجهاد فيهم ، ودعوتهم إلى السفر إلى أصقاع الدنيا ليشاركوا فيما أسموه بالجهاد ، وهو لا يعدو أن يكون حروبا أهلية[3] . وقد دفع كثير من أولئك الشباب ثمنا غاليا[4] لانخراطهم في مثل تلك النشاطات. فقد قتل كثير منهم وتوزعتهم السجون في أنحاء العالم وصاروا سببا في إثارة الشك والريبة في كل من ينتمي إلى العرب والمسلمين . وأصبح العربي يباع بأثمان بخسة ، ويبيعهم بمثل هذه الأثمان البخسة أولئك الذين وقف معهم هؤلاء الشباب وهجروا من أجلهم أوطانهم وأهليهم وفقدوا من أجلهم مستقبلهم... ومحصلة القول أن هؤلاء وأمثالهم دأبوا على التغرير بالناس ، واستغلال الثقة بهم لأنهم يعلنون أنهم ينطلقون من منطلقات

---

[1] يريد منهم أن يعتذروا عن الحق ! ويجعل نشر الصحوة والولاء والبراء وحب الجهاد في سبيل الله أضراراً خلفها خطابهم السابق ! قاتل الله هؤلاء الصحفيين أنى يؤفكون .

[2] الشرق الأوسط : ٣٠ مايو ٢٠٠٢ م .

[3] انظر إلى كلام هذا: صحفي ، ويفتي ويقرر للناس : ما الجهاد ، وما الحرب الأهلية ؟!!.

[4] يقول هذا الكلام لأنه لا يعرف طعم و أجر وأثر: الجهاد ، والاستشهاد ، والابتلاء في سبيل الله ، وأنى له (العلو والسمو) وقد ركن إلى الدنيا وخضرتها ؟! ولكن :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم **** وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها **** وتصغر في عين العظيم العظائم

إسلامية . وربما كانوا كذلك ، لكن حالات التغرير المتكررة لا بد أن تثير بعض الشك بأن هؤلاء إنما يبحثون عن مواقع لأقدامهم وعن مكانة يريدونها لأنفسهم.

والأمر الأخطر في «بيان المثقفين السعوديين» وفي هذا البيان الأخير استخدام القرآن الكريم والأحاديث النبوية للاستدلال على أي موقف يمكن أن يتخذ ، حتى على المواقف المتناقضة". [1]

ولاشك أن هؤلاء الحاقدين على الإسلاميين من العلمانيين وأمثالهم رأوا من خلال هذا البيان التناقض الواضح في عدد من موقعيها بين (جهاد الأمس) و (تعايش اليوم) فتسلطوا عليهم ، وهم لا يريدون من هذا أن يقوموهم ويعيدوهم إلى الحق بمثل هذا الكلام ، بل يريدون منهم الاعتذار عن أقوالهم السابقة ، ولا يلقم هؤلاء حجراً إلا العودة إلى الحق ، فسيكون ذلك غصة في حلوق أعداء الله في كل مكان ، والله المستعان .

[1] وهناك من أمثال هذه الكتابات الشيء الكثير تركتها اختصاراً !.

المبحث الثالث

بالنظر إلى الواقع

وسيكون الكلام في هذا المبحث على قسمين أيضاً :

القسم الأول : بالنظر إلى الواقع الدولي المعاصر:

والقسم الثاني : بالنظر إلى واقع بعض الموقعين على البيان :

أما القسم الأول :

فالمتتبع للتطورات الدولية المعاصرة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وتسلط أمريكا على العالم يرى أن ساسة الدول وقادتها كلما رضخوا لأمريكا طلباً للحوار والتعايش والسلام ازداد في المقابل طغيانها وغطرستها وجبروتها وتسلطها .

ولا أدل في هذا من أنه بعد رضوخ حكام العرب التام لأمريكا — حرصاً منهم على (السلام المزعوم) و (التعايش) — ورضاهم بدولة اليهود وجلوسهم معها في مؤتمر (مدريد) وما أعقبه من مؤتمرات ومعاهدات كمعاهدات (أوسلو) و (وادي العربة) و (شرم الشيخ) وغيرها ، ومع أنهم بلغوا في هذه المؤتمرات الغاية من الذلة والاستجداء والطاعة لطاغوت العصر ؛ فإن هذا لم يكف شر أمريكا واليهود عن العرب و المسلمين ، بل على العكس ، زاد من تسلطهم وطغيانهم ، فقامت أمريكا بما قامت به بعد هذه المؤتمرات في الصومال والسودان وليبيا والعراق ، هذا غير ما فعلته في البوسنة وأفغانستان قبل هذه الأحداث ، وفعلت دولة اليهود بالفلسطينيين - بعد رضوخ المنظمة لها - الأفاعيل ، بل وحاصرت (صاحب معاهدة أوسلو) في مكتبه وهدمته عليه زمناً !! .

وقد لخص أحد الموقعين على بيان المثقفين هذا الأمر تلخيصاً مفيداً حيث قال - فيما قال قديماً! - في أحد كتبه في التعليق على مؤتمر مدريد:

"إن الحديث عن الحقوق المشروعة ، والقرارات الدولية ، الذي استنزف ، ويستنزف ؛ من الإعلام العربي ما يملأ البحار لم يجد أذناً — ولا عشر أذن — كتلك التي أحدثها انفجار مشاة البحرية في بيروت ، والهجوم على ثكناتهم في مقديشو ، بهذه اللغة وحدها يسحب الكفر أذيال الهزيمة ، وتنحني هامات الخواجات العتية أمام مجموعات طائفية ، وعصابات

قبلية ، وليست جيوشاً دولية ، وإن استرداد بضعة قرى ومدن في البوسنة قلب المؤشر الصليبي وأرغمه على إعادة حساباته ، إن أي خطاب للكفر لا يستخدم هذه اللغة : هو لغو من القول ، وزور من العمل".

والمقصود من هذا :

إن أصحاب القرار والمتنفذين وأهل الحل والعقد ومن بيدهم زمام الأمور من الحكام والساسة الذين هم من أحرص الناس على حياة – ولو كانت حياة ذل ومهانة – لم يقدروا على تحقيق (التعايش السلمي) مع رضوخهم التام لطاغوت العصر (أمريكا) ، فكيف بمن ليس في يدهم (حل) و لا (عقد) ولا قيمة لهم في المحافل الدولية ؟! .

وأما القسم الثاني :

وهو بالنظر إلى واقع بعض الموقعين على البيان :

فإن بعض الموقعين على هذا البيان- هداهم الله وردهم إلى الحق - عرف – ولا يزال – بجهود مشكورة في محاربة أهل الزيغ والباطل ، فمنهم من عرف بردوده على الحداثيين وتحذيره منهم ، ومنهم من عرف بردوده على الروافض وأهل البدع ، ومنهم من عرف بردوده على العلمانيين .

ثم إنهم في هذا البيان يريدون (التعايش) و (الحوار) مع طاغوت هذا العصر (أمريكا) !!.

ولا شك أن في هذا تناقضاً ظاهراً ؛ فإن أبلغ ما يقال في الحداثيين والعلمانيين والروافض ونحوهم ممن يحذرون منهم أنهم (صنائع للغرب) و (دسائس لهم) ، بل ولا يقدر أحد أن يذكر عن هؤلاء – مع خبثهم ومكرهم بالدين وأهله – من الحرب على الإسلام مثل ما يذكر عن أمريكا !! .

فكيف يقبل العقل أن يطلب هؤلاء التعايش مع (الأصل : أمريكا) ويرفضون التعايش مع (فروعهم) و (أذنابهم) ؟!.

وهذا التناقض شعر به أعداء الإسلاميين وغيرهم من مرتزقة الصحفيين ، فتساءلوا كيف يطلب هؤلاء التعايش مع (الأبعد) ويتركون (الأقربين) ؟! .

قال أحدهم [1]:

"جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وجاء معها المولود العجيب ، والكسيح ، والأعرج ، وما بينهما !! وآخر ما جاء على لسان الشبكات وأفواه الرواة «بيان المثقفين» !! قبضت على ورقاته ، فاستلقيت على قفاي من الضحك... ولكنه ضحك كالبكاء!! أناس لا يقبلون الحوار .. حتى يلج الجمل في سم الخياط.. لأن آفاقهم أضيق من «سم الخياط» !! أعرف سوادهم الأعظم .. أولئك الذين وقعوا .. فمنهم من جمعتني به «مقاعد درس» ومنهم من قرأته (كتابا).. ومنهم من سمعته «شريطا» ومنهم من أجلس إليه أسبوعيا.. ومع هذا لم ألمح في مخرجات أي منهم قابلية حوار أو معطيات مباهلة ، أو إقامة مجادلة ، أو حتى مناقشة بالتي هي أحسن، أو حتى أقل حسنا..!! ...**ومثل هذه الأسماء لا تقبل الحوار مع مذاهب متحدة معها في الاتجاه ومساوية لها في اليقين.. ومتضامنة معها في الرؤية**.. ولكنها تختلف معها وحولها وفيها في التناول والأخذ والنتيجة والتحليل والاستدلال.. إن هذه العقول الموقعة أدناه في ذلك البيان ، لا ترتقي لحوار من ذلك النوع الذي تدعيه ، بل إنهم لا يقبلون الحوار مع النسوة اللاتي شاركن أشقاءهم الرجال.. فهم يحملون في رؤوسهم الصواب المطلق وامتلاك الحقيقة ، وأحادية الرأي والفكرة والرؤية.. فالعين لا تبصر إلا الأبيض والأسود.. ولقد كانت عورة المثقفين هنا مخففة حتى جاءت «ليلة التوقيع» فبانت العورة المغلظة ، لذا يقول أحد منتقدي البيان: «كيف يسوغ لي ولغيري من القراء أن نتفهم دعوة ذلك المثقف الذي ملأ الدنيا ضجيجا عن الحداثة والحداثيين ، وفتن الخلق وصنفهم وقذف أبناء جلدته في دينهم وعقائدهم ، ومن ثم أتصوره منفتحا على الثقافات متسامحا داعيا إلى الحوار..؟»".

ويقول أحد الزنادقة بعد أن أثنى على البيان وما فيه [2]:

---

[1] الشرق الأوسط : ٢ يونيو ٢٠٠٢ م .

[2] القائل هو (تركي الحمد) : المدينة – عدد ١٤٢٧٠– ٧ / ٣ / ١٤٢٣ – وسيأتي كلام له في المبحث الخامس مع الكلام عليه بالتفصيل و ذكر من أفتى بردته من أهل العلم – إن شاء الله – ، وانظر ص ١١٥.

"المطلوب حقيقة هو بيان للداخل ، يكون محاولة جادة لصياغة ميثاق بين فرقاء الداخل يبين (على أي أساس نتعايش؟) " .

ويقول هذا نفسه في مكان آخر بعد ثناء ومديح للبيان [1]:

" ولكن أن يقوم البعض بالتوقيع على مثل هذا البيان ، **بكل ما فيه من قيم سامية**[2] ، ندعو الله أن تتحقق في الداخل والخارج معا ، ويستمرون في طرح مفاهيم متناقضة تماما في مواقع أخرى ، فهذا ما لا يمكن فهمه ، وإن فهم ، فمن الصعب قبوله ، إذ انه يعني تضليل فئات من المجتمع وضعت كل ثقتها فيهم ، فإذا هم في النهاية يكيلون بمكيالين ، ويطرحون خطابين متناقضين . ومن هنا ، يصبح مثل هذا البيان ومضمونه نوعا من «الازدواجية» في الخطاب ، فهو يريد إقناع الآخر الأجنبي بمحاسن الإسلام وقيمه ، في الوقت الذي لا تمارس فيه هذه المحاسن في ديار الإسلام ذاتها ، ولا مع الآخر المختلف من المسلمين ، وصاحب الخطاب في الحالتين واحد . الخطاب الحقيقي ، الذي في تقديري المتواضع يحتاج إلى عمل مخلص ودؤوب في محاولة لإعادة الوعي الغائب ، ومن أجل التفاعل الايجابي مع الآخر الخارجي أو الأجنبي في نهاية المطاف ، هو خطاب التسامح والحوار بين فرقاء الداخل قبل التوجه إلى فرقاء الخارج والاختلاف معهم ، إذ لا يعقل أن نقدم العلاج للآخرين ، ونحن من المعلولين قبل أن يكونوا هم كذلك ".

ويقول آخر بعد أن أثنى على البيان وأنه أمر إيجابي وخطوة شجاعة [3]:

"ثم هذا الحوار الذي يدعو له البيان : أهو حوار يقتصر على الآخر الغربي فقط ؟ أم يشمل الآخر المختلف ضمن (الأنا) الإسلامية والمجتمعية والمواطنية ذاتها؟!".

ويقول آخر [4]:

---

[1] الشرق الأوسط : عدد ٨٥٧٣ – ٧ / ٣ / ١٤٢٣ .

[2] شهادة من مثل تركي الحمد : تكفي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!! .

[3] المدينة : عدد ١٤٢٧٠– ٧ / ٣ / ١٤٢٣.

[4] المدينة : ٨ / ٣ / ١٤٢٣ .

" وأريد أن أقول لأولئك المثقفين : كيف تريدون أن يثق فيكم الآخر ، وأنتم ما زلتم تكتبون التقارير الأمنية ضد بعضكم البعض ، فأصلحوا شأنكم ، ورتبوا صفوفكم أولا ، ثم اعملوا على محاورة الآخر !!" .

ويقول آخر [1] :

"كيف نطلب الحوار ونرضى بالدعوة إلى التعايش مع الأمريكان ، والتعايش بين من وقعوا على البيان ما زال صعباً ؟ هل الذين وقعوا على البيان من إسلاميين وليبراليين وغيرهم يقبلون التعايش معاً قبل التعايش مع الأمريكان ؟ ...هل من العدل والعقل أن نطير إلى الأمريكان للتحاور معهم ونأبى الحوار فيما بيننا حواراً جاداً وهادفاً؟ ...إن الفرصة سانحة لأن يجلس الجميع على مائدة الفكر والعقل والحوار ...أليس من باب أولى وأهم أن ندعو إخوانا لنا في الدين والملة إلى كلمة سواء ؟ نجمع بها الشمل ، ونوحد بها الصف ، ونقف سدا منيعاً نحمي الهوية والبلاد من عادية المجرمين؟!."

ولا شك أن كلام هؤلاء له وجهه ، فإن ترك القريب الخبيث وطلب التعايش مع البعيد الأخبث تناقض !!.

ولا يطرح هذا التناقض ، ولا يسكت أعداء الله من العلمانيين والروافض والزنادقة وغيرهم ، إلا الرجوع إلى الحق ، وهو ما نأمله من فضلاء الموقعين إن شاء الله ، فإن المؤمن رجاع إلى الحق ، سريع الفيئة .

---

[1] الوطن : عدد ٥٩٢ – ٢ / ٣ / ١٤٢٣ .

المبحث الرابع
بالنظر إلى طبيعة البيان

بالإمكان بقليل من التأمل إلى (بيان المثقفين) أن ينقض بعضه ببعض ، وذلك أنه يلزمه عقلاً ما يمتنع الموقعون من التزامه واقعاً ، و حتى لا أطيل في هذا المبحث سأتكلم عن مسألتين في البيان:

المسألة الأولى : الدعوة إلى الحوار والتعايش :

فالبيان كله دعوة للأمريكان إلى الحوار والتعايش ، وترك الصراع والصدام والعنف ، وأن هذا هو سبيل بناء المستقبل للأجيال القادمة ! ، وقد عددوا مجموعة من الأسس التي رأوا أنها تشكل أرضية جيدة للحوار مع (أمريكا) ! .

وفي المقابل كان من عتابهم على أمريكا أنهم تطرقوا لصور معينة من الإرهاب كإرهاب (المجاهدين) ولكنهم تركوا إرهاب الدول كإسرائيل ! .

ومن قراءة بيانهم هذا ؛ فإنه يلزمهم أن يدعوا اليهود للحوار والتعايش أيضاً ، لا الدعوة إلى معاداتها والصدام معها !! .

ويقال لهم :

إن هذه الأسس التي ذكروها للحوار والتعايش مع أمريكا يشترك فيها معهم (اليهود) أيضاً[1]، بل وقد يجدون أسساً أخرى يشتركون معهم فيها ، فهي تشكل أرضية مشتركة (جيدة!) للحوار والتعايش جميعاً ، وترك الصراع والصدام والعنف معهم ! فيلزمكم أن تطلبوا من اليهود (الحوار) و (التعايش) لنبذ الصدام والعنف وحقن دماء المسلمين في فلسطين! .

فإن قالوا : ولكن اليهود معتدون ! .

قلنا : فاليهود سيئة من سيئات أمريكا ، ولولا أمريكا ما بقي اليهود في فلسطين ، وأما اعتداءات أمريكا على المسلمين فأشهر من أن تذكر قديماً وحديثاً ، فبالإضافة إلى مساندتهم التامة لليهود ، فإنهم ضربوا العراق ، وليبيا ، والسودان ، والصومال ، ولبنان ، وأفغانستان ،

---

[1] وكذلك الوثنيون وعباد البقر وغيرهم ، ولكننا ذكرنا اليهود لأن أمرهم أظهر !.

واليمن ، والمسلمين في الفلبين ، وغيرهم ، ولا تزال الدماء جارية في شتى بقاع العالم الإسلامي بأسلحتهم المباشرة ، وغير المباشرة ، فإذا أمكن الدخول مع هؤلاء المجرمين في (حوار) و (تعايش) ، فالدخول مع اليهود من باب أولى ! .

فإن قيل : ولكن اليهود قتلوا الآلاف من الفلسطينيين ولا يزالون .

قلنا : قتلوهم بأسلحة الأمريكيين وسياستهم وحمايتهم ، والأمريكان قتلوا الملايين – لا الآلاف – من المسلمين في كل مكان ، ويكفي أن تعرف أن عدد أطفال العراق الذين قتلوا بسبب حصار أمريكا عليهم يبلغ مليون طفل تقريبا ، هذا غير من قتل في أفغانستان والصومال وغيرها ، فإذا أمكن الدخول في (حوار) و (تعايش) مع من قتل الملايين ، فالدخول في (حوار) و (تعايش) مع من قتل الآلاف من باب أولى !.

فإن قيل : ولكن اليهود اغتصبوا أرضاً إسلامية ! .

قلنا : اغتصبوها بسياسة وحماية أمريكا ، وأما أمريكا فاغتصبت العالم الإسلامي كله سياسياً واقتصادياً بنظامهم العالمي الجديد، وها هي اغتصبت أرض أفغانستان حقيقة ، وحاصرت العراق ، وليبيا ، وضربت اليمن ، والسودان ، والمسلمين في الفلبين ، وهاهي حاملات طائراتهم تحاصر المسلمين من كل جانب ، وها هم الأسرى المسلمون من شتى الجنسيات في (جوانتينامو) يعاملون بوحشية سخط لها الكفار أنفسهم ، فإذا أمكن (الحوار) و (التعايش) مع من فعل هذه الأفاعيل وقام بهذه الأمور ، فالدخول في (حوار) و (تعايش) مع من اغتصبوا (بقعة صغيرة) من أراضي المسلمين من باب أولى .

فإن قيل : ولكن اليهود عداوتهم لنا ثابتة بالشرع ، كما قال تعالى (**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**) .

قلنا : فإذا كان الاحتجاج بالشرع ؛ فاليهود والنصارى والكفار أعداؤنا جميعاً ، فإن الله يقول (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**) ويقول (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**) ويقول (**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم**) ، ويقول (**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**) ، ويقول (**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم**

إن استطاعوا) ، وغيرها من الآيات ، وفي الصحيحين مرفوعاً **(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** ، وغيره من الأحاديث!.

وهكذا :

فإنه لا يقال أمر في تسويغ الحوار والتعايش مع أمريكا إلا لزم مثله لتسويغ الحوار والتعايش مع اليهود ، ولا يقال أمر في إبطال الحوار والتعايش مع اليهود إلا لزم مثله في إبطال الحوار والتعايش مع أمريكا !!.

المسألة الثانية : الكلام على العلمانية :

تكلم البيان عن مسألة رفض فصل الدين عن الدولة من باب أن هذا في العالم الإسلامي يحمي إرادة الأكثرية ويحفظ حقوق الأقلية ، وأن هذا الفصل سيكون اعتداء على حقوق الأكثرية ، وهذا كما ترى استدلال على رفض العلمانية بأدلة علمانية!!.

ويلزم على هذا أمران :

الأول : أن الأكثرية لو رأت فصل الدين عن الدولة فقولهم مقبول!، لأن البيان لم يذكر أن السبب في رفض فصل الدين عن الدولة هو أن الله سبحانه نهى ذلك ، وأنه يجب على المسلمين تطبيق شرع الله ، وأن الحكم لله ، ليس لنا ، ولا للأكثرية ، ولا للأقلية ، وما دام الدليل المقدم على رفض فصل الدين عن الدولة هو (حماية إرادة الأكثرية) ، ورأي الأكثرية أمر نسبي يتغير مع تغير الزمن ، فلو أرادت هذه الأكثرية تطبيق شريعة الطاغوت ، أو بعضها ؛ كأن يرفضوا بعض أحكام الشرع ، فإنه يلزم القبول بها [1]!! .

فإن قبلوها فقد تركوا (تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم) و (قيم الإسلام) التي ذكروا أنهم كتبوا هذا البيان للتعريف بها .

وإن لم يقبلوها نقضوا كلامهم عن (إرادة الأكثرية) .

---

[1] إذا رأيت أن الكلام على العلمانية هنا كان مسوقاً بأدلة علمانية (رأي الأكثرية) ، لا بأدلة شرعية ، فلا تتعجب أن وقع بعض العلمانيين عليها ، ووافق عليها الزنادقة كتركي الحمد ، بل وسماها (باقة من الأفكار الجميلة)!!.

الثاني : أن حماية حقوق الأقليات يدخل فيها : الروافض ، والنصيرية ، والإسماعيلية ، وغيرهم من الكفار والمشركين ، فهل سيلتزم أصحاب هذا البيان بحماية حقوقهم ، مع أنه ليس لهم في الشرع إلا أحد حقين : إما الإسلام ، أو السيف !! [1].

وما قيل في قبول (إرادة الأكثرية) وردها يقال في هذا أيضاً .

[1] الخطاب في مثل هذه الإلزامات هو للدعاة الفضلاء من الموقعين على البيان ، أما العلمانيون وأذنابهم من العصرانيين فليسوا أهلاً لمخاطبتهم !.

المبحث الخامس

بالنظر إلى حال المؤيدين للبيان

يقال في بعض الأمثال (**أخبرني من يصفق لك ؛ أخبرك من أنت !**) ، وبالنظر إلى حال مؤيدي هذا البيان تعرف حقيقته ولو لم تقرأ حرفاً واحداً منه !! .

وقد قال بعض الفضلاء في وصف هذا البيان: (**إنّ الأعرابي في الصّحراء إذا رأى (الرّخم) عرف أنّها قد اجتمعت على (جيفة)**) وقد صدق والله في هذا الوصف .

فقد اجتمع في تأييد[1] هذا البيان والتصفيق له في صفحات الجرائد والمجلات : العلمانيون والروافض والحداثيون والزنادقة والنصارى وغيرهم ، وحسبك بهذا ! .

وقد ذكر أحد الزنادقة (تركي الحمد)[2] أنه كان من المبشرين بمثل هذا البيان قديماً حين كان الكلام عن مثله يعتبر زندقة !!، واعتبر ما في هذا البيان (باقة جميلة من الأفكار!!) ، وقال

---

[1] حتى الذين عارضوا هذا البيان في الصحف لم يعارضوه من حيث المضمون ، بل كلهم تقريبا يثني عليه ، بل معارضتهم : إما لاقتصارهم على عدد معين ، أو لتركهم بعض التيارات الفكرية ، أو لأنهم يريدون التعايش مع البعيد ويتركون القريب ، أو لأنهم تركوا أفكارهم السابقة بدون اعتذار ، ونحو هذا !!.

[2] كتب هذا الرجل روايات ثلاث بعنوان : (العدامة) و (الشميسي) و (الكراديب) ، نشر خلالها من المجون والسخف والإلحاد الشيء الكثير ، قال بعض الفضلاء : كنت – قديماً – قد بليت بقراءة أكثر الروايات العالمية المشهورة ، فلحظت أن من يسمون ب(أساطين الأدب العالمي) يذكرون (المقبلات الجنسية) في رواياتهم بخبث في (حدود معينة) بطريقة (تثير القارىء) فقط ، فأراد هذا المنكوس أن يسلك سبيلهم حتى يكون (روائياً) مثلهم ، فعرض (الجنس) في رواياته بطريقة ممجوجة (تثير القرف والاشمئزاز) بحيث يكاد القارىء أن (يستفرغ) !! ويصدق فيه الوصف العامي (عنز بدو وطاحت في مريس) ، ولو أراد أحد أن ينقد رواياته من الناحية الأدبية (فقط) لكتب فيه مجلداً ، إذ لا أدب فيها ، ولا لغة ، ولا صنعة ، ولا جديد ، ولا مفيد !! ولكنه أدخلها التاريخ بسببه للذات الإلهية !!.انتهى .

والمقصود: أن هذا الزنديق مما ذكر في رواياته تلك عن الله سبحانه قوله (إن الله والشيطان وجهان لعملة واحدة) تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وهذا القول كفر وردة عن دين الإسلام يجب قتل صاحبه بالإجماع ، وإنما وقع الخلاف في قبول توبته:

قال الإمام إسحاق بن راهوية رحمه الله : " أجمع المسلمون على أن من سب الله ، أو سب رسوله ، أو دفع شيئا مما أنزل الله عز وجل ، أو قتل نبيا من أنبياء الله عز وجل ، أنه كافر بذلك ، وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله ".

=

وقال القاضي عياض رحمه الله (الشفا ٢ / ٢٧٠) : " لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته " .

وقال ابن حزم الظاهري رحمه الله (المحلى ٤١١/١١) : " وأما سب الله تعالى فما على ظهر الأرض مسلم يخالف في أنه كفر مجرد " .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله (الصارم المسلول ٣ / ١٠١٧) : " من سب الله تعالى : فإن كان مسلما وجب قتله بالإجماع ؛ لأنه بذلك كافر مرتد ، وأسوأ من الكافر ؛ فإن الكافر يعظم الرب ويعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له ، ثم اختلف أصحابنا وغيرهم في قبول توبته : بمعنى أنه هل يستتاب كالمرتد ويسقط عنه القتل إذا أظهر التوبة من ذلك بعد رفعة إلى السلطان وثبوت الحد عليه؟. على قولين ".

ونصوص أهل العلم أكثر من أن تحصر في هذه المسألة .

وقد أفتى بردته مجموعة من أهل العلم في عصرنا منهم: الشيخ حمود الشعيبي رحمه الله ، والشيخ محمد المنصور رحمه الله ، والشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله ، والشيخ علي الخضير حفظه الله ، وفتاواهم متداولة.

وقد ذهب بعضهم إلى الاعتذار عن هذا الزنديق بأن هذه المسبة حكاية وردت في (رواية) ومن نقل الكفر لا يكفر ، وهذا الكلام باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا الزنديق قد صرح في جريدة اليوم ، وفي المجلة العربية ؛ بأن الرواية تحكي قصته هو ، فهذا اعتراف منه بأنها حكاية عن نفسه .

الوجه الثاني : و لو لم يعترف ، وكانت هذه الرواية (وهمية لا حقيقة لها) ؛ فإنه يكفر بهذا الكلام ؛ لأن المقصود بقولهم (ناقل الكفر ليس بكافر) من نقل كلام كافر ينسب إليه النقل ، فيقول : هذا ليس كلامي بل كلام فلان ، أما هنا فإنه لم ينقل كلام كافر آخر حتى ينسب إليه ، ولا يقدر أن يقول : هذا ليس بكلامي ، بل الرواية وجميع ما فيها من إنشائه ، فتنسب إليه كل كلمة ذكرها ؛ لذلك فلو قذف أحداً في روايته لأقيم عليه الحد .

الوجه الثالث : إن كتابة (الرواية والقصة) من جنس (الخوض واللعب) ؛ فإن الذين استهزؤوا بالقراء في تبوك وقالوا (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء) نزل تكفيرهم من السماء في قوله تعالى (**ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**) ، فلم يقبل الله سبحانه اعتذارهم بأنهم كانوا يريدون التلهي واللعب بهذا الكلام ، وقولهم (إنما كنا نخوض ونلعب) من جنس قول هؤلاء (إنما هي رواية وقصة) ، وهم جميعاً قد أتوا بالسبب المكفّر ، وأما ترتيب الحكم على السبب فليس للمكلف بل للشارع ، فلم ينظر إلى قصدهم في ذلك ، وقد أكفرهم الله بهذا القول .

الوجه الرابع : أن في هذا فتح باب زندقة عظيم ، فكل من أراد سب الدين والشريعة يكفيه أن ينشيء قصة يذكر فيها زندقته !.

الوجه الخامس : أن هذا التأويل – على بطلانه – قد يسوغ لو كان قائل هذه العبارة ممن عرف بالخير والدين ، أو على أقل الأحوال كان من مستوري الحال من المسلمين ، فيقال : لعل هذا تأويل قوله ، أما من عرف تاريخه بالزندقة والخبث و (البعثية) و (الماركسية) و (الحداثة) ؛ فإن هذا كله من باب : (إنما النسيء زيادة في الكفر) ، وانظر

=

عنه : إنه عبارة عن (قيم في غاية السمو) ، فقال في مقال له بعنوان (يداوي الناس وهو عليل) [1]:

" حين قرأت «بيان المثقفين السعوديين» المراد منه أن يكون ردا على بيان المثقفين الأمريكيين المشهور، **وجدت نفسي حقيقة تتفق مع جل ما ورد فيه من أفكار جميلة ، تقرأ الإسلام وقيمه من زاوية حضارية متسامحة** ، تختلف تماما عما هو سائد عند فئات وجماعات لا ترى الإسلام إلا من زاوية : آيات السيف ، ومقولات الولاء والبراء ، وحتمية المجابهة ، والصراع ، ومعاداة كل ما هو مختلف ، **في** قراءة اختزالية إقصائية ضيقة للإسلام وقيمه الحضارية والإنسانية العامة[2] . ولكني وجدت نفسي في الوقت نفسه في حيرة لا اعرف كيف اخرج منها: فما ورد من أفكار في هذا البيان ، تتناقض تمام التناقض مع أفكار طرحتها ، وما زالت تطرحها ، أسماء عديدة كانت من الموقعين على ذلك البيان ...وحين الدخول في «المتن» :

نستطيع القول أن البيان في مجمله عبارة عن باقة من الأفكار الجميلة ، لا شك في ذلك، وأنا شخصيا لا أجد أي تناقض في القبول بمجملها ، بل أجد أنني لم أكتب يوما أي حرف لا يتوافق مع القيم المعبر عنها في البيان، بل كنت دائما من المبشرين بها منذ البداية، حين كان الحديث عن التسامح لدى كثير من الأسماء يعتبر هرطقة ، وكان الحديث عن التعايش مع الآخر يعتبر زندقة ، وكان الحديث عن وجود قيم سامية لدى الغرب أيضا ، وليس كله ، عدمية وتفسخ وانحلال ، يعتبر كفرا بواحا يهدر الدم الحرام من أجله [3].

لمعرفة تاريخ هذا الرجل العريق في الضلالة : (الحداثة في العالم العربي – دراسة عقدية) للشيخ محمد العلي – ٣/ ٨٩٩- ٩١٣.

[1] الشرق الأوسط : عدد ٨٥٧٣ – ٣/٧ / ١٤٢٣ .

[2] انظر العبارات هذه ، واقرنها بعبارات (العصرانيين) تجدها من جنس واحد : الاختزال ، الإقصاء ! وكلها تهدف إلى إقصاء الكتاب والسنة !.

[3] ما في هذا البيان إنما هو بضاعتهم ردت إليهم كما قال ، فلا عجب أن كال له هذا المديح!!.

...يقول البيان في سطوره الأولى : «هذه الورقة الجوابية ليست موجهة للمثقف المسلم أو حتى الرجل العادي في الغرب ، بل كتبت بلغة يفهمها المثقف الغربي». ويقول البيان في سطوره الأخيرة: «ولذا فان إيجاد مساحة أوسع للحوار، وتبادل الرأي يلتقي فيها أهل الفكر والعلم والثقافة هو . من وجهة نظرنا . البديل للغة العنف والتدمير، وهذا هو دافعنا لكتابة هذه الورقة وإدارة هذا الحوار». **كلام في غاية الجمال والعقلانية ... ولكن أن يقوم البعض بالتوقيع على مثل هذا البيان ، بكل ما فيه من قيم سامية ، ندعو الله أن تتحقق في الداخل والخارج معا** ، ويستمرون في طرح مفاهيم متناقضة تماما في مواقع أخرى ، فهذا ما لا يمكن فهمه ..." .

ويقول هذا نفسه في موضع آخر [1]:

"مأزق البيان لا يكمن في خطابه ، **والذي حقيقة أتفق مع جل ما ورد فيه من قيم في غاية السمو** ، ولكنه يكمن في محاولة مخاطبة الآخر الخارجي أو الأجنبي ، فيما هو لا يعبر عن واقع الحال بالنسبة للآخر الداخلي أو المحلي**!**".

وتقول إحداهن [2]:

"الكل يجمع على أن البيان خطوة لا سابقة لها ، وأنها كانت منعطفاً في مسيرة الثقافة في السعودية . **والذي يثلج الصدر أن عالماً كالشيخ** (وذكرت اسم أحد الموقعين) وهو الذي عرف في السابق بتشدده في إطلاق واستخدام مفاهيم ومصطلحات تراثية ، كان لها مرجعية في تاريخ الفكر والطوائف الإسلامية والمعارك الكلامية ، **كيف أنه قد انتقل إلى تلك النقلة الحضارية ليطالب بالحوار والتعايش مع الغرب** ، إنها إنجازات نطالب بتشجيعها ودعمها ، لا بنقدها والتهوين من شأنها ".

وينقل آخر من الموقعين على البيان ما قالته (محامية أمريكية نصرانية نكرة) [3]:

---

[1] المدينة : ١٤٢٧٠- ٣/٧ / ١٤٢٣ .

[2] الوطن : ٥٨٣ – ٢٢/ ٢ / ١٤٢٣ .

[3] الوطن : ٥٨٤ – ٢٣ / ٢ / ١٤٢٣ .

" إنني أعجبت بالبيان ، وأعتقد أن الموقعين عليه يقدرون على تغيير منظر الإسلام عند الناس – بل تغيير العالم – إذا تمسكوا بآرائهم الصادقة وكان لديهم الصبر الكافي للثبات أمام الجهد الطويل الذي يجب بذله لمن يريد تغيير آراء ملايين الناس[1]" .

ويقول (فهمي هويدي) [2]وهو صحفي ثم صار مفكراً إسلامياً ككثيرين من أمثاله لا كثرهم الله!! وهو من دعاة التقريب بين الأديان [3]:

"**الذي يقرأ البيان من خارج المملكة لا يجد مناصا من الحفاوة به، بحسبانه نصا رصينا ومحكما يعبر عن رؤية ناضجة لقيم الحوار والتعايش،** وعن قراءة متوازنة لأحداث الساعة... وقد حالف التوفيق واضعي البيان حين جعلوا عنوانه : على أي أساس نتعايش؟ في ردهم الذي أرادوا إثباته في مواجهة بيان المثقفين الأمريكيين الذي كان عنوانه «على أي أساس نقاتل؟» الأمر الذي حدد من البداية أين يقف كل فريق.

---

[1] نصائح من نصرانية للدعاة بالصبر والثبات على هذا البيان !! وما أظن أن هذه النصائح إلا لجرهم ليصلوا إلى ما هم عليه من اتباع ملتهم ، فكلامها عن (تغيير العالم !) لا يدل إلا على استخفاف ! .

[2] الشرق الأوسط : ٣ يونيو ٢٠٠٢ م .

[3] لو أردت أن أذكر أقوال هذا الصحفي الشنيعة في تمجيد الكفار والدعوة إلى التقارب معهم وسب المسلمين الذين يعادون الكفار لطال المقام ، وقد ذكره الشيخ محمد حامد الناصر في (العصرانيون) وجعله من دعاة وحدة الأديان ص ٣١٠ ، وذكره صاحب كتاب (دعوة التقريب بين الأديان) من دعاة التقريب بين الأديان في مواضع كثيرة من كتابه انظر مثلاً : ٢/ ٦٥٣ ، ٧٠٣ ، ٧٠٧ ؛ لذلك لا عجب أن كتب يمجد بيان المثقفين ، وسأذكر لك نموذجين من كلامه تستدل على ما وراءها :

يقول في (مجلة العربي) عدد ٢٦٧ – ربيع أول – ١٤٠١ : " ليس صحيحاً أن المسلمين في هذه الدنيا صنف متميز ومتفوق من البشر لمجرد كونهم مسلمين ، وليس صحيحاً أن الإسلام يعطي أفضلية للمسلمين ، ويخص الآخرين بالدونية ، وليس صحيحاً أن ما كتبه أكثر الفقهاء في هذا الصدد هو دين ملزم " !! .

ويقول فض الله فاه في نفس المجلة عدد ١٦٩– جمادى أول ١٤٠١ : "كل هذه الآراء سواء منها ما يتعلق بتصنيف الخلق ، أو قسمة الأرض والديار ، لا تستند إلى نصوص شرعية من كتابٍ أو سنة ، وإنما هي اجتهادات طرحها الفقهاء والباحثون" .

وله كلام كثير من هذا الجنس ؛ إذ هو مهذار مكثار لا خير في كلامه إلا ما شاء الله ، وعليك بقراءة كتاب العصرانيون للشيخ محمد الناصر فإنه مفيد في الرد عليه وعلى أمثاله.

في هذا الصدد، لا يفوت المرء أن يلاحظ أن هذا هو البيان الأول من نوعه الذي يصدر عن مثقفين سعوديين ، أغلبهم من ذوي الاتجاه الإسلامي.. متبنياً قضية الحوار والتعايش مع الآخر ، خصوصاً غير المسلمين ... من هذه الزاوية فإن الموقف الذي عبر عنه البيان يغدو جديداً في حدود ما نعرف عن الخطاب الإسلامي السعودي . **وهو مبشر بظهور تيار في الساحة الإسلامية السعودية يتبنى طروحات أكثر اعتدالاً وانفتاحاً** ، ويضيف إلى خطاب الاعتدال في العالم العربي والإسلامي فصيلاً كان مرئياً على مستوى فردي من قبل ، لكن لم يكن مسموع الصوت . إذ في حدود علمي فان عناصر ذلك الفصيل كانوا موجودين في الساحة ، فطالما لقينا بعضهم والتقينا مع أفكارهم في مناسبات عدة ، لكني اسمح لنفسي أن أقول بأنهم كانوا محجوبين . مقموعين إن شئت الدقة . من جانب عناصر وقوى التشدد المهيمنة ، الأمر الذي يسوغ لي أن أقول إن البيان لم يكن منشئاً لذلك التيار المعتدل الداعي إلى التعايش والحوار ، لكنه جاء كاشفاً له ومنبهاً إلى وجوده. ... فإن هذه الخبرة تفسر لنا ارتفاع صوت دعاة التعايش مؤخراً في السعودية، في مواجهة دعاة التقاطع والتخاصم والمفاصلة. قلت إن الدعوة الأساسية للبيان جديرة بالحفاوة ، وأضيف هنا أن تلك الحفاوة تتضاعف إذا لاحظنا إن الموقعين على البيان حوالي ١٧٠ من المثقفين السعوديين بينهم حوالي عشرين امرأة وهو ما لم نعهده في أكثر النشاطات العامة بالسعودية ، خصوصاً تلك التي يكون الإسلاميون طرفاً فيها ، الأمر الذي يعطي انطباعاً بأنه لا يعكس رؤية أحاد الأفراد ، وإنما يعبر عن قطاع معتبر من المثقفين من الجنسين لا يمكن التقليل من شأنه أو دوره. لكل ذلك فان قارئ البيان ، خصوصاً إذا كان متابعاً للخطاب الديني في السعودية ، يخرج منه مقتنعا بأنه يمثل حدثاً ثقافياً مثيراً ، ومنعطفاً لافتاً للانتباه في مسار ذلك الخطاب الذي جنح طويلاً إلى التشدد ، وفتح الباب واسعاً لمزايدة آخرين على تشدده ، وهو ما عانت منه طويلاً أصوات الاعتدال ، ليس في داخل المملكة فحسب ، وإنما في خارجها أيضاً . ... إن أحداً لم ينتقد النص بحد ذاته، وإنما امتدحه بعضهم (تركي الحمد في «الشرق الأوسط» ٥/١٥) واعتبر أن «باقة الأفكار الجميلة» التي تضمنها لا يختلف حولها أحد...إن هذا تيار يشق طريقه إلى سطح الحياة الثقافية ، ويعبر عن نفسه بهذه الصورة لأول مرة في موضوع التعايش ، ومن ثم ينبغي أن يعطى الفرصة للنمو

، حتى يقوى عوده وتتفتح أزهاره...**جدير بالملاحظة في هذا الصدد أن الذين كانوا أكثر حدة في نقد البيان هم غلاة العلمانيين وغلاة السلفيين** (لاحظ أن الطرفين طالبا أصحاب البيان بالاعتذار) . وهم الذين وجدوا أنفسهم يقفون في مربع واحد على الرغم مما بينهم من تناقض شديد في المواقف والآراء ، الأمر الذي يدعونا إلى القول بأن الغلو ملة واحدة ، وأن الاعتدال الإسلامي لا بد أن يكون مرفوضاً من الاثنين ، ولأن الفريقين يتغذيان من غيابه ويتمددان في فراغه. هذه المشكلة متكررة في أقطار عربية أخرى ، حورب فيها تيار الاعتدال من الجميع ، من غلاة الإسلاميين والعلمانيين وأجهزة الأمن ، **حيث أدرك هؤلاء أن الخطر الحقيقي الذي يتهددهم يكمن في تنامي التيار المعتدل**[1] .
واستأذن هنا في أن أردد مقولة طالما دعوت إليها من قبل ، وهي أننا بحاجة ملحة إلى طي صفحة ذلك التصنيف الذي يقسم المثقفين إلى إسلاميين وعلمانيين، لأننا في مواجهة التحديات الجسام[2] التي تتهدد كل الفرقاء بحاجة إلى كل السواعد وكل القوى بحيث تكون القسمة بين وطنيين وغير وطنيين[3] ، وليس بين إسلاميين وعلمانيين".

والحاصل :

أنه بالنظر في هذه النقول – وأضعافها مما تركتها[4]– يتضح لك حقيقة هذا البيان ، والله المستعان .

---

[1] أضحك الله سنك أيها الصحفي على هذه الطرفة !! ، ومن (مزايا) هويدي –التي تسجل له ، والإنصاف مطلوب حتى مع المخالف– أنه يحب وضع أمثال هذه الطرائف في مقالاته من أجل إضحاك القارىء ، ولا تنس أخي القارىء أن تقرأ كلام جلال كشك عنه في الشبهة الثانية عشرة من الفصل الخامس.

[2] نعم ، هذه نصيحة هذا الصحفي ، طي الخلافات بين الإسلاميين والعلمانيين لمواجهة التحديات ، وهذه التحديات ليست من الكفار لأنه يريد التعايش معهم ، ولا من الفساق لأنك إذا رأيت وجه هذا الصحفي علمت ذلك ، ولا من أهل البدع لأنه لا أهل بدع عنده أصلاً ، ولا من العلمانيين لأنه يريد الاتحاد معهم ونبذ الفرقة ، فأين هذه التحديات ؟! إنما في مواجهة أهل الحق من (السلفيين) الذين يسميهم بـ(غلاة السلفيين) وهو وإن لم يصرح بهذا لكنه ألمح إلى ذلك ، وهذه نهاية طريق بيان المثقفين ، والله المستعان !.

[3] نعم : يستبدل الوطن بالإسلام ، فيكون معيار الولاء والبراء (الوطن) لا (الإسلام) !! .

[4] هناك كلام لابن سبأ الجزيرة : حسن بن فرحان المالكي يثني فيه على البيان ، وهكذا :

=

الفصل الرابع
نقض بيان المثقفين شرعاً

المبحث الأول : منكرات (بيان المثقفين) :

أولاً : بيان المثقفين والسياسة:

ثانياً : بيان المثقفين والأسس المنسوبة للشريعة :

ثالثاً : بيان المثقفين والتقريب بين الأديان :

رابعاً : بيان المثقفين وتحريف النصوص :

خامساً : بيان المثقفين والبراءة من الجهاد :

سادساً : بيان المثقفين وموالاة الكفار :

المبحث الثاني : الأدلة الشرعية في نقض (بيان المثقفين) :

فقد اجتمع في الثناء على هذا البيان (تركي الحمد ، و المالكي) وحسبك بهما !!، وهناك مقال أيضاً لـ(الحداثي : عبد الله الغذامي) يدافع فيه عن البيان ضد المنتقدين في جريدة الرياض ، ومقالات أخرى لعلمانيين وروافض منشورة في عدد من الصحف والمجلات تثني عليه تركت ذكرها اختصاراً ، وما ذكرته كاف لمن أراد الحق !!.

تمهيد

لما كان هذا البيان مليئاً بالفواقر والمصائب ، كان الرد عليه وذكر منكراته على أحد وجهين :

الأول : تتبع ما ورد فيه سطراً سطراً والرد عليه على طريقة ردود بعض أهل السنة رحمهم الله ، بطريقة : (فصل : قالوا : كذا ، والجواب : كذا) ، بحيث يكون ترتيب هذا الرد على ترتيب البيان .

الثاني : جمع ما تشابه في هذا البيان من منكرات ، وتقسيمها بحسب مواضيعها ، ثم الرد على كل قسم ، وهي طريقة آخرين من أهل السنة رحمهم الله أيضاً.

وقد رجحت الطريقة الثانية ؛ لأنها أقوى في البيان ، وأجمع للذهن ، وأبعد عن تكرار الكلام ، وفي كلٍ خير ؛ وقد قسمت هذا الفصل إلى قسمين :

القسم الأول (**المبحث الأول**) : وفيه سأقوم بذكر منكرات (بيان المثقفين) ، وقسمتها إلى ستة أقسام .

والقسم الثاني (**المبحث الثاني**) : وفيه ذكرت الأدلة الشرعية على نقض هذه المنكرات.

وسبب هذه القسمة أنني أردت تفادي التكرار في ذكر الأدلة ، حيث إن كثيراً منها يلزم ذكره أكثر من مرة فيما لو جعلت رد كل منكر في قسمه ، فقمت بالإشارة فقط إلى الأدلة في كل قسم من المبحث الأول ، بحيث يكون تفصيل ذلك في المبحث الثاني .

وأسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى ، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يوفق القائمين على هذا البيان للتوبة والرجوع إلى الحق ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وهذا أوان الشروع في المطلوب :

المبحث الأول

منكرات بيان المثقفين

تمهيد

نستطيع أن نقسم منكرات بيان المثقفين إجمالاً إلى قسمين :

القسم الأول : كلام صريح ، واضح ، ظاهر البطلان .

والقسم الثاني : كلام مجمل ، موهم ، قد يفسر بأكثر من تفسير ، يحتمل حقاً ، ويحتمل باطلاً .

فبالنسبة للقسم الأول الأمر فيه ظاهر .

أما القسم الثاني : وهو المجملات المحتملة ، فخطرها من وجهين :

الوجه الأول : إنه من لبس الحق بالباطل ، لأنهم إذا ذكروا كلاماً في أمور الدين والاعتقاد بألفاظ مجملة : قد تحمل على معنى صحيح ، وقد تحمل على معنى باطل ، ولم يلحقوا به ما يبين هذا الإجمال ، ويزيل الاحتمال الباطل ، التبس فهمه على عامة المسلمين إذا نشر بينهم ، فمنهم من قد يفهم المعنى الباطل ، ومنهم من قد يلتبس الأمر عليه ، وقد يضل بسببه فئام من الناس ، وهذا التلبيس ليس من صفات ورثة الأنبياء وأهل العلم .

الوجه الثاني : وهو أن كثيراً من العلمانيين وغيرهم من أعداء الإسلام قد حملوا هذه المجملات على المعاني الباطلة ، ونشروا ذلك في الصحف وغيرها ، وقد سبق بيان بعض ذلك .

وهذا كله عند إحسان الظن في الكلام على هذه المجملات ، وإلا فالبيان ذكر في مقدمته أنه كتب بلغة لا يفهمها إلا المثقف الغربي ، فيكون حمل هذه الألفاظ المجملة على المعاني التي يفهمها (المثقف الغربي) كما هو ظاهر .

وسأتناول فيما يلي منكرات بيان المثقفين ، وما كان منها من لفظ مجمل بينته ، فأقول وبالله أستعين :

أولاً : بيان المثقفين والسياسة[1] :

إن الناظر إلى (بيان المثقفين) – ممن يعرف عقيدة التوحيد – يعلم جلياً أنه لم يوضع على ما يوافق الكتاب والسنة ، وإنما وضعت حدوده ، وصرفت طرقه ، على ما يوافق مواثيق هيئة الأمم المتحدة (أحد طواغيت هذا العصر) ، وحاولوا في البيان أن يذكروا أسساً زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم (أرساها قبل أربعة عشر قرناً قبل أن توجد منظمات حقوق الإنسان أو هيئة الأمم المتحدة ومواثيقها الدولية) ، وقد كان من المفترض عليهم أن يزنوا مواثيق هذه المنظمات بميزان الشرع ، فإما أن يضربوا عنها صفحاً فلا تذكر بخير ولا شر ، أو أن يفصّلوا في أحكامها ، أما ذكرها مجملة وكأن الشرع قد جاء بإقرارها فلا يسوغ ! .

---

[1] من العجيب أن الدعوة إلى (التعايش السلمي) و (نبذ الصراع) كان قديماً ولكنه من دعاة من خارج (الجزيرة) ، وقد رد عليها أهل العلم ، وممن رد على هذه الدعوة الشيخ علي بن نفيع العلياني وفقه الله وحفظه في كتابه القيم (أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه) وهو مطبوع قبل عشرين سنة تقريباً ، ومما جاء فيه ص ٤٥٤ تحت الباب الثالث (موقف تلاميذ الاستشراق والاستعمار من أحكام الجهاد) (رقم ١٢) :

" الدعوة إلى السلام العالمي والتعايش السلمي : تكاد تصم الآذان بضجيجها في هذا الزمان ، بل لقد أصبحت لكثرة القائلين بها كأنها الحق الصراح ، وما عداها هو الباطل عند بادي الرأي الذي لا يعرف الأحكام الشرعية . أما من يفهم الكتاب والسنة و يتمسك بهما فلا يزيده كثرة النداء بها إلا مقتا لها ولأصحابها ؛ لأنها دعوة مائلة عن نهج الحق ، وهذه الدعوة التي تنشر اليوم إنما تنشر استجابة لمباديء هيئة الأمم المتحدة ، لا استجابة لمباديء الإسلام ، واقرأ ما جاء في ديباجة ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، تتكشف لك الأمور — ثم ذكر ديباجة ميثاق الهيئة — ثم قال ص ٤٥٦ : " **وانطلاقا من هذا المفهوم الخاطيء للجهاد تجد أغلب الكتاب العصرانيين يقررون أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلام ، وأنهم لا يحاربون الكفار إلا إذا اعتدوا عليهم ، وقد بينا فيما مضى بطلان هذا القول ، وأن الجهاد قد شرعه الله ابتداء ودفاعاً لإعلاء كلمة الله ، وإخضاع الكفار لحكم الإسلام ، وإذلال من تقبل منه الجزية بدفعها وهو صاغر ، وذكرنا النصوص الشرعية الموضحة لذلك ، وإجماع أمة محمد عليه الصلاة والسلام عليه قبل أن تنبت هذه النابتة التي تتلمذ على موائد المستعمرين والمستشرقين والمبشرين.**"

ثم بدأ بمناقشة (السلام) هذا ومباديء الأمم المتحدة جزاه الله خيرا إلى أن قال ص ٤٥٩ :

" وبهذا يظهر أن ما شرعته لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة مناقض لحكم الجهاد في الإسلام ، وأن الرضا به وتحكيمه رضا بالطاغوت ، وتحكيم بالطاغوت " اهـ.

وعند النظر في (ديباجة) ميثاق هيئة الأمم نجد ما يلي [1]:

" نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا :

-أن ننقذ الأجيال المقبلة[2] من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية[3] مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف .

-وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان[4] وبكرامة الفرد[5] وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية.

-وأن نبيّن الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي .

-وأن ندفع بالرقي الاجتماعي قدماً، وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا :

-أن نأخذ أنفسنا بالتسامح، وأن نعيش معاً في سلام وحسن جوار [6].

-وأن نضم قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدولي [7].

---

[1] ما يذكر من مواثيق هيئة الأمم أو حقوق الإنسان فإنه منقول من موقع الأمم المتحدة باللغة العربية :

http://www.un.org/arabic/

[2] في بيان المثقفين (ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) ، و (وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع، ويمهّد لمستقبل أفضل لأجيالنا التي تنتظر منا الكثير. يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، مبشرين العالم بمشروع يصنع الخير والأمن له)

[3] في بيان المثقفين (وصناعة الصراع سيرسّم الكثير من المفاهيم التي يصعب تجاوزها في المستقبل، وسيخلق مشكلة للأجيال القادمة في العالم كله) .

[4] في بيان المثقفين (ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى ، ولقد أرساها رسول الإسلام...) وسيأتي التعليق عليها إن شاء الله .

[5] في بيان المثقفين (الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم) .

[6] وهذا ما يقوم عليه بيان (على أي أساس نتعايش؟) .

[7] في بيان المثقفين (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض، تحقيقاً للسلام العالمي).

-وأن نكفل بقبولنا مبادئ معيّنة ورسم الخطط اللازمة لها ألاّ تستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة .

-وأن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها،

قد قرّرنا أن نوحّد جهودنا لتحقيق هذه الأغراض

-ولهذا فإن حكوماتنا المختلفة على يد مندوبيها المجتمعين في مدينة سان فرانسيسكو الذين قدّموا وثائق التفويض المستوفية للشرائط، قد ارتضت ميثاق الأمم المتحدة هذا، وأنشأت بمقتضاه هيئة دولية تُسمّى "الأمم المتحدة"."

فمواثيق هيئة الأمم تقوم على ثلاثة ركائز : الحرية ، والمساواة ، والعدل :

أما الحرية :

فهم في مواثيقهم يذكرون الحريات ومنها : (الحرية العقدية) ، واستعاض بيان المثقفين عن كلمة (الحرية العقدية) بقوله : (**لا إكراه في الدين**) حيث كررها بهذا اللفظ في ثلاثة مواضع وذكر عليها من الكلام ما مؤداه إلى (الحرية العقدية) كما سيأتي إن شاء الله!.

وأما باقي الحريات وحقوق الإنسان فأجملها البيان بقوله (**والإسلام ليس عدواً لحقوق الإنسان أو الحريات**[1]) وهم لا يعرفون من (حقوق الإنسان) ولا (الحريات) إلا ما جاءت به مواثيقهم!.

---

[1] في مواد حقوق الإنسان كما جاء في ميثاقه الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨ : (يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق) ، (لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين) ، (لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه) ، (لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما) ، (كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة) ، (لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة) ، (للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله) ، (لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته) ، (إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة) .فهذه مواثيق حقوق الإنسان والحريات المزعومة ،

=

وأما المساواة :

ففي مواثيق هيئة الأمم وحقوق الإنسان يكثر التركيز على المساواة بين الناس بدون أي تمييز ، ومنها عدم التمييز بالدين ، وهذا ما حاول (بيان المثقفين) الإشارة إليه : حيث قال: (فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه) ، (العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم) ، (لا يجوز إكراه أحد في دينه) ، (تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق) ، (فإن الإفساد في الأرض :كالعدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة ، من الفساد الذي لا يحبه الله) ، (ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر) ، (جاء بها الإسلام تؤسس لحياة مستقرة للمؤمنين به وغير المؤمنين) ، (وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها) ، (وتصورنا يحمي إرادة الأكثرية ، ويحفظ حقوقها ، ويحمي كذلك حقوق الأقلية) .

وهكذا على وتيرة يُفهم منها أن الإسلام لا يفرق بين الأديان ، ولا يميز بين أهلها في التعامل !.

وأما العدل :

ففي مواثيقهم يكثر الكلام على العدل بين الشعوب والأفراد بلا تمييز ، وقد ركز البيان على هذا حيث تكرر فيه الكلام على العدل ومن ذلك : (ولا شيء يبعد شبح الصدام كما يفعله العدل ورعاية الحقوق والالتزام بالقيم والأخلاق) ،(من أجل إقامة علاقات أكثر عدلاً وإنصافاً بين الأمم والشعوب ، يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق) ، (ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر) ، (وهي إنما خلقت له ليكون استثماره لها في حدود الحق والعدل والإصلاح) ، (العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت

ولا شك أن الاعتراف بهذه الحقوق والحريات كفر وردة عن دين الإسلام ؛ إذ مصادمتها للشريعة ولما علم من الدين بالضرورة ظاهرة لكل من عرف الإسلام !! .

أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم) ، (إن المفترض أن يكون هذا الحدث سبيلاً إلى تأسيس مؤسسات جديدة بين الدول والشعوب لإقامة العدل وإحقاق الحق) ، (أما حينما تكون الضمانات مبنية على العدل فإن فرص نجاحها تكون أكبر) ، (و الخلاف بيننا وبين المجتمع الأمريكي ليس في قيم العدل، أو خيار الحريات).

والكلام على إبطال هذه الأسس الثلاثة باختصار :

أما (الحريات) :

فقد ذكرت في أول هذا المبحث المراد بالحريات عند الكفار ، وأنهم يريدون بها حرية الكفر ، وحرية الرأي ، وغيرها ، وأن الموافقة على تلك الحريات يعتبر ردة وخروجاً عن الإسلام ؛[1] فهو مخالف لما علم من الدين بالضرورة ، وسيأتي الكلام بالتفصيل على الحرية الاعتقادية في (تحريف النصوص) إن شاء الله .

وأما (المساواة) :

فلا شك أن هذا ما ذكر في بيان المثقفين من محاولة إشعار الكفار بمساواتهم مع المسلمين باطل من أصله ؛ فإن الإسلام فرّق بين المسلمين والكفار في:

١- أحكام الشرع : سواء كان الكافر حربياً فيكون مباح الدم والمال ، أو ذمياً فيلزم بالصغار على تفاصيل تأتي إن شاء الله .

٢- أو في أحكام القدر : حيث ذم الله سبحانه من ظن أنه يسوي بين المؤمنين وبين الكفار .

٣- وسواء كان هذا في أحكام الدنيا .

٤- أو في أحكام الآخرة.[2]

فلا سواء أبداً ، ولا أسس تجمع بين من عبد الله مع من عبد غيره .

وأما العدل :

---

[1] ولا أعني هنا أن بيان المثقفين وافق على هذه الحريات ، ولكنه أجمل الموقف منها ولم يفصل .

[2] انظر الرد على محاولة التسوية بين المسلمين وغيرهم في التعامل في الأدلة في المبحث الثاني وخصوصاً : الدليل الثاني عشر ، والثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر .

فيراد بالعدالة أمران :

أحدهما : استواء الأفراد جميعهم أمام ما يسمونه بالقانون بغض النظر عن أديانهم ، فهذا باطل وليس هذا في شرع محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله سبحانه قد خالف بين أحكام أوليائه المؤمنين ، وبين أحكام أعدائه الكافرين .

والثاني : استواء الأفراد في تطبيق أحكام الله عليهم ، فهذا صحيح أتى به الشرع ، ولكن حكم الله على المسلمين غير حكمه على الكفار ولو كانوا من أهل الذمة ، فإعمال شرع الله كما جاء : في هذا ، وفي هذا ، هو العدل الذي أتى به الشرع الإسلامي ، وهو التسوية بين المتماثلين ، والتفريق بين المختلفين ، وهو الميزان الذي بعثت به الرسل .

فهل ما يوجد في (بيان المثقفين) من (تحقيق العدالة) يريد النوع الثاني ؟!.

لا أظن ذلك ، بدليلين :

الأول : إن أصحاب البيان قالوا عن بيانهم (**هذه الورقة الجوابية ـ كما يقول معدو الورقة ـ ليست موجهة للمثقف المسلم أو حتى الرجل العادي في الغرب ، بل كتبت بلغة يفهمها المثقف الغربي**) : ومن المعلوم أن المثقف الغربي لا يفهم العدالة كما جاء بها الإسلام ، بل كما جاءت بها مواثيقهم كما في المادة السابعة من حقوق الإنسان :

"كل الناس سواسية أمام القانون ، ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة ، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تميز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا".

والثاني : قولهم (**إن المفترض أن يكون هذا الحدث سبيلاً إلى تأسيس مؤسسات جديدة بين الدول والشعوب لإقامة العدل وإحقاق الحق**)[1] : فهل يريدون من أمريكا إقامة

[1] وهذا القول خطير : فإن طلب تأسيس مؤسسات جديدة على غرار هيئة الأمم المتحدة لـ(إقامة العدل وإحقاق الحق) بين الدول والشعوب : إما أن تكون محكومة بالشرع الإسلامي ، أو لا ؟ :

فإن قالوا : إنها محكومة بالشرع الإسلامي ، فهذا من المضحكات ، فهل طبق شرع الله في بلاد المسلمين حتى يطبق على جميع الدول والشعوب الكافرة ؟! .

=

العدل الذي جاء به شرع الإسلام[1] ؟!.

وبمقارنة ما جاء في هذا البيان مع ما جاء عن بعض السياسيين يتجلى الأمر أكثر ، وسأذكر مثالين قريبين:

١-ففي يوم الأحد ١٠ / ٩ / ١٤٢٢ أعلنت الجامعة العربية أن أكثر من ٧٥ مثقفا عربيا سيعقدون مؤتمرا في مقر الجامعة في القاهرة الاثنين يخصص لبحث حوار الحضارات والتصدي لنظريات صراعها ، وقال بيان صادر عن الجامعة العربية إن مؤتمر "**حوار الحضارات: تواصل لا صراع**" سيعقد بمبادرة من الأمين العام عمرو موسى وسيضم مثقفين من غالبية الدول الاثنتين والعشرين الأعضاء في الجامعة العربية وتابع موسى أن المؤتمر سيصدر توصيات حول سبل التصدي لـ "المحاولات الرامية إلى تشويه الثقافة العربية والحضارة الإسلامية". وقال : إن هذه التوصيات ستعرض على الرؤساء العرب في قمتهم المقبلة في مارس/آذار القادم في بيروت ، غير أن "بعض التوصيات العاجلة ستطبق على الفور". ومن المشاركين في هذا المؤتمر الذي يستمر يومين وزير الثقافة اللبناني غسان سلامة ! وولي عهد الأردن السابق الأمير الحسن بن طلال ![2] .

٢- وفي يوم الأربعاء ١ / ١٢ / ١٤٢٢ دعا أمير قطر –كما ذكرت صحيفة الراية القطرية الصادرة في ذلك اليوم – لعقد اجتماع بين الاتحاد الأوروبي ومنظمة المؤتمر الإسلامي بمدينة الدوحة بهدف تطوير وتعميق الحوار ، والتواصل بين المجموعتين ، ودعا على لسان وزير

وإن قالوا : بل تكون محكومة بقوانين يتفق عليها ، فهذا أمر عظيم ، وإقرار بحكم الطاغوت ، وقد كنا نسمع كلاماً شديداً على هذه الهيئات الطاغوتية الدولية من بعض الموقعين !! .

[1] قد يقول قائل : إن المقصود بالعدل عدم الظلم ؛ كما قال شيخ الإسلام (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة) ، فيقال : شيخ الإسلام رحمه الله من الواضح أنه لا يريد بذلك الثناء على الطواغيت وقوانينهم ، بل يريد أن يبين أن السياسة القائمة على عدم ظلم الناس أقوم من السياسة القائمة على الظلم ، من باب المقارنة بين الأمرين ، لا من باب التفضيل المطلق ، بدليل أن الشرع الذي يقيمه الكفار شرع جاهلي لا يقره الشيخ وحاشاه ، والشيخ لا يدعو أولئك إلى تطبيق عدالتهم على المسلمين ، أو الاجتماع معهم على (قيم عدل) ، وأما في بيان المثقفين فإنهم أشاروا إلى ذلك ، ونسبوا أقوالهم إلى تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم !.

[2] عن موقع قناة الجزيرة .

خارجيته إلى أن يتواصل هذا الحوار التاريخي بين أوروبا والعالم الإسلامي، وأن يصل لإطار مؤسساتي حتى يمكن تقليص مجالات سوء الفهم وإتاحة الفرصة لمعرفة حقيقية متبادلة بين الجانبين أكثر شفافية وصراحة لترسم ملامح علاقة مستقبلية راسخة مما يحقق الأمن والسلام الدوليين ، وانتقد وزير الخارجية محاولات البعض وبشكل خاص في الغرب تأسيس مرحلة تاريخية جديدة قوامها مقولة الصراع بين الثقافات دون الالتفاف إلى حل المعضلات والمشاكل المزمنة التي عانينا ونعاني منها وعلي رأسها القضية الفلسطينية. وقال : إن مثل هذه المحاولات لا تتسم بالحكمة وبعد النظر وتتجاهل الحقائق التاريخية ، لذلك وقبل كل شيء فإننا بحاجة إلى تكثيف الجهود المشتركة للتوصل إلى حلول منصفة وعادلة لهذه المشاكل.

قلت :

فانظر إلى كلام هؤلاء ، ثم اقرأ (بيان المثقفين) مرة أخرى ، فكأنها قد خرجت من مشكاة واحدة ، ومن (توصيات) واحدة !.

فإن قال قائل : وهل كل ما يقوله السياسيون باطل ؟.

قلنا : ليس هذا مجرد الانتقاد ، بل الانتقاد أنهم خالفوا الكتاب والسنة والإجماع كما سيأتي في المبحث القادم ، ووافقوا توصيات السياسيين في هذه الأمور !.[1]

---

[1] ثم عقد مؤخرا بعد البيان و بتاريخ ٤ / ٣ / ١٤٢٣ مؤتمراً سبقت الإشارة إليه ، وهو كما ورد في موقع قناة الجزيرة:

" تعقد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" ندوة دولية في دمشق الأسبوع القادم تحت عنوان (**الحوار بين الحضارات من أجل التعايش**) ، وذلك تحت رعاية الرئيس السوري بشار الأسد الذي سيفتتح أعمالها ، ويشارك في الندوة مجموعة من المفكرين والأكاديميين من العالم العربي الإسلامي ومن بعض البلدان الغربية ومن اليابان والهند . وستبحث الندوة أربعة محاور تشمل : أسس الحوار بين الحضارات ومنطلقاته ، والحوار بين الحضارات والتنوع الثقافي ، والصور النمطية المشوهة عن الحضارات وسبل تصحيحها ، ومن الحوار إلى التعايش".

ثانياً : بيان المثقفين وأسسهم المنسوبة إلى الشريعة :

سأناقش فيما يلي الأسس التي قال عنها بيان المثقفين : (**قيم نؤمن بها وأسس نهتدي بها**):

قالوا :

(**ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى ، ولقد أرساها رسول الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – قبل أربعة عشر قرناً قبل أن توجد منظمات حقوق الإنسان أو هيئة الأمم المتحدة ومواثيقها الدولية**).

قلت : أما نسبتها إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم فباطل كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

====

قالوا :

(**منها:**

١– الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم ، فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء: ٧٠).)[١] .

قلت : وهذا باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن تكريم الإنسان هذا من حيث الخلقة إنما هو من باب فعل الله سبحانه لا كسب للعبد فيه ، وإنما كرامة العبد في كسبه القائم في أصله على الدين ؛ لذلك فالكفار مهانون لا كرامة لهم ولو علوا في الأرض ، كما قال تعالى (**ثم رددناه أسفل سافلين**) وقال

[١] وهذا من أصول القرضاوي التي يرددها دائماً لتمييع الولاء والبراء كما سيأتي إن شاء الله في تحريف النصوص.

عنهم (**إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل**) ، وسيأتي هذا في (تحريف النصوص) إن شاء الله .

الوجه الثاني : أن قولهم (**فلا يحوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه**) لا يصح على إطلاقه ، فالكافر في الأصل مباح الدم والمال إلا بعاصم من عهد أو ذمة أو أمان .

الوجه الثالث : أن قولهم (**أو دينه**) يشير إلى تساوي الأديان في تحريم الاعتداء ، وهذا باطل ، فالاعتداء على المسلم لا يجوز بحال بخلاف الكافر ، والاعتداء على المسلم أعظم من الاعتداء على الكافر المعصوم كالذمي ؛ فإن الكافر يقتل بالمسلم ، والمسلم لا يقتل بالكافر ولو كان ذمياً كما في ثبت في الصحيح ، ودية الذمي أقل من دية المسلم ، وأما الكافر الحربي فلا قيمة له شرعاً ، لذلك ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (**لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً**).

الوجه الرابع : أنهم رتبوا (عدم جواز الاعتداء) على (تكريم الإنسان) بحرف (الفاء) الدالة على (العلية)[1] ، بمعنى أنه لا يجوز الاعتداء على الإنسان من أجل كونه مخلوقاً مكرماً ، وهذا باطل ، فليست العلة الشرعية في عصمة الدم والمال هي كون الإنسان مخلوقاً مكرماً ؛ فإن هذا تعليل بالقدر لم يأت به الشرع ، والحربي مشارك لهم في (بنوة آدم) و (تكريم الخلق) ومع ذلك يجوز قتله وأخذ ماله .

فالإنسان إما أن يكون مسلماً أو كافراً :

فالمسلم لا يجوز الاعتداء عليه بحال للأدلة الشرعية الدالة على عصمة دمه وماله . وأما الكافر فالأصل فيه إباحة دمه وماله ، وإنما يحرم الاعتداء عليه إذا عصمه الشرع بعهد أو ذمة أو أمان . فالعاصم من الاعتداء هو (الأمر و الشرع) لا (الخلق والقدر) ، فلا مكان (للتكريم الخلقي) في هذا كله !.

[1] وهي قاعدة معروفة في الأصول : إن ترتيب الحكم على الوصف بحرف الفاء يدل على أن الوصف علة لذلك الحكم ؛ نحو قوله صلى الله عليه وسلم (إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) فإنه رتب النهي عن اللبس بحرف الفاء ، فهذا يدل على أن العلة من النهي عن اللبس أنها من ثياب الكفار.

====

ثم قالوا :

(**٢- تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق. وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً ، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً ، وجاء في القرآن** " (**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**) (**المائدة:٣٢**).")

قلت : وهذا القول باطل من وجوه :

الوجه الأول : أما الآية فسيأتي الكلام عليها إن شاء الله في (تحريف النصوص) .

الوجه الثاني : أن قولهم (**بغير حق**) كلام مجمل ، فقد يراد به (الحق) الذي يعرفه كفار أمريكا بزعمهم ، وقد يراد به (الحق) الذي جاء به الإسلام :

وسنحاكم ما يريده أصحاب البيان إلى كلامهم فيه ؛ فإنهم قالوا عن بيانهم (**هذه الورقة الجوابية .كما يقول معدو الورقة ـ ليست موجهة للمثقف المسلم أو حتى الرجل العادي في الغرب ، بل كتبت بلغة يفهمها المثقف الغربي**) .

فبناء على هذا سنحاكم هذا البيان إلى (فهم المثقف الغربي)[١] : فيقال إن المثقف الغربي لا يفهم من (الحق) الذي من أجله يقتل الإنسان أنه : الكفر الأصلي ، والردة ، والزنا بعد الإحصان،

---

[١] المثقفون الأمريكيون : إما أن يكونوا يعرفون الحق الذي يقتل به الشرع كما جاء به حديث ابن عمر وابن مسعود وغيرهما أو لا ؟.

فإن كانوا يعرفون ذلك : بطل كلام المثقفين كله في محاولتهم بيان شرع الإسلام بصورة (تجميلية) لهم ؛ إذ هم يعرفون حكم الإكراه في الدين ، وحكم قتل الكفار ، ونحو ذلك .

وإن كانوا لا يعرفون ذلك : فتحاكم مجملاتهم إلى (فهم المثقف الغربي) !.

ونحو هذه الأمور التي جاء بها الشرع وهي من (الحق) . ولا شك أن هذا الكلام فيه غموض وإيهام ، وهو من لبس الحق بالباطل ، إذ يستدل بكلام حق لتقرير معان باطلة أو لإيهامها.

الوجه الثالث : قولهم (**وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً ، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً**) . باطل بهذا الإطلاق ؛ فإن قتل المسلم ليس كقتل الكافر حتى لو كان الكافر مظلوماً ، فإنه وإن كان قتله محرماً لكنه لا يستوي هو وقتل المسلم ، وقد ثبت في الصحيح (لا يقتل مسلم بكافر) .

====

ثم قالوا :

(**٣- لا يجوز إكراه أحد في دينه ، قال الله تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة:٢٥٦)، بل إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه.**).

قلت : وهذا الكلام باطل من وجوه :

الوجه الأول : أما الكلام على الآية فسيأتي إن شاء الله في (تحريف النصوص).

الوجه الثاني : أن الإكراه في الدين يقصد به أمران :

إكراه عقدي ، وإكراه على الالتزام بأحكام الشرع .

وكلا الأمرين ورد في الشرع ، فيكره المرتد على الرجوع إلى الإسلام وإلا قتل ، ويكره غير الكتابي – عند طائفة من العلماء – على الإسلام وإلا قوتل ، كما يكره جميع الكفار على الدخول في الإسلام أو التزام أحكامه ، وسيأتي تفصيله إن شاء الله فيما بعد .

الوجه الثالث : قولهم (**بل إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه**) باطل بهذا الإطلاق ، فالمرتد يكره على الرجوع إلى الإسلام ، فإن رجع قبل منه ذلك ، وكذلك غير أهل الكتاب من الكفار عند طائفة من أهل العلم يقبل إسلامهم إذا أسلموا خوفاً من السيف.

====

ثم قالوا :

(**٤- إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة أساس في رسالة الإسلام ، وهكذا كل أنبياء الله، يقول النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – : " إنما بعثت**

لأتمم مكارم الأخلاق "ويقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥)، ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر ، وهذا من القسط الذي يحبه الله وأمرنا به، قال الله تعالى : ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)) .

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أما الكلام على الآيتين والحديث فيأتي في (تحريف النصوص) إن شاء الله.

الوجه الثاني : أن قولهم (**إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة**) كلام مجمل ، يحتمل أحد معنيين :

المعنى الأول : إقامة هذه العلاقات على ما جاء في الكتاب والسنة ، من توحيد ، وكفر بالطاغوت ، وبراءة من الكفر وأهله ، وبغضهم ، ومعاداتهم ، وإقامة للجهاد في سبيل الله ، وإلزام الناس كلهم بالدخول في الإسلام ، أو في حكم الإسلام والتزام الصغار وبذل الجزية.

المعنى الثاني : إقامة هذه العلاقات على النحو الذي سار عليه (بيان المثقفين) وعلى ما يفهمه (المثقفون الأمريكيون) من كلمة (الأخلاق الكريمة) وهي : السلام ، والتسامح ، والمودة ، والألفة ، والتعايش ، ونحو هذا.

فإن أريد به المعنى الأول فهو حق !.

وإن أريد به المعنى الثاني فهو باطل ، مخالف للكتاب والسنة والإجماع .

و (البيان) كله بما فيه من طلب : للحوار ، والتعايش ، والاحترام ، والموضوعية ، ومشاركة الكفار بمشاعرهم ، ونبذ التشنج ، وإرادة السلام العادل العالمي ، ونبذ الصراع والتصادم والعنف ، وذم المجاهدين تحت مسمى الإرهابيين ، ونحو هذا ، يدل على أن المراد بالأخلاق هو المعنى الثاني .

فإن قالوا : إننا أردنا المعنى الأول فقد نقضوا بيانهم بما فيه.

والمقصود هنا إبطال المعنى الثاني وهو الظاهر :

فإنه خلاف الكتاب والسنة والإجماع ، وسأذكر الأدلة هنا مجملة ؛ إذ تفصيلها في المبحث الثاني إن شاء الله :

أما الكتاب :

فإن القرآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام في الجملة :

الأول : **العقائد** : وهو في ذكر التوحيد وأهله ومدحهم والأمر بموالاتهم ومحبتهم ، وذكر الشرك وأهله وذمهم والأمر بالبراءة منهم ومعاداتهم ، وبيان ما أعده الله لأهل التوحيد من الكرامة في الدنيا والآخرة ، وما أعد الله لأهل الشرك والكفر من المهانة في الدنيا والآخرة.

الثاني : **القصص** : وهو في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام من دعوتهم للتوحيد ، ونهيهم عن الشرك ، وكفرهم بالطاغوت ، وبراءتهم من الكفر وأهله ، وما حصل بينهم وبين أقوامهم من ابتلاء ومحن بسبب ذلك .

الثالث : **الأحكام** : وأكثر آيات الأحكام هي في (الجهاد في سبيل الله) حتى يكون الدين كله لله .

فهذا كتاب ربنا ، وهذا ما ينطق به ، وهذا أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم ، قائمة على (الولاء والبراء) ، والمخالفة بين (سبيل المؤمنين) و (سبيل الكافرين) في جميع الأحكام ، لا على (السلام) و (المحبة) و (التعايش) !.

وأما السنة :

فسأتكلم عن السنة العملية المتواترة على الفترتين : المكية ، والمدنية :

أما في الفترة المكية :

فقد جاهر الرسول صلى الله عليه وسلم قومه بالعداوة ، وصرح لهم بالكفر بالطاغوت ، وعاب آلهتهم ، وذم كفرهم ، حتى حصل عليه من الابتلاء والأذى ما حصل ، وحتى أصاب أصحابه في ذلك ما أصابهم ، فقُتل بعضهم ، وسُجن بعضهم ، وعُذّب بعضهم ، و شُرّد بعضهم ، وحوصر بعضهم ، في سلسلة من المحن والشدائد ، حتى هاجروا إلى المدينة[1] .

---

[1] هذا مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتصف بالأخلاق الكريمة قبل مبعثه ، فقد كان أصدق الناس وأكثرهم أمانة حتى سماه كفار مكة قبل مبعثه بـ(الصادق الأمين) ، وكان كريما ، عفيفا ، شجاعا ، شهما ، حييا ، من

=

وأما في الفترة المدنية :

فمنذ أول سنة بعد الهجرة بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد في سبيل الله ، وبدأ بإرسال السرايا والبعوث لقتال المشركين ، واستمر على ذلك حتى مات صلوات الله وسلامه عليه .

فبالنظر إلى الفترتين يتبين لك أساس العلاقات الإنسانية في الإسلام :

فعند الضعف وعدم القوة : يجب الكفر بالطاغوت ، والبراءة من الكفار ومعبوداتهم ، وبغضهم ، ومعاداتهم ، وتجعل العلاقة على هذا الأصل .

وعند القوة : يضاف إلى ذلك قتالهم حتى يكون الدين كله لله .

وأما الإجماع :

فإن الكافر على قسمين في الجملة :

الأول : الكافر المحارب : وهو الأصل في الكافر ، فقد أجمع علماء الإسلام على أنه فرض على الأمة حال قوتها غزو الكفار في بلادهم ، وإنما اختلفوا في القدر المجزيء من ذلك ، فهل غزوهم في بلادهم من (الأخلاق الكريمة) المقصودة هنا ؟.

والثاني : الكافر الذمي : وقد أجمع علماء الإسلام على أنه يلزم بالجزية والصغار وأحكام أهل الذمة . فهل هذه الأحكام من (الأخلاق الكريمة) المقصودة هنا ؟.[1]

الوجه الثالث : قولهم (**فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر**) : الكلام عليه من وجهين :

أبعد الناس عن الظلم ، وسفاسف الأمور ، وكان كفار مكة قبل بعثته يحبونه لاتصافه بهذه (الأخلاق الكريمة) ، فلما ابتعثه الله بالتوحيد والكفر بالطاغوت ، فجاهرهم بالعداوة والبراءة منهم ومن كفرهم ، عادت محبتهم له بغضاً ، وصداقتهم عداوة ، ومدحهم ذماً ، أ هذا يدل على أن أساس إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة بالمعنى الثاني ؟!.

[1] لاشك أن غزو الكفار وتطبيق أحكام أهل الذمة على الكفار المقيمين في بلاد الإسلام من أفضل الأعمال ، ومن الأخلاق الكريمة الإسلامية ، ولكنها تعتبر في عرف كفار اليوم ومن انساق معهم من الانهزاميين من : (العنصرية) و (الإرهاب) و (التشدد) و (التطرف) !!.

الأول : في جعلهم هذا هو الأصل ، واستدلالهم عليه بالآية ، فالكلام عليه في (تحريف النصوص) إن شاء الله .

والثاني : إن العدل في الشريعة الإسلامية يراد به كما تقدم مراراً : التسوية بين المتماثلين ، والتفريق بين المختلفين ، وإقامة شرع الله كما جاء ، لذلك فقتال المسلمين للكفار من أجل أن يكون الدين كله لله من العدل ، فكلمة العدل هنا مجملة ، إلا أنه يوضحها قولهم (والإحسان ، والبر) ، فهذا يبين أن المراد بذلك ما ذكروه في مقدمة هذا الأساس من (الأخلاق الكريمة) ، والرد عليه سيكون إن شاء الله عند الكلام على آية البر والإقساط.

الوجه الرابع : أن الأخلاق الكريمة في الشرع الإسلامي مقيدة بالكتاب والسنة ، وليست على أهواء الناس ، فمن الأخلاق الكريمة الإسلامية ما يجعلها العرف الدولي (إرهاباً) و (تطرفاً) و (تشدداً) و (ظلماً) وغير ذلك ، ومن الأخلاق الخبيثة في الشرع الإسلامي ما يسمى عند الكفار (أخلاقاً كريمة) ، وهاك بعض الأمثلة على ذلك :

١- (**مودة الكفار**) التي تجعل الآن من الأخلاق الكريمة السامية : هي في الشريعة الإسلامية مذمومة منكرة ، قد تؤدي بصاحبها إلى الكفر ، كما ستأتي الأدلة على ذلك في المبحث الثاني إن شاء الله .

٢- (**الجهاد في سبيل الله**) : من أفضل الأعمال ، واتفق المسلمون على أنه من خير التطوع ، ومن أعلى الأخلاق الكريمة الشرعية ، وهي عند الكفار من الأخلاق المذمومة التي يحذر منها ومن أصحابها .

٣- (**المساواة بين الناس كلهم**) : هي عند الكفار من الأخلاق الكريمة ، ووضعوها في أول مادة لميثاق حقوق الإنسان ، وهي في شريعة الإسلام كفر وردة!.

٤- (**المساواة بين الرجل والمرأة**) : هي عند الكفار من الأخلاق الكريمة ، ووضعوها في المادة ١٦ من ميثاقهم لحقوق الإنسان ، وهي في الإسلام كفر وردة .

وهكذا ، فالميزان هو شريعة الإسلام ، لا مواثيق حقوق الإنسان ، ولا هيئة الأمم ، ولا غير ذلك .

====

ثم قالوا :

(٥- كل ما في الأرض من خيرات ظاهرة وباطنة إنما خلقت من أجل الإنسان :"هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا" وهي إنما خلقت له ليكون استثماره لها في حدود الحق والعدل والإصلاح. وعليه فإن الإفساد في الأرض :كالعدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة ، من الفساد الذي لا يحبه الله، قال الله تعالى في كتابه : (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (البقرة: ٢٠٥) ، وقال : "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"(الأعراف :٥٦)).

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أما النصوص التي ذكرت هنا فالكلام عليها في (تحريف النصوص) إن شاء الله .

الوجه الثاني : أن الأصل في خيرات الأرض أنها للمسلمين كما قال تعالى (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**) ، وأما الكافر فلا يكون ملكه تاماً كالمسلم أبداً ، بل إما أن يكون حربياً وهو الأصل فيكون مباح الدم والمال وملكه لا ينفذ شرعاً ، ولا يصح ملكه لما تحت يده إلا بتمليك المسلمين له ؛ إما بذمة أو عهد أو أمان ، وسيأتي تفصيله إن شاء الله.

الوجه الثالث : أن قولهم (**في حدود الحق والعدل والصلاح**) كلام مجمل ، يحتمل حقاً ، ويحتمل باطلاً :

١-فإن المخاطبين من المثقفين الأمريكيين الذين كتب البيان بلغة لا يفهمها (غيرهم) لا يعرفون من هذا الكلام إلا (حقوقهم) و (عدلهم) و (صلاحهم) ، وهذا باطل ؛ فإن النظر إلى مواثيقهم وحقوقهم وعدالتهم يكفي لمعرفة بطلان ما هم عليه وبعده عن الشريعة.

٢-ويحتمل أن يراد به (الحق) و (العدل) و (الصلاح) الشرعي المعروف ، فهذا حق ، لأن حدود ذلك ما أقره الشرع ، ولكن باقي البيان ، وكونه كتب بلغة المثقفين الأمريكان ، ينفي أن يكون هذا ظاهر المراد!.

الوجه الرابع : أنهم في بداية هذه الأسس قالوا (**ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى ، ولقد أرساها رسول الإسلام محمد –**

صلى الله عليه وسلم – قبل أربعة عشر قرناً) : فقد جعلوا هذه (المبادئ) و (الأخلاقيات) هي التي تحكم علاقات المسلمين مع الأمم الأخرى ، وهي التي أرساها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم .

ومعنى هذا الكلام أن من المبادئ والأخلاقيات التي تحكم علاقة المسلمين مع الأمم الأخرى إن (**العدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة**) من (**الفساد الذي لا يحبه الله**) ومن (**الإفساد في الأرض**) وهذا الكلام باطل ، بل ويلزم عليه لوازم خطيرة من تكذيب القرآن والقدح بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه :

فقد تواتر فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من غنيمتهم لأراضي (الشعوب الكافرة) ومنازعتهم في ثرواتهم وخيراتهم الخاصة ، وما امتلأت خزائن بيت المال في وقت الخلفاء الراشدين المهديين إلا من ثروات الأراضي التي افتتحوها ، وقد قال تعالى (**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول الآية**) ، وقال تعالى (**فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً**) ، وقال تعالى (**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ...الآية**) ، والغنيمة والفيء ما أخذه المسلمون من الكفار ، وقد ثبت في الصحيح أنه قال صلى الله عليه وسلم (أعطيت خمسا : وذكر منها : وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي) ، وقال كما في المسند وغيره (وجعل رزقي تحت ظل رمحي) .

وعلى هذا استمر عمل الصحابة رضوان الله عليهم حيث قاتلوا (الشعوب المستضعفة) و (القوية) وحكموهم ، وأخذوا أراضيهم ، وثرواتهم ، واقتسموها .

وذلك أن ملك الكافر لا يتم إلا بتمليك المسلم له ، فإذا أخذ المسلم مال الكافر وأرضه فإنما عاد الحق إلى أهله ، لهذا سمي الفيء فيئاً :

قال ابن العربي رحمه الله [1]:

---

[1] أحكام القرآن : ٤ / ١٧٨ .

"(**ما أفاء الله**) : يريد ما رد الله ، وحقيقة ذلك أن الأموال في الأرض للمؤمنين حقاً ، فيستولي عليها الكفار من الله بالذنوب عدلاً ، فإذا رحم الله المؤمنين وردها عليهم من أيديهم رجعت في طريقها ذلك ، فكان ذلك فيئا ".

وقال أيضاً رحمه الله [1]:

" قوله تعالى : (**مما أفاء الله عليك**) والمراد به : الفيء المأخوذ على وجه القهر والغلبة الشرعية ؛ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل من عمله ، ويطأ من ملك يمينه ، بأشرف وجوه الكسب ، وأعلى أنواع الملك ، وهو القهر والغلبة ، لا من الصفق بالأسواق . وقد قال عليه السلام : (جعل رزقي تحت ظل رمحي) ".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

" ما قاتلوا عليه كان للمقاتلة ، وما لم يقاتلوا عليه فهو فيء ؛ لأن الله أفاءه على المسلمين ، فإنه خلق الخلق لعبادته ، وأحل لهم الطيبات ليأكلوا طيبا ويعملوا صالحا ، والكفار عبدوا غيره فصاروا غير مستحقين للمال ، فأباح للمؤمنين أن يعبدوه ، وأن يسترقوا أنفسهم ، وأن يسترجعوا الأموال منهم ، فإذا أعادها الله إلى المؤمنين منهم فقد فاءت ؛ أي رجعت إلى مستحقها " .

وقال أيضاً [3]:

" وسمي فيئا ؛ لأن الله أفاءه على المسلمين ، أي رده عليهم من الكفار ، فإن الأصل أن الله تعالى ، إنما خلق الأموال إعانة على عبادته ؛ لأنه إنما خلق الخلق لعبادته ، فالكافرون به أباح أنفسهم التي لم يعبدوه بها ، وأموالهم التي لم يستعينوا بها على عبادته ، لعباده المؤمنين الذين يعبدونه ، وأفاء إليهم ما يستحقونه ، كما يعاد على الرجل ما غصب من ميراثه ، وإن لم يكن قبضه قبل ذلك " .

---

[1] أحكام القرآن : ٣ / ٥٩١ .

[2] الفتاوى : ٢٨ /٥٦٣ .

[3] الفتاوى : ٢٨/ ٢٧٦ .

والمقصود :

أن هذا المال الذي يغنمه المسلمون من الكفار الحربيين من أطيب الحلال ، وهو من الرزق الذي تفضل الله به على هذه الأمة ، فقولهم إن الاعتداء على ثروات وخيرات الشعوب المستضعفة من الفساد في الأرض وأن هذا مما أرساه النبي صلى الله عليه وسلم في علاقاتنا مع الأمم الأخرى باطل .

====

ثم قالوا :

(**٦- المسؤولية في الجنايات الخاصة فردية، فلا أحد يؤخذ بجريرة غيره، قال الله تعالى: (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (فاطر: الآية ١٨).**)

قلت : وهذا صحيح في الجملة ، إلا أن وضعه هنا قد يراد به أمران :

الأول : ما عليه ظاهر الكلام ، والمراد به إعلام المثقفين الأمريكان بأن مسؤولية الجنايات الخاصة في الفقه الإسلامي تكون فردية ، و لا يؤاخذ أحد بجريرة غيره (!) .

الثاني : أن يراد به أن (جناية) المجاهدين عليكم (فردية) : فنحن برءاء يا (أمريكان) منهم ، ومن فعلهم ، ولا نؤاخذ بها ، واجعلوا معركتكم معهم وحدهم ، فيقال :

اعلم إن المجاهدين الذين ضربوا أمريكا كانوا متأولين بالإجماع : من الموافق لهم ، والمخالف ، فكل أحدٍ يعلم ما لهم من الأدلة على ما ذهبوا إليه من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم ، فإن أصابوا فذاك ، وإن أخطأوا فقد تأولوا ، فلا يتبرأ المسلم منهم ، ولا يسلمهم في وقت هم فيه بأشد الحاجة إلى النصرة – ولو بالقول – ، ولا يخذلهم ، ولا يدخل الوهن في قلوبهم ، ولا ينصر الكفار عليهم ولو بشطر كلمة ، بل يتولاهم ، وينصرهم ، ويدافع عنهم ، ولا يقر أعين الكفار بشيء فيهم[١] .

ولو أن البغاة من المسلمين (وهم بغاة يقاتلون المسلمين لا الكفار!) تسلط عليهم الكفار فإنه يجب مناصرتهم عند القدرة ، لبقاء الإخوة الإسلامية .

---

[١] فإن لم يفعل هذا فلا أقل من سكوته !.

قال ابن حزم رحمه الله [1]:

" ولو ترك أهل الحرب من الكفار وأهل المحاربة من المسلمين على قوم من أهل البغي ففرض على جميع أهل الإسلام وعلى الإمام عون أهل البغي وإنقاذهم من أهل الكفر ومن أهل الحرب ؛ لأن أهل البغي مسلمون ، وقد قال الله تعالى (**إنما المؤمنون أخوة**) ، وقال تعالى (**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**) ، وقال تعالى (**أشداء على الكفار رحماء بينهم**)".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

"والمؤمن عليه أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه ، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية ، قال تعالى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي وأمر بالإصلاح بينهم".

وهاك مثالين عن الرسول صلى الله عليه وسلم في إعذار المتأول من المجاهدين حتى لو كان الخطأ واضحاً :

المثال الأول : قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه مع بني جذيمة :

وهي ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيره ، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره ، فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه

---

[1] المحلى : ١١ / ١١٧ .

[2] الفتاوى : ٢٨/ ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

وسلم ، فذكرناه ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، مرتين [1] .

فهذا خالد رضي الله عنه أخطأ في هذا خطأ ظاهراً بقتله للمسلمين ، مع تنبيه ابن عمر رضي الله عنهما له ، ومع ذلك ما زاد الرسول صلى الله عليه وسلم على أن تبرأ من فعل خالد ، ولم يعنفه ، ولم يقر أعين الكفار بعزله ، بل استمر على ما كان عليه من الجهاد .

قال ابن القيم رحمه الله [2] :

"وقد بريء النبي صلى الله عليه وسلم مما صنع خالد ببني جذيمة وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ولم يؤاخذه به لحسن بلائه ، ونصره للإسلام " .

المثال الثاني : سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه :

فإنهم قتلوا ابن الحضرمي وأسروا صاحبيه وغنموا العير في الشهر الحرام وهم يعلمون حرمة الشهر ، ومع هذا نزل قوله تعالى (**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله الآية**) ، فمع أن الله سبحانه ذكر أن القتال في الشهر الحرام كبير ، إلا أنه بيّن أن فعل الكفار أعظم وأكبر ، ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل العير وأخذ الفداء من الأسيرين بعد ذلك [3] .

=====

ثم قالوا :

(٧- العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم ، قال الله تعالى: "وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى "(الأنعام :١٥٢).(.

---

[1] وورد في بعض الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل علياً رضي الله عنه إليهم فوداهم ، وهذا يدل على أن جناية خالد رضي الله عنه مع أنها فردية لم يتحملها لأنه كان متأولاً ، وتحملها عنه الرسول صلى الله عليه وسلم مع إنكاره .

[2] إعلام الموقعين : ٣ / ٨.

[3] وسيأتي الكلام على هذه القصة والآية بالتفصيل إن شاء الله تعالى في الدليل من المبحث الثاني .

قلت : والكلام على هذا من ثلاثة وجوه :

الوجه الأول : أن قولهم (مهما كانت أديانهم) يوهم معنى فاسداً ، وهو مساواة المسلمين بالكفار ، وهذا باطل كما تقدم .

قال العز بن عبد السلام رحمه الله [1] :

"يجب على الحكام التسوية بين الخصوم في الإعراض والإقبال وغير ذلك ؛ لأن تقديم أحد الخصمين موجب لإيغار صدر الآخر وحقده ، ولا يجري ذلك في حق المسلم والكافر ؛ لأن جنايته على أمر نفسه بالكفر أخّرته وأوجبت بغضه وإذلاله ، كما يظهر بالغيار وإظهار الصغار".

الوجه الثاني : أن العدل قد يراد به أمران كما تقدم :

الأول : استواء الأفراد أمام القانون بدون تفريق كما تبينه مواثيقهم .

والثاني : استواء الأفراد في تطبيق شرع الله عليهم ، بحيث يسوى بين المتماثلين ، ويفرق بين المختلفين .

فالأول : باطل ، بل هو من الظلم ، والطغيان ؛ إذ كيف يسوى عبد الله بعبد الطاغوت في الحكم ، وقد فرّق الله بينهم بعدله ؟!.

وإن أريد الثاني : فهو الحق ، ولكن الكلام موهم ، والمخاطبون سيحملونه على ما يفهمونه!.

الوجه الثالث : أن هذه **الإطلاقات** إنما عرفت من العصرانيين ونحوهم ، كما قال شيخهم في مباديء الإسلام مع الأمم الأخرى بزعمه [2] :

---

[1] قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ١ / ٧٢ .

[2] القرضاوي : في برنامجه الشريعة والحياة : حلقة بعنوان : العلاقات الدولية : بتاريخ : ٨ / ٣ / ١٩٩٨ م ، وقد ذكر بعض الأسس التي هنا ككرامة الإنسان ، وسيأتي إن شاء الله ، ومقصود هذا الرجل من العدالة في الغالب هو ما تقرره مواثيق الكفار بعدم التفريق بين الناس في الدين ، لذلك يقرّر أن المسلم يقتل بالكافر ، فإنه بعد أن روى حديث (لا يقتل مسلم بكافر) ثم ذكر قولاً لبعض الفقهاء بأنه يقتل فيه ، قال : إن هذا الرأي هو الذي لا يليق بزماننا غيره. ونحن بترجيح هذا الرأي نبطل الأعذار ونعلي راية الشريعة الغراء (الشيخ الغزالي كما عرفته) ص ١٦٨ ، فمعنى كلامه : إن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يليق بزماننا) ، و مخالفته (تعلي راية الشريعة) ، كما أن له كلاماً على إلغاء

=

"هناك مبدأ أيضاً العدالة، عدل الله لجميع عباد الله ، العدل في الإسلام ليس للعرب دون العجم ، ليس لأهل الشرق دون أهل الغرب ، ليس للمسلمين دون غير المسلمين ، العدل للجميع ، القرآن يقول (**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**)".

====

ثم قالوا :

(٨- الحوار والدعوة بالحسنى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وجادلهم بالتي هي أحسن) (النحل:١٢٥) هذه الأسس هي ما نؤمن به، وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية.)

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن الحوار والدعوة بالحسنى قد يراد به في هذا الوقت أمران :

الأول : عرض شريعة الله سبحانه كما جاءت من غير تحريف بصورة حسنة كما سبق بيانه .

والثاني : تغيير شرع الله إلى صورة يرضاها المدعو .

فالأول هو الحق المراد بهذه الآية ، وأما الثاني فباطل ، بل مؤداه إلى الكفر كما سبق بيانه[١] .

الوجه الثاني : قولهم عن هذه الأسس (**وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم**) باطل ، فقد سبق التنبيه على ما في هذه الأسس .

الجزية عن أهل الذمة بسبب اشتراكهم في (التجنيد) ، و إلغاء تمييزهم عن المسلمين بسبب وجود (البطاقة الشخصية) ! وعظائم هذا الرجل أكثر من تحيط بها هذه الحاشية !.

[١] انظر : المقدمة الثالثة ، والمقدمة الخامسة في الفصل الأول .

الوجه الثالث : قولهم (**وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية.**) : هذه من طرق أصحاب (التقريب بين الأديان) كما سيأتي إن شاء الله في القسم القادم ، والأصل في الشرع أن المسلم مأمور بمخالفة أصحاب الجحيم ، ولو حكم المسلمون الكفار فإنهم يأمرونهم بمخالفتهم ، فهم مفترقون في كل شيء ، حتى في (لبس نعالهم) ، وسيأتي الكلام في الرد على هذا في الدليل الرابع عشر و السابع عشر من المبحث الثاني إن شاء الله.

ثالثاً : بيان المثقفين والتقريب بين الأديان :

وقد سبق أن ذكرت في المبحث الرابع من الفصل الثاني مقارنة بين (بيان المثقفين) وبين بعض ما جاء في (مؤتمرات التقريب بين الأديان) ، وسأتحدث هنا عن أمرين :

الأمر الأول : تاريخ التقريب بين الأديان ، وبعض رموزه :

الأمر الثاني : أسس التقريب بين الأديان وبيان المثقفين :

الأمر الأول : تاريخ التقريب بين الأديان ، وبعض رموزه :

إن الخلط بين الأديان ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وحدة الأديان :

ويراد به اعتقاد صحة جميع الأديان ، وأنها كلها طرائق ووسائل صحيحة إلى هدف واحد ، ولا يراد من هذا توحيدها ، بل هي بمثابة المذاهب المتعددة في الدين الواحد .

وهذا ما عليه الصوفية الاتحادية قديماً كابن عربي وابن الفارض والتلمساني وغيرهم ممن كفّرهم علماء الإسلام ، وأما في عصرنا هذا فإن الذين يرون وحدة الأديان من (المنظرين) قلة ، وأبرزهم الفرنسي (روجيه جارودي) الذي يرى نوعين من الوحدة :

الأولى : وحدة صغرى (الإبراهيمية) : ويهدف منها إلى توحيد الأديان الثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية : لأنها تنتسب إلى إبراهيم عليه السلام .

والثانية : وحدة كبرى : وتشمل جميع الأديان والملل الوثنية والملحدين ، ويريد إقامة (وحدة فدرالية) بين هذه الأديان والملل !.

وله في هذا كتب ورسائل ومؤتمرات ومعاهد !!.[1]

وقد قال في مقابلة مع جريدة (البعث) السورية في ١٩٨٤/٣/٢٥ م :

[1] انظر : دعوة التقريب بين الأديان : ٢ / ٣٤١ وما بعدها . و ٨٣٩/٢ وما بعدها .

"إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأني أتخلى عن مسيحيتي ، ولا عن ماركسيتي ، ولا أهتم بأن يبدو هذا متناقضاً ولا مبتدعاً".[1]

وصرح بمثل هذا الأمر في أكثر من مقابلة ، وحينما ظهرت زندقته ، وفاح خبثه ، أصدر الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى بياناً ذكر فيه كفره ، وكان مما قال [2]:

" لا يحكم عليه بأنه مرتد عن دين الإسلام ، كما توهمه بعضهم ، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام".[3]

القسم الثاني : توحيد الأديان [4]:

والمراد بهذا (دمج الأديان) تحت دين واحد ، وهم قلة ، وأكثرهم من الكفار ، ومن أبرز رموز هذا التيار ممن ينتسب إلى الإسلام جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده .

فمن أقوال جمال الدين الأفغاني في هذا [5]: " هكذا نجد الأديان الثلاثة : الموسوية ، والعيسوية ، والمحمدية ، على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية ، إذا نقص في الواحد شيء استكملته الثانية ...وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير أن يتحد الأديان الثلاثة ".

---

[1] دعوة التقريب : ٨٥٣/٢ .

[2] مجلة الدعوة : عدد ١٥٨٣ ، الخميس ١ /١٤١٦/١٢ ، نقلا عن (دعوة التقريب) ٨٤٠/٢ .

[3] وأمره هذا ظاهر جداً ، وقارن أخي المسلم كلامه ، واعترافه بأنه لم يتخل عن نصرانيته وماركسيته ، وفتوى الشيخ ابن باز رحمه الله فيه ، بما جاء في موقع (**الإسلام اليوم**) عن (جارودي) حين سئل أحدهم عنه فذكر مؤلفاته ضد اليهود ونشاطه الإبراهيمي وصوفيته وعقلانيته ، ثم قال : (والواجب علينا تجاه جارودي العدل الذي أمر الله به، واتباع الوسطية التي هي دين الإسلام **حيث نحب الرجل ونواليه لأجل إسلامه وتفهم البيئة التي نشأ بها، وتقدير إخلاصه وتفانيه وما يتعرض له بسبب محاربة الصهيونية،** ومع ذلك فإن ذلك لا يصحح انحرافاته وأخطائه، بل نحذر منها ولا نتبعه فيها، ولا أنصح من حيث العموم بقراءة كتبه إلا للمتخصصين. نسأل الله له مزيداً من الهداية، ونكل أمره إلى الله – سبحانه – ، والله أعلم) !.

فهل من (وسطية) الإسلام المزعومة محبة رجل وموالاته ؛ وهو يصرح بكفره ؟! فعلى هذه (الوسطية) : يجب محبة (مسيلمة الكذاب) بما معه من إسلام لأنه يشهد الشهادتين ، ولكنه زعم أنه نبي ، ولا بد من تفهم البيئة التي نشأ فيها مسيلمة ، فقد نشأ في بيئة أعرابية متخلفة ، في وسط نجد ، حيث الأمية والجهل ! ولا نصحح انحرافاته في ادعاء النبوة ، ونحذر منها ولا نتبعه فيها !.

[4] دعوة التقريب : ٣٤٣/١ وما بعدها .

[5] الأعمال الكاملة لجمال الدين : محمد عمارة : ص ٦٩ ، نقلا عن : (العصرانيون) للناصر : ص ٣٠٦ .

ويقول : " لقد لاح لي بارق أمل كبير : أن يتحد أهل الأديان الثلاثة ، مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها ، وبهذا الاتحاد يكون البشر قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة". [1]

ثم حمل الراية بعده تلميذه محمد عبده[2] ، فاتصل ببعض النصارى والروافض وغيرهم ، وأنشأ في بيروت جمعية دينية سرية موضوعها –كما يقول تلميذه رشيد رضا– التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة [3].

القسم الثالث : التقريب بين الأديان :

وأصحاب هذا المذهب لا يسعون إلى دمج الأديان ، ولا إلى تصحيحها ، بل يحاولون تقريب وجهات النظر ، وإزالة التعصب ، والتعاون والتعايش ، ونحو ذلك ، وهذا هو المنتشر في هذا العصر ، وقد يسمى (حوار الأديان) ، أو (حوار الحضارات) ، أو (الحوار الإسلامي المسيحي) ، أو (نبذ التعصب الديني) ، ونحو ذلك ، ومن أشهر القائلين به من العصرانيين : القرضاوي[4] ، والترابي ، والصحفي : هويدي ،

---

[1] التراث في ضوء العقل : لمحمد عمارة : ص ٢٣٦ ، نقلاً عن (العصرانيون) ص ٣٠٦ ، ويقول محمد عمارة عن كلام شيخه هذا : (لقد راودت الأفغاني أحلام السعي لتوحيد المؤمنين بالدين ، وأبناء الشرائع السماوية الثلاث ، سداً للثغرات أمام الأعداء !!) . هذا الكاتب الساعي إلى وحدة الأديان (لسد الثغرات أمام الأعداء) يصفه أحد الموقعين على البيان بأنه (مفكر إسلامي كبير) ويحث على قراءة كتبه !!. وراجع (دعوة التقريب) و (العصرانيون) حتى تجد مقالاته التي تدل على أنه يرى النجاة ليست خاصة بالمسلمين فقط حيث يقول مثلاً في كتابه (تجديد الفكر الديني) ص ٨٢ (والفروق بين المسلمين وأهل الكتاب ليست من الخطر بحيث تخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتدين بالدين الإلهي) ، وانظر كلامه في (دعوة التقريب) : ٢/ ٦٤٧ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ ، ٦٨٩ ، ٧٠٠ ، ٧٢٩ ، ٧٥٥ .

[2] يقول أحد أذناب العصرانيين في جريدة المدينة : ١٤٢٧٠– ١٤٢٣/٣/٧ في وصفه لبيان المثقفين : (طرح رؤية مغايرة للرؤية السائدة ، تتطابق مع آراء الإمام (!) محمد عبده ، ومن سار على نهجه ، وهي رؤية تعد : هرطقة ، وابتداعاً ، وعصرانية ، وتمييعاً ، من وجهة النظر الأخرى) **قلت** : وتعد : استنارة ، وتحرراً ، وواقعية ، وعقلانية ، وبعد نظر ، عنده وعند أصحابه !!.

[3] انظر : العصرانيون : ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، دعوة التقريب : ١ / ٤٠٠ وما بعدها .

[4] انظر من أقوال القرضاوي في التقريب بين الأديان في : دعوة التقريب : ١/ ١٥٨ ، ٢/ ٦٩١ ، ٧١٩ ، ٧٢٨ ، ٧٤٤ ، ٧٥٧ ، ٨١٨، ٨١٩ ، ٨٢٤ ، ٤/ ١٣٥٨ ، ١٤٤٧، ١٥٢٠ .

وغيرهم [1] .

وهذا القسم هو المذكور في :

الأمر الثاني : أسس التقريب بين الأديان وبيان المثقفين :

وهي تقوم على ثلاثة أسس ، كما يلي :

الأساس الأول : الحوار من أجل التعايش والتعاون :

اعلم أن الحوار في عصرنا صار لفظاً مجملاً يحتمل معنيين :

المعنى الأول : أن يراد به الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه من غير (تحريف) بالحكمة والموعظة الحسنة ونحو ذلك ، فهذه هي دعوة الرسل والصالحين ، وهل دخل من دخل من الصحابة رضي الله عنهم في مكة وغيرها في دين الإسلام إلا بمثل هذا الحوار؟ ، وهل تكون دعوة إلى الإسلام بدون مثل هذا الحوار ؟ ، بل إن المجاهدين في حروبهم مطالبين قبل أن يبدأوا بالقتال بـ(حوار) أولئك المقاتلين ودعوتهم إلى إحدى ثلاث خصال : إما الإسلام ، أو الجزية ، أو السيف !.

المعنى الثاني : أن يراد به الدخول مع الكفار في علاقة (تعايشية) (تعاونية) ينبذ خلالها التعصب ، ويزال الصراع ، ويرضى بالواقع ، ويكون الهدف من ذلك : التعاون ، والتعايش ، ومعرفة ما عند الآخر من قيم ومباديء ، وتفهمه ، وترك معاداته .

---

[1] انظر : العصرانيون : ص ٣٠٣ – ٣١٠ ، و دعوة التقريب : ٢/ ٦٢٩- ٧٦٦ .

فائدة : ذكر أحد الإخوة (**طبقات العصرانيين**) فأجاد فيها ، فأردت أن أذكرها هنا باختصار للفائدة ، وهي أربع طبقات :

الطبقة الأولى : **طبقة المؤسسين** : وهم الذين أسسوا هذا المذهب : كالأفغاني ، ومحمد عبده ، و تلاميذهم .

الطبقة الثانية : **طبقة المنظرين** : وهم الذين اجتهدوا في هذا المذهب : فوسعوه ، ونشروه ، وأصلوه ، وألفوا فيه الكتب ، كالغزالي ، والقرضاوي ، والترابي ، والغنوشي ، وغيرهم .

الطبقة الثالثة : **طبقة الصحفيين** : وهم الذين اجتهدوا في نشر هذا المذهب عبر أعمدة (صحفية) مزينة بصورة للكاتب يبرز فيها (بوجهٍ حليقٍ مبتسمٍ !) ، كهويدي ، وغيره .

الطبقة الرابعة : **طبقة السرّاق والحرامية** : وهم مجموعة من (الفاشلين) الذين ما أفلحوا في (علم) و لا (دنيا) ، فقاموا بالسطو على مقالات وكتب وأفكار أصحاب الطبقات الثلاث الأولى ونشروها باسمهم ، وكثير من كتاب الصحف (الإسلاميين!) عندنا من هذه الطبقة !.

فهذا المعنى الثاني هو المعنى الباطل ، القادح في عقيدة الولاء والبراء ، وهو (حوار) أصحاب التقريب بين الأديان ، فهم يغلون في (الحوار) غلواً عظيماً ، وهو أيضاً (حوار) بيان المثقفين ، وقد ورد ذكر لفظ : (الحوار) في بيانهم خمس عشرة مرة ، وليس الكلام على اللفظ ، ولا على العدد ، بل الكلام على المضمون ، وإليك أمثلة من أقوال التقريبيين في (هذا الحوار)[1] مقارنة بما في (بيان المثقفين) :

١- يقول أحدهم[2] : " فالحوار الذي نقصد له مصالح أخرى مشتركة ، لا يدخل التبشير أو الدعوة ضمنها " .

٢-ويقول آخر [3]: " إن الحوار يدعو إلى التعايش السلمي كعملية ممكنة في ظل معطيات واقع الأديان القائمة ".

٣- ويقول آخر [4]: " لا بد من تكثيف الحوار وتأسيس المنابر المشتركة لا لمناقشة القضايا اللاهوتية ، ولكن لمناقشة ما يمكن أن نفعله سوياً لإشاعة المثل والقيم الدينية في عالمٍ ينزلق يوماً بعد الآخر في مستنقع الجاهلية الآسن ".

٤- ويقول آخر [5]: " بالرغم من اقتناعنا أن الحوار يجب أن ينأى عن الجدل الديني كلما أمكن ذلك ، وأن يكتفى في هذه المرحلة بارتياد حقول التعاون في الأمور العامة التي تؤثر في حياة الأفراد والمجتمعات " .

---

[1] مع العلم أن دعاة التقريب بين الأديان ليسوا على مذهب واحد ، بل هم كغيرهم من أهل الضلال على فرق ومذاهب ، منهم الغالي ، ومنهم المقتصد ، لذا فقد تجد بين أقوالهم فروقاً في بعض المسائل واختلافات في بعض الأمور ، إلا أن جوهر المسألة وهو (التقريب) محل وفاق ، والأمثلة هنا التي أذكرها في هذا المبحث أكثرها عن دعاة عصرانيين .

[2] دعوة التقريب : ٧٤٨/٢ .

[3] نفسه : ٧٤٩/٢ .

[4] نفسه : ٧٣٩/٢ .

[5] نفسه : ٢ / ٧٤٢ .

٥- ويقول آخر [١]: " الهدف من الحوار العقائدي هو إزالة الالتباسات والأفكار الخاطئة لدى كل من الطرفين حول عقائد الطرف الآخر ، وذلك بغية التوصل إلى تعايش أخوي ، واحترام متبادل" .

٦- ويقول آخر [٢]: "والحاجة ماسة اليوم إلى حوار الحياة ، والعيش المشترك ، حوار حول قضايا المجتمع والإنسان لاستنطاق قيم الأديان ، واستنباط قيم مجتمعية ، ومواجهة ظروف وتعقيدات اليوم " .

٧- ويقول آخر [٣]: " لا شك أن السعي نحو السلام بين المسيحية والإسلام هو أحد أصعب المهام التي تواجه الإنسانية ، وإنه بدون سلام بين الأديان ستكون هناك حروب تملأ الكرة الأرضية وتأكل روح الإنسان ، ولا سلام بين الأديان بدون حوار صادق ومخلص ، إن هذا الحوار ضروري ونافع وممكن ".

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً من كلامهم ، وكلها تدور حول الحوار من أجل التعاون والتعايش واحترام الآخر وتناسي آلام الماضي ونحو ذلك .

وقد جاء في القضية الثانية من توصيات مجلس الكنائس العالمي في مؤتمر أديس أبابا [٤]:

"التركيز في الحوار على قضايا إنسانية عامة ، كالعدالة والسلام والتطور ".

وقارن أخي هذه النقول بقولهم في (بيان المثقفين) :

١- (وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين ، وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع ، ويمهّد لمستقبل أفضل لأجيالنا التي تنتظر منا الكثير ، يفترض أن ندعو جميعاً لمشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، مبشرين العالم بمشروع يصنع الخير والأمن له).

٢- (ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) .

---

[١] نفسه : ٢ / ٥٣٦ .

[٢] نفسه : ٢/ ٧٤٣ .

[٣] نفسه : ٢ / ٨١٧ ، ٨١٨ .

[٤] دعوة التقريب : ٢ / ٤٧١ ، **فائدة** : بعض النصارى تكلم على (حوار النصارى) مع (غيرهم) وقال :" إن الحوار كان خيانة للرسالة المسيحية ، وباباً مفتوحاً أمام التوليف (!)" (نفس المرجع والصفحة) .

٣-(فكذلك ينبغي أن نقدر أن ثمة مجموعة من المشاكل يواجهها العالم في: الحقوق، والحريات، والأوليات الإنسانية (التعليمية، والصحية، والغذائية، والأخلاقية) يفترض أن تحظى باهتمامنا) .

٤- (نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض، تحقيقاً للسلام العالمي) .

٥-(نقدم نحن الموقعين هذه الورقة من أرض الحرمين ومهد الإسلام (المملكة العربية السعودية) وجهة نظر بديلة متطلعين لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات) .

وهكذا : حوار من أجل : التعايش ، تأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات ، ينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع ، مجموعة من المشاكل الإنسانية ، السلام العالمي ، لما فيه خير البشرية ، لمستقبل أفضل لأجيالنا ، يحقق الفهم الأفضل للفريقين ، وغيرها من العبارات التي من أحسنها حالاً بعض المجملات التي تفسر على أكثر من معنى ! ، وليس هناك حرف واحد فيه دعوة للكفار إلى الإسلام ، أو تحذير لهم من الكفر :

وهل من (حوار يدعو إلى الإسلام ويحذر من الكفر) : (ينأى بالشعوب عن التطاحن والصراع) و (يؤسس أجواء تفاهم مشترك تتبناه الحكومات والمؤسسات) كما جاء في صدر البيان؟!.

الأساس الثاني : الانطلاق من المسائل المشتركة :

يرى التقريبيون في سبيل الحوار بين الأديان والتقريب بينها أن الانطلاق يكون من خلال المسائل المشتركة ، بمعنى أن يبدأ الحوار وينطلق من الأمور التي تتفق فيها الأديان ، وتترك المسائل الشائكة (مرحلياً على الأقل) ، فيكون التعاون بينهم من خلال المسائل المتفق عليها ، وإليك بعضاً من أقوالهم في ذلك :

١- يقول أحدهم [١] : " وهذا مبدأ مهم جداً : إذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه[٢] ليكون سبيلاً إلى أن نصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين ، لا نأتي إلى الشيء المختلف فيه ، ونقول به ، فلا يمكن أن نلتقي ...نقول : نبحث فيما يجمع بيننا ؟ نحن معاً نؤمن بالله ، ولو إيماناً إجمالياً ، نؤمن بالآخرة والجزاء الأخروي ، نؤمن بعبادة الله ، وبالقيم الأخلاقية ، وبثبات هذه القيم ، نؤمن بوحدة الإنسانية ، وبأن الإنسان مخلوق مكرم ، ...نأتي بأشياء يمكن أن تجمع بين المختلفين ، فإذا وضعنا هذه الأشياء المتفق عليه ، يمكن أن نقرّب بين المختلفين بعضهم بعضاً ، من جهتنا نحن المسلمين[٣] مستعدون للتقارب".

٢- ويقول آخر [٤] : " إن المطلوب من الحوار هو توليد قيمة جديدة نابعة من الإيمان الديني الإبراهيمي ، واكتشاف المساحات المشتركة التي توحد بين الدينين في قضايا الإنسان والمجتمع ، فيكون الدين في نطاق الأصول الإيمانية المشتركة منطلقاً للحوار ، لا موضوعاً له ".

٣- ويقول آخر [٥] : " لنتعاون على البر المشترك بين الأديان ، ولنبدأ صفحة جديدة من الحوار الذي يحيي مثالاً دينياً في كيفية التعامل مع الآخر بالبر والحسنى ، فقد ظلت الأمراض متلازمة لحركة المتدينين ، تعيبهم بالعجز عن الحوار مع الآخر ، والعجز عن التعايش مع الآخر".

---

[١] دعوة التقريب : ٢ / ٧٤٤ ، والقائل هو شيخ العصرانيين : القرضاوي ، وقد خرج (بيان المثقفين) من مشكاته.

[٢] كلامه هذا باطل وافتراء على الدين ، فإن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ما دعوا أقوامهم إلى التوحيد ونبذ الشرك (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) ، وما حصل بينهم وبين أقوامهم خلاف وشقاق وابتلاء إلا بسبب هذه الأمور المختلف فيها !! ، وسيأتي الرد بالتفصيل في المبحث الثاني إن شاء الله .

[٣] يتكلم عن نفسه وأذنابه ، أما أهل التوحيد : فهيهات هيهات ، ويقول نفسه في حلقة من برنامجه الشريعة والحياة بعنوان (**الحوار مع الغرب**) **بتاريخ ١١ / ٧ / ١٩٩٩ م** : " ومن أهم الأشياء في الحوار والجدال وهي التركيز على القواسم المشتركة ، لاشك أنك مع المخالفين هناك نقاط تمايز ونقاط اختلاف ، فلا تركز في الحوار على هذه النقاط التي تميز بينك وبين غيرك لأن هذا يبعد ولا يقرب ، إذا أردت أن تقرب الآخرين منك فركز على نقاط الاتفاق" ، ويقول في نفس الحلقة : "وعلى هذا الأساس نقول أن هناك قواسم مشتركة، تعالوا نقف على هذه الأرضية المشتركة أننا نريد أن نقف ضد النزعة الإلحادية في العالم، النزعة المادية"!!.

[٤] دعوة التقريب : ٢ / ٧٣٦ .

[٥] نفسه : ٢ / ٧٣٣ ، والقائل هو الترابي الذي طالب بتأسيس جبهة (أهل الكتاب) والتي تضمه مع إخوانه من اليهود والنصارى ضد الدعوات الإلحادية!!.

قلت :

وقد ظهر الحرص على هذا الاشتراك مع الكفار في بيان المثقفين من خلال ثلاثة أشياء :

الأول : إشعارهم بالاشتراك في بعض الأسس والمباديء والقيم على نحو ما سبق من كلام التقريبيين من جعلها الأرضية التي ينطلق منها الحوار :

ومنه قولهم :

١- (مدركين أن مجموعة من المفاهيم في الأخلاق والحقوق والقضايا المعرفية هي قاسم مشترك مع الغرب ومؤهلة للتطوير الذي يصنع الأفضل لنا جميعاً) .

٢- (بعد أن ذكروا الأسس الثمانية قالوا : هذه الأسس هي ما نؤمن به، وأمرنا به ديننا، وتعلمناه من نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهي تتفق – بقدر مشترك – مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية) .

٣- (إن بعض القيم الإنسانية التي ذكرها المثقفون الأمريكان ليست قيماً أمريكية بحتة بل إنها متعددة المصادر تشترك فيها حضارات متنوعة ومن بينها الحضارة الإسلامية).

ثانياً : إشعارهم بالاشتراك في بعض المصالح الدنيوية :

كقولهم : (وثمة جسور تواصل مع الغرب أكثر مما هي مع تلك المجتمعات الشرقية، وعلاقات متبادلة ومصالح مشتركة) .

ثالثاً : إشعارهم بالرغبة في التوصل إلى أهداف مشتركة من هذا الحوار :

كقولهم :

١-(ومن هذا المنطلق نقدم نحن الموقعين هذه الورقة من أرض الحرمين ومهد الإسلام (المملكة العربية السعودية) وجهة نظر بديلة متطلعين لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات) .

٢- (وهذا يعني أننا نملك أهدافاً مشتركة) .

الأساس الثالث : نبذ التعصب الديني :

يدعو التقريبيون دائماً إلى (التسامح) و (احترام الآخر) و (نبذ التعصب والتشنج) ، لذلك حذروا من (التعصب) فقالوا [1]: " إن التعصب عدو الحوار الأول" . وهو ما ذكره بيان المثقفين في بدايته فقالوا : (وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة والبعد عن التشنج).

وكلام التقريبيين كثير جداً في (المؤاخاة) و (المحبة) و (المودة) و (المساواة) بين أصحاب الأديان المختلفة ، ومن أقوالهم :

١- يقرّر أحدهم[2] بكلام طويل أن المخالفين (ولا يسميهم الكفار) صنفان : المسالم للمسلمين فهؤلاء لهم حق البر والإقساط ولا تحرم موالاته ، وصنف اتخذ موقف العداوة والمحادة للمسلمين بالقتال فيحرم موالاتهم .

٢- ويقول آخر عن الكتاب والسنة [3]: " وبأن هذه المصادر تنادي بالمساواة بين المسلم وغير المسلم".

٣- ويقول آخر [4]: " ليس في الاجتماع السياسي الإسلامي مواطنون درجة أولى ، ومواطنون درجة ثانية ، المواطنون درجة واحدة ، وانتسابهم إلى الدولة انتساب واحد".

قلت : وقد سار (بيان المثقفين) على هذا النحو ، ويظهر (نبذ التعصب) في بيان المثقفين من خلال ما يلي :

أولاً : دعوتهم الكفار إلى (الاحترام المتبادل ونبذ التشنج) :

كقولهم (وبقدر ما إن الحوار ضروري ومؤثر فإن الاحترام والوضوح والصراحة والموضوعية من ضروريات نجاحه، فالحوار إنما يتأسس على الاحترام والوضوح والمصارحة وأن يكون لدى أطرافه القابلية للنقد والمراجعة والبعد عن التشنج) .

---

[1] دعوة التقريب : ٢ / ٥٢٥ .

[2] دعوة التقريب : ٢ / ٦٩١ – ٦٩٣ : والقائل هو : القرضاوي .

[3] نفسه : ٢ / ٧٠٧ .

[4] نفسه : ٢ / ٧٠٩ .

ثانياً : إشعارهم بعدم التفريق بين المسلمين والكفار ، وأن المسلمين لا يعادون الكفار:

ومن ذلك قولهم :

(الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم ، فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه) ، و (تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق. وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً) ،و (إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة) ، و(فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر) ، و (كل ما في الأرض من خيرات ظاهرة وباطنة إنما خلقت من أجل الإنسان) ، و(العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم) ، و(إن النظم والتشريعات التي جاء بها الإسلام تؤسس لحياة مستقرة للمؤمنين به وغير المؤمنين) ، و (وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها) ، و(وتصورنا يحمي إرادة الأكثرية، ويحفظ حقوقها، ويحمي كذلك حقوق الأقلية) ، و (وتبني الدولة للدين الإسلامي ليس معناه التدخل في خصوصيات الأقليات) ، و(إن الإسلام ليس عدواً للحضارة؛ لكنه يرفض الاستخدام السلبي لها. والإسلام ليس عدواً لحقوق الإنسان أو الحريات).

ثالثاً : إشعارهم بمشاركتهم في مصابهم :

ومن ذلك قولهم :

(إن كثيرين في العالم الإسلامي وغيره لم تكن هذه الهجمات في سبتمبر محل ترحيب وحفاوة عندهم، لجملة من الأسباب القيمية والمبدئية والمصلحية والأخلاقية التي تعلمناها من الإسلام) ، (ولئن كان الغرب يعتبر أحداث الحادي عشر من سبتمبر تتجه لزعزعة الأمن المدني في الغرب فمن الممكن أن نشاركه الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني في العالم) .

رابعاً : إشعارهم بعدم موالاتهم للإرهابيين ولو كانوا مسلمين ! :

ومن ذلك قولهم : (مشكلة الإرهاب والتطرف، ومن وجهة نظرنا فإن هذه مشكلة جادة في العالم) ، (حين نؤمن أن العالم يواجه مشكلة الإرهاب والتطرف بالمفهوم الشامل الذي

ذكرناه) ، (إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين) ، (الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات) .

وعلى هذا الأساس :

فإن الولاء عند التقريبيين ليس لأصحاب دينهم ، والبراء ليس من أعداء دينهم ، بل يكون الولاء للتعايشيين ، والبراء من الإرهابيين ، فالجامع (التعايش) ، والمفرّق (الإرهاب):

فمن كان قابلاً للتعايش فله : (الاحترام) و (الحقوق) و (التسامح) و (السلام) مهما كان دينه .

ومن كان إرهابياً (غير قابل للتعايش) : فليس له شيء من ذلك ، بل يتبرأ منه ، مهما كان دينه ![1].

ولا شك أن هذه الأسس وما بني عليها باطل :

وجميع نصوص موالاة المؤمنين ، والبراء من الكافرين ، والأمر بمخالفتهم ، والإخبار عن عدائهم لنا ، وقصص الأنبياء ، والسيرة النبوية ، وغيرها مما سيأتي في المبحث القادم إن شاء الله ترد هذه الأباطيل من جذورها ، وبطلان هذه الأمور من المعلوم من الدين بالضرورة ، بل إن أهل البدع كالمعتزلة والخوارج والأشعرية والماتريدية ونحوهم لا ينازعون في بطلانها[2] ، بل هي عندهم من المسلمات ، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإسلام والسنة حتى نلقاه .

---

[1] لذلك يدعو كثير من التقريبيين إلى إحلال رابطة أخرى غير رابطة الدين في (الولاء والبراء) ، كقول الصحفي هويدي مثلاً في المواطنة بدلاً من الدين والذي سبق نقله في المبحث الخامس من الفصل الثالث وهو قوله (بحيث تكون القسمة بين وطنيين وغير وطنيين ، وليس بين إسلاميين وعلمانيين) ، وكمطالبة الترابي بجبهة (أهل الكتاب) ضد الملحدين ، ومطالبة آخرين بإحلال (الإنسانية) بدلاً من (الدين) كقول صبحي الصالح في حواره مع النصارى كما في (دعوة التقريب) ٢ / ٧٥٠ : (وأن نبني تعاوننا على أساس كرامة الإنسان بوصفه إنساناً).

[2] يقول الزمخشري – وهو من رؤوس المعتزلة – في (الكشاف) ٤٢٢/١ على قوله تعالى (**لا يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين** ..) : " نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر ، وقد كرر ذلك في القرآن : (**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**) (**لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**) (**لا تجد قوماً يؤمنون بالله الآية**) ، والمحبة في الله ، والبغض في الله ، باب عظيم ، وأصل من أصول الإيمان ".

رابعاً : بيان المثقفين وتحريف النصوص :

النص الأول :

قوله تعالى (لا إكراه في الدين) :

ورد في (بيان المثقفين) في ثلاثة مواضع :

١- (لا يجوز إكراه أحد في دينه ، قال الله تعالى: (**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**) (**البقرة:٢٥٦**)، بل إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه).

٢- (وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها ، ذلك أن ديننا علمنا أن لا إكراه في الدين).

٣-(وتبني الدولة للدين الإسلامي ليس معناه التدخل في خصوصيات الأقليات وإجبارها على التخلي عن دينها وإكراهها على الدخول في الإسلام فقد استقر في وعي المسلم وعُلِمَ من صريح آيات القرآن أن لا إكراه في الدين) .

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا الكلام جعلوه مقابل ما ذكره كفار أمريكا من (الحرية العقدية) ، فالحرية العقدية جعلت عند الكفار الأساس الرابع من أسسهم الخمسة ، وعدم الإكراه في الدين جعلت الأساس الثالث في (بيان المثقفين) من أسسهم الثمانية ، ومن الحرية العقدية عند الكفار (حرية تغيير الدين) وهو (الردة) ، حيث في المادة الثامنة عشر من ميثاقهم لحقوق الإنسان : (لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين ، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته ، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة) .

الوجه الثاني : أن الإكراه على الدين قد يراد به الإكراه على (الاعتقاد) ، وقد يراد به الإكراه على (الالتزام بالحكم) :

فقد دلت الآية نفسها على أن المراد بعدم الإكراه هنا هو (الإكراه على الاعتقاد) ، وذلك بقرينة قوله تعالى بعد هذا (**قد تبين الرشد من الغي**) ، وذلك إنما يدل على إرادة الاعتقاد ، ويبقى الإكراه على الالتزام بحكم الإسلام قائماً لم يخصه دليل ، لقوله تعالى (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ونحوها من آيات القتال والجهاد .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى على هذه الآية [1] :

" والدين في القرآن واللغة : يكون الشريعة ، ويكون الحكم ، ويكون الجزاء :

١-فالجزاء في الآخرة : إلى الله تعالى لا إلينا .

٢-والشريعة : قد صح أن نقرهم على ما يعتقدون إذا كانوا أهل كتاب.

٣-فبقي الحكم : فوجب أن يكون كله حكم الله كما أمر".

وقال القرطبي رحمه الله [2]:

"قوله تعالى (**لا إكراه في الدين**) : الدين في هذه الآية : المعتقد والملة ؛ بقرينة قوله (**قد تبين الرشد من الغي**) ".

فعلى هذا : فقولهم (إننا لا نكره شعباً على التخلي عن قيمه الخاصة) ، و (لا نتدخل في خصوصيات الأقليات) غير صحيح ، بل يلزمون بالامتثال لشريعة الإسلام فيما يتعلق بأحكام أهل الذمة كما مر .

على أن نفي الإكراه على الاعتقاد أيضاً لا يصح ، وهذا هو :

الوجه الثالث : وهو أن إطلاقهم عدم الإكراه في الدين باطل ، وذلك أن مسألة الإكراه في الدين على قسمين :

القسم الأول : الإكراه على الدخول في الإسلام :

القسم الثاني : الإكراه على التزام حكم الإسلام :

أما القسم الأول : وهو الإكراه على الدخول في الإسلام :

فينقسم إلى ثلاثة أقسام :

---

[1] المحلى : ٩ / ٤٢٥ .

[2] تفسير القرطبي : ٣ / ٢٧٩ .

قسم يكره فيه بالاتفاق ، وقسم يكره فيه عند الجمهور ، وقسم لا يكره فيه بالاتفاق :

أما الأول : فهو نوعان :

١- المرتد عن الإسلام :

فإنه يقتل بالإجماع إذا ارتد ، ووقع الخلاف في الاستتابة قبل القتل ، وفيمن تقبل منه التوبة ، إلا أن الإجماع وقع على عدم تركه .[1]

ومن أشهر أعمال الصحابة رضي الله عنهم بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم حروب المرتدين ، وهي الحروب التي عناها قوله تعالى -كما ذكر كثير من المفسرين- **(ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون)** ، فلم يذكر غير هذين الخيارين .

٢- المشرك العربي :

قال أبو عبيد رحمه الله [2]:

" تتابعت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده في العرب من أهل الشرك أن من كان منهم ليس من أهل الكتاب فإنه لا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل".

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله [3]:

" أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أخذ الجزية من عبدة الأوثان من العرب ، ولم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف "[4].

وقال ابن حزم رحمه الله [5]:

---

[1] انظر شرح مسلم للنووي : ١٢ / ٢٠٧ ، المغني : ٩ / ١٦ ، بداية المجتهد : ٢ / ٣٤٣ ، سبل السلام : ٣ / ٢٦٤ ، وكتب الفقه في أبواب حد الردة .

[2] الأموال : ص ٣٥ .

[3] اختلاف الفقهاء : ص ٢٠٠ .

[4] على أن هناك من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية والشوكاني رحمهما الله من يرى أن مشركي العرب كغيرهم تقبل منه الجزية وهو مذهب مالك لحديث بريدة في صحيح مسلم، وإنما لم يقبلها الرسول صلى الله عليه وسلم منهم لأنهم أسلموا قبل نزول آية الجزية ، على أن هذا الكلام سواء صح أم لم يصح فإنه يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أكره العرب على الإسلام بعد نزول آية الإكراه في الدين ، وهذا هو المقصود .

[5] المحلى : ١١ / ١٩٦ .

" لم يختلف مسلمان في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل من الوثنيين من العرب إلا الإسلام أو السيف إلى أن مات عليه السلام فهو إكراه في الدين".

فهذا النوعان يكره فيهما بالاتفاق ، ويدل عليه أدلة كثيرة منها :

قوله تعالى (**فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**).

وقوله تعالى (**ستدعون إلى قومٍ أولي بأسٍ شديد تقاتلونهم أو يسلمون**) كما سبق.

والحديث المتفق عليه مرفوعاً (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...الحديث).

وما في البخاري أيضاً مرفوعاً (من بدل دينه فاقتلوه) ، وغيرها من النصوص .

وأما الثاني : فهو الكافر من غير أهل الكتاب والمجوس :

فقد ذهب الشافعية والحنابلة والظاهرية وبعض المالكية إلى أن كل كافر ليس كتابياً أو مجوسياً فإنه يقاتل حتى يسلم ، فلا يقر على دينه ولو بالجزية مطلقاً[1] .

ودليلهم في ذلك قوله تعالى (**فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**) ، وآيات الجهاد والقتال في سبيل الله المطلقة.

وحديث ابن عمر المشهور مرفوعاً (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، ونحوها من النصوص .

وقالوا : إن آية الجزية إنما خصت أهل الكتاب في قوله تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**).

---

[1] انظر : المغني : ٨/ ٥٠٠ ، المحلى : ٥/ ٤١٦ ، روضة الطالبين : ١٠ / ٣٠٥ ، القوانين الفقهية : ١٧٥، وكتب الفقه في أبواب الجزية من (الجهاد) .

فيبقى غير أهل الكتاب على الأصل في عدم قبول غير الإسلام منهم .

وأما الثالث : فهو الكافر من أهل الكتاب والمجوسي :

فقد وقع الاتفاق في الجملة[1] على أنه يقر على دينه بالجزية ، وهو الالتزام بأحكام الإسلام وهو المراد بـ :

القسم الثاني : وهو الإكراه على التزام حكم الإسلام :

فيكره جميع الكفار – ممن تقبل منهم الجزية[2] – على التزام أحكام الإسلام المعروفة عند أهل العلم بـ(أحكام أهل الذمة) .

ويدل عليه قوله تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) .

وما ثبت في صحيح مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : (اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال – فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين

---

[1] وذلك أن أهل العلم اتفقوا على إقرار أهل الكتاب على دينهم بالجزية ، إلا أنهم اختلفوا في أهل الكتاب من العرب ، و خالف قلة من الفقهاء في قبولها من المجوس كابن الماجشون من المالكية ، وانظر : حاشية ابن عابدين : ٤ / ١٩٨ ، مغني المحتاج : ٤ / ٢٤٤ ، (المغني) ٨ / ٤٩٨ ، القوانين الفقهية ص ١٧٥ ، وغيرها .

[2] لأننا ذكرنا أن هناك خلافاً بين أهل العلم فيمن يقر بالجزية ، ومن لا يقر بها .

، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم).

ويبقى هاهنا تنبيه :

وهو أن هذا الإقرار بالجزية تحت حكم الإسلام إنما هو حكم مؤقت إلى نزول المسيح عليه السلام ، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا له من الدنيا وما فيها) وفي رواية (يقاتل الناس على الإسلام).

وعلى ذلك فيكون الإكراه على الدخول في الإسلام ذلك الوقت على جميع الكفار ، فلا يقبل منهم إلا الإسلام ، أو السيف.[1]

الوجه الرابع : مما سبق يظهر أن هذه الآية ليست على ظاهرها بإجماع المسلمين سواء قيل بنسخها أو لا ، ولم يستدل بها أحد من علماء الإسلام على ترك الإكراه على الدين بإطلاق[2] ، ولم يستدل بها أحد على ترك الإلزام بأحكام أهل الذمة لمن أقر منهم في بلاد الإسلام بالجزية ، وقد ذكر في معنى الآية نحواً من ستة أقوال ، و ليس فيها قول واحد أخذ

---

[1] وها هنا تنبيه آخر : وهو أن ضعف المسلمين وعدم قدرتهم على الجهاد وإكراه الكفار على الإسلام أو الجزية لا يعني سقوط هذه الأحكام ، فإن الحكم الذي يتعلق بها حكمان : حكم فقهي تكليفي وهو عملها فهذا مشروط بالقدرة على ما يقرره أهل العلم ، وحكم اعتقادي وهو الإيمان بهذه الأحكام وبما ورد عنها في الكتاب والسنة وبما أجمع عليه علماء المسلمين ، فهذا أمر آخر لا ينفك عنه المسلم في ضعفه وقوته ، واعتقاد عدم مشروعيته أو تقرير ذلك ولو باللسان كفر ، وقد سبق التنبيه على هذا في المقدمة الثامنة من الفصل الأول .

[2] وإنما كثر الاستدلال بها عند العصرانيين في هذا الزمان كما في الوجه التاسع ليجاروا الكفار في حريتهم الاعتقادية التي يتبجحون بها في مواثيقهم ، وبلغ الحال في بعضهم كالترابي إلى أنه قسم الردة إلى قسمين : ردة فردية فيترك صاحبها ، وردة مصاحبة للثورة فيقاوم ، وقسمها القرضاوي إلى ردة مخففة وهي الفردية فيترك أو يسجن ، وردة مغلظة وهي المصاحبة للثورة و إفساد المجتمع فيقتل ، وهذه الأباطيل لم يسبقوا إليها ، ككثير من أباطيلهم التي خرقوا بها الإجماعات ، وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الردة إلى ردة مجردة وردة مغلظة ، وكلاهما مستحق للقتل ، وإنما المجردة يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، والمغلظة لا تقبل توبته بل يقتل بدون استتابة .

بظاهرها في جميع الكفار [1] ، وقد قال ابن جرير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأقوال في الآية [2]:

"وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآية في خاص من الناس ، وقال : عنى بقوله تعالى ذكره (**لا إكراه في الدين**) أهل الكتابين والمجوس وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه ، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخا ، وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ؛ لما قد دللنا عليه في كتابنا (كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام) : من أن الناسخ غير كائن ناسخاً إلا ما نفى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما ، فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل ، وإذ كان ذلك كذلك ، وكان غير مستحيل أن يقال لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك ، وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام ، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه ، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب ، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ، ومن أشبههم ، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه وإقراره على دينه الباطل ، وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم ، كان بيّناً بذلك أن معنى قوله (**لا إكراه في الدين**) إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الإسلام".

وقال ابن حزم رحمه الله عن هذه الآية [3]:

" لم يختلف أحد من الأمة كلها في أن هذه الآية ليست على ظاهرها ؛ لأن الأمة مجمعة على إكراه المرتد عن دينه ".

الوجه الخامس : قولهم في البيان (**إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه**) لا يصح على إطلاقه كما سبق :

[1] انظر : تفسير القرطبي : ٣ / ٢٨٠ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٣١١ .

[2] تفسير الطبري : ٣ / ١٨ ، ١٩ .

[3] المحلى : ١١ / ١٩٥.

فإسلام المرتد والوثني من العرب يصح منه بالإجماع ، والكافر غير الكتابي والمجوسي يصح منه عند الجمهور .

قال ابن رجب رحمه الله [1] :

" وأما الإكراه بحق : فهو غير مانع من لزوم ما أكره عليه ، فلو أكره الحربي على الإسلام فأسلم ، صح إسلامه ".

الوجه السادس : قولهم (**وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها ، ذلك أن ديننا علمنا أن لا إكراه في الدين**) ، وقولهم (**وتبني الدولة للدين الإسلامي ليس معناه التدخل في خصوصيات الأقليات**) ، لا يصح أيضاً :

وذلك أن الكفار الذين يقرون على دينهم في بلاد الإسلام يلزمون بأحكام (أهل الذمة) وهي أحكام معروفة في كتب الفقه وأجمع عليها الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم في الجملة —كما سيأتي إن شاء الله في الدليل الأخير من المبحث الثاني — ومن أحكام أهل الذمة التدخل في خصوصيات الأقليات ، والإجبار على ترك بعض القيم ، فمن الشروط العمرية المشهورة عليهم : (ولا نبيع الخمور ، وأن نجز مقادم رءوسنا ، وأن نلزم زينا حيثما كان ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا ، ولا نظهر صليبا ، ولا كتبا من كتب ديننا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيفا ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين) وغيرها مما سيأتي إن شاء الله تعالى .

الوجه السابع : قولهم (**الأقليات**) يدخل فيه كل مخالف للأكثرية على مصطلح الأمريكان ، فيدخل في الأقلية عندهم : الروافض والإسماعيلية والنصيرية والدروز والبهائية والقاديانية وغيرهم من المشركين والزنادقة ، وهؤلاء لا يقرون أبداً على دينهم ولو بالجزية بالإجماع.

الوجه الثامن : قولهم (**فقد استقر في وعي المسلم وعُلِمَ من صريح آيات القرآن أن لا إكراه في الدين**) .

---

[1] جامع العلوم والحكم : ١ / ٣٧٨ .

قلت : وهي آية واحدة فحسب ، وليست على ظاهرها بإجماع المسلمين كما سبق ، فأين الآيات الصريحة الأخرى ؟!.

الوجه التاسع : وهو أن هذه الآية يكثر العصرانيون الاستدلال بها ليبينوا للكفار أنهم مع (الحرية الاعتقادية) ، ويجعلونها أساساً من أسس الدين ! كما قال شيخهم [1] :

" فلم يشرع القتال ليجبر الإنسان أو يكرهه على الدخول في الدين أو تغيير دينه ، والفتوحات لم تكن لإكراه الناس للدخول في الدين ، لو دخل إنسان في دين الإسلام مكرهاً لاعتبر إسلامه باطلاً ، لأن الإسلام يعتبر الإيمان قضية اختيارية اقتناعية ، ويقول بصراحة (لا إكراه في الدين، قد تبّين الرشد من الغي) "

---

[1] القرضاوي ، في حلقة من برنامجه الشريعة والحياة بعنوان (العلاقات الدولية) ، وهذه الآية ونحوها يكثر هؤلاء وأتباعهم ، و (أسلافهم كمحمد عبده والأفغاني) ، من الاحتجاج بها على نحو احتجاج بيان (التعايش) في ترك جهاد الطلب ، وعدم التدخل في خصوصيات الآخرين .

النص الثاني :

قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) :

حيث قالوا في أحد أسسهم :

"**الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم ، فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه، قال الله تعالى:** (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**) (**الإسراء: ٧٠**)".

وقد سبق الكلام على مساواة المسلم بالكافر في هذا الكلام في (بيان المثقفين والسياسة) ، إلا أن الكلام هنا عن الآية ومعناها وطريقة الاستدلال بها ، فالكلام على هذا من ثلاثة وجوه :

الوجه الأول : أن تكريم الإنسان في هذه الآية يراد بها تفضيل الإنسان من ناحية التصوير والتخليق والتكوين على غيره ، ويدل على ذلك ثلاثة أمور :

الأمر الأول : بقية الآية ، فإن الله سبحانه يقول (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) ، فباقي الآية يفسر المقصود بالتكريم . وحملهم في البر والبحر ، ورزقهم من الطيبات ، وتفضيلهم على كثير من الخلق أمر كوني خلقي متعلق بفعل الله سبحانه وفضله وامتنانه، لا أمر شرعي يتعلق به فعل من أفعال المكلفين بمجرده.[1]

الأمر الثاني : آيات القرآن الأخرى في إحسان خلق الإنسان ، كقوله تعالى (**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**) ، وقوله تعالى (**وصوركم فأحسن صوركم**) .

وقد ذكر المفسرون رحمهم الله على هذه الآية أقوالاً كثيرة وكلها تدور حول هذا المعنى في التكريم ، ولم يقل أحد منهم بمساواة المؤمن والكافر من أجل هذه الآية ، أو تحريم الاعتداء على الكافر استدلالا بهذه الآية .

قال الشوكاني رحمه الله [2]:

---

[1] المراد هنا استنباط حكم عدم الاعتداء على أي إنسان مهما كان دينه من هذه الآية كما سيأتي عن شاء الله .

[2] فتح القدير : ٣ / ٢٤٤.

"(**ولقد كرمنا بنى آدم**) هذا إجمال لذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني آدم ، أي : كرمناهم جميعا ، وهذه الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة ، وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوان مثله ، وحكى ابن جرير عن جماعة أن هذا التكريم هو أنهم يأكلون بأيديهم وسائر الحيوانات تأكل بالفم ، وكذا حكاه النحاس ، وقيل : ميزهم بالنطق والعقل والتمييز ، وقيل : أكرم الرجال باللحى والنساء بالذوائب ، وقال ابن جرير : أكرمهم بتسليطهم على سائر الخلق وتسخير سائر الخلق لهم ، وقيل : بالكلام والخط والفهم . ولا مانع من حمل التكريم المذكور في الآية على جميع هذه الأشياء ، وأعظم خصال التكريم العقل ؛ فإن به تسلطوا على سائر الحيوانات ، وميزوا بين الحسن والقبيح ، وتوسعوا في المطاعم والمشارب ، وكسبوا الأموال التي تسببوا بها إلى تحصيل أمور لا يقدر عليها الحيوان ، وبه قدروا على تحصيل الأبنية التي تمنعهم مما يخافون ، وعلى تحصيل الأكسية التي تقيهم الحر والبرد ، وقيل : تكريمهم هو أن جعل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم ".

الأمر الثالث : وهو المراد بـ :

الوجه الثاني : وهو أنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الله سبحانه وتعالى قد فرّق في كتابه وشرعه بين المسلمين والكفار في كل شيء ، في أحكامه القدرية ، أو الشرعية ، في أحكام الدنيا ، أو في أحكام الآخرة ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في المبحث الثاني ، فلا يستوون في الكرامه ، ولا في حرمة الاعتداء .

والمقصود هنا : إن الله سبحانه فرّق في كتابه في الكرامة الحقيقية ، فجعلها للمؤمنين ، كما قال تعالى (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) ، وهذا في خطاب المؤمنين ، يخبرهم بتفاضلهم في الكرامة فبعضهم أكرم من بعض ، فكيف بالكفار ؟.

وقد بيّن الله سبحانه في كتابه أن الكفار مهانون سافلون ليست لهم كرامة :

فورد أنهم أضل من الأنعام :

كما قال تعالى عنهم (**أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) ، وقال تعالى (**إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) ، وقال تعالى (**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام**) .

وورد أنهم في أسفل السافلين :

كما قال تعالى (**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) .

وورد أنهم أذلة مهانون :

كما قال تعالى (**إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين**) ، وقال تعالى (**وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم**) .

الوجه الثالث : أن ترتيب حكم عدم جواز الاعتداء على (التكريم الخلقي) بحرف الفاء يدل على أن هذا التكريم علة عدم الجواز كما سبق بيانه ، وهذا باطل ؛ لم يقل به أحد من أهل العلم ، وإنما أخذ هذا من استدلالات بعض العصرانيين هذا الزمان ، كما قال شيخهم [1]:

" الإسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان ، سواء كان مسلماً أو غير مسلم ، له حقوق أكثر من حيث إيمانه ، الله تعالى يقول (**ولقد كرمنا بني آدم**) ، ...يعني النفس الإنسانية لها حرمة فليس هذا معناه أن هؤلاء دماؤهم مباحة وحرماتهم مباحة وكرامتهم مهدرة ، هذا كلام يضر بالإسلام ويسيء إلى الإسلام ويشوه صورة الإسلام في العالم".

وانظر أخي الموحد في الآيات التي سقتها في الوجه الثاني – مع الأدلة المذكورة في المبحث الثاني – ثم انظر في كلام هذا الرجل تجد أنهما على طرفي نقيض [2].

---

[1] قاله القرضاوي في حلقة : حقوق المسنين في الإسلام من برنامجه الشريعة والحياة في : ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٩ م ، وانظر إلى استدلاله ، فلو كان يستدل بالعهود والمواثيق والذمة ونحوها لكان له وجه ، لأن الأصل في الكافر أنه مباح الدم والمال إلا بعاصم كما في صحيح مسلم (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله فقد حرم ماله ودمه وحسابه على الله) وكما في الحديث الآخر (فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، وكما في آيات الجهاد ، أما الاستدلال بتكريم الخلق على تحريم نفس الكافر فهو استدلال أعوج ككثير من استدلالاته ، وقد جمعتها في رسالة لعلها تصدر قريبا إن شاء الله .

[2] ويقول أيضا في نفس البرنامج في حلقة بعنوان العلاقات الدولية : "ولكن الإسلام لم يفرق بين الناس بأي سبب من هذه الأسباب، واعتبر الإنسانية كلها واحدة ، أسرة واحدة ، اشتركوا في العبودية لله والبنوة لآدم ، فأنا أقصد المساواة في أصل التكليف وفي الكرامة الإنسانية ، (**ولقد كرمنا بني آدم**)".

=

النص الثالث :

قوله تعالى (**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**) .

وقد استدلوا بها على : (**تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق. وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً ، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً**).

قلت : وهذا القول مجمل ، وموهم ، من وجهين :

الوجه الأول : قولهم (بغير حق) ، فإن (الحق) المراد هنا قد يراد به الحق عند أهل الإسلام ، وقد يراد به الحق الذي يفهمه الكفار ، الذين وجه إليهم (البيان) ، وكان بلغة لا يفهمها غيرهم(!) .

الوجه الثاني : قولهم (**وقتل نفس واحدة**) ، و (**حماية نفس واحدة**) ، توهم أن نفس المسلم كنفس الكافر في ذلك كله !.

لذلك لا بد من التفصيل في محل الإشكال ، وفي موضع يلتبس فيه الحق بالباطل ، و من عادة أهل العلم إذا تكلموا بكلام ملبس موهم لمعنى باطل أن يصلوا الكلام المجمل بما يزيل عنه هذا اللبس ، خصوصاً إذا كان الكلام يطلع عليه العامة الذين لا يميزون ، لهذا أقول:

إن هذا النص يفسر بغيره من النصوص ، فقد فرقت النصوص بين قتل المسلم وقتل الكافر:

ويقول أيضاً في حلقة بعنوان غير المسلمين في ظل الشريعة الإسلامية بتاريخ ١٢/ ١٠ / ١٩٩٧ م : " هناك قدر مشترك بين هؤلاء وأولئك جميعاً يتمثل في النظرة الإنسانية، أي من حيث نظرة الإسلام لهم من حيث هو آدمي يقول تعالى: (**ولقد كرمنا بني آدم**) وحيثما كان الإنسان كان احترام الإسلام لآدميته ولفطرته ولحريته ولكرامته وحقوقه سواء كان من أهل الكتاب أو من غيرهم ".

لذلك لا نعجب إذا كان بعض الموقعين هداهم الله يدافعون عن (القرضاوي) بشدة ، ويسمونه (الشيخ العلامة) ، وجعلوا من حسنات (الفضائيات) نشر (أباطيله) التي يسمونها (فتاوى) ، فقد بدأت أصوله تتسرب إليهم ، وبدأوا يفتون بأقواله .

وقد قال تعالى عن قتل المؤمن وقال تعالى (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ**) ، وقال تعالى (**إنه من يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيماً**) ، وقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله (**فكأنما قتل الناس جميعا**) قال [1]: " هذه مثل التي في سورة النساء (**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**) يقول : لو قتل الناس جميعا لم يزد على مثل ذلك العذاب".

وقال تعالى عن قتل الكفار :

(**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**) ، وقال تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...الآية**) ، وقال تعالى (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ، ويقول تعالى (**واقتلوهم حيث ثقفتموهم**) ، ويقول تعالى (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**) ، وغيرها من النصوص كالحديث الصحيح (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...الحديث) .

فقتل الكافر ليس كقتل المسلم مطلقاً ، لعدة أدلة :

الأول : الآية نفسها ، فإن الله سبحانه قال (**بغير نفس أو فساد في الأرض**) ، وأعظم أنواع الفساد في الأرض (الكفر):

قال القرطبي رحمه الله [2]:

" ومعنى (**بغير نفس**) أي : بغير أن يقتل نفسا فيستحق القتل ، وقد حرم الله القتل في جميع الشرائع إلا بثلاث خصال : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس ظلما وتعديا ، (**أو فساد في الأرض**) أي : شرك ، وقيل : قطع طريق ".

وقال البيضاوي رحمه الله :

---

[1] الدر المنثور : ٣ / ٦٤ .

[2] تفسير القرطبي : ٦ / ١٤٦ .

" (**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس**) أي : بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص ، (**أو فساد في الأرض**) : أو بغير فساد فيها كالشرك ، أو قطع الطريق ".

الثاني : ما قاله أشهر المفسرين في هذه الآية ، كمجاهد رحمه الله حيث سبق قوله بأنها كآية الوعيد في قتل المؤمن في آية النساء ، وكما قال سعيد بن جبير رحمه الله : "من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعا ، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعا " قال ابن كثير رحمه الله [١]:" وهو الأظهر".

الثالث : باقي النصوص التي تفسر هذه الآية ، فإن الكافر على قسمين :

الأول : كافر حربي ، فنصوص إباحة قتله متواترة وعليه إجماع المسلمين .

الثاني : كافر معاهد ، فلا يجوز قتله ، ولكن قتله لو وقع – وإن كان حراماً – فليس كقتل المسلم ؛ لأن المسلم إذا قتل المسلم فعليه القصاص ، وأما المسلم فلا يقتل بالكافر كما ثبت في الصحيح ، وديته أقل من دية المسلم عند الجمهور.

الرابع : أن الأصل في دم المسلم العصمة إلا بدليل كما في حديث ابن مسعود (لا يحل قتل رجل مسلم إلا بإحدى ثلاث) ، وأما الكافر فالأصل في دمه الإباحة إلا بدليل كما في قوله تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...إلى قوله : حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) ، وكما في حديث (أمرت أن أقاتل الناس ..إلى قوله : فإن قالوها عصموا مني دماؤهم وأموالهم) ، ولا يستوي من الأصل في دمه العصمة ، ومن الأصل في دمه الإباحة ، كما لا يستوي قتل من يعبد الله ، و قتل من يعبد الشيطان .

الخامس : عموم الأدلة المفرقة بين المسلمين والكافرين ، وستأتي إن شاء الله في المبحث الثاني.

---

[١] تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٧ .

ويبقى ها هنا تنبيهان :

التنبيه الأول :

أن المسلم المجاهد لو تأول فقتل أحد الكفار وأخطأ في تأوله هذا فإنه يعذر في اجتهاده ، وقد دلت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وقد ذكرت مثالين سابقاً وهما قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه مع بني جذيمة ، وقصة عبد الله بن جحش رضي الله عنه مع ابن الحضرمي ، وسأذكر مثالاً ثالثاً هنا :

وهو : ما ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة ، فصبحنا القوم ، فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصاري عنه ، فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟. قلت : كان متعوذا ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد ذكر هذه قصة أسامة رضي الله عنه[1] :

" ومع هذا لم يوجب عليه قودا ولا دية ولا كفارة ؛ لأنه كان متأولا ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنه قالها تعوذاً " .

وقال في موضع آخر يبين أن هؤلاء خطؤهم قطعي ولم يؤاخذهم الرسول صلى الله عليه وسلم لتأولهم[2]:

"وكذلك أسامة بن زيد قد قتل الرجل المسلم وكان خطؤه قطعياً ، وكذلك الذين وجدوا رجلاً في غنم له فقال : إني مسلم فقتلوه وأخذوا ماله كان خطؤهم قطعياً ، وكذلك خالد بن الوليد قتل بنى جذيمة وأخذ أموالهم كان مخطئاً قطعاً".

---

[1] الفتاوى : ٣ / ٢٨٤ .

[2] الفتاوى : ١٩ / ٢٠٩.

التنبيه الثاني :

وهو أن هذا الكلام مأخوذ من كلام بعض العصرانيين ، الذين يتملقون الكفار ويتقربون إليهم بمحاولة البحث عن مساواتهم بالمسلمين من خلال نصوص الشرع ، ومن ذلك قول شيخهم [1] :

" الضروريات هي الأشياء التي لا يعيش الإنسان بغيرها : الدين ، النفس وهي الحياة . حياة الإنسان . والإنسان لا يجوز أن يُعتدى على حياته (**من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**) " .

---

[1] القرضاوي ، من حلقة له بعنوان الإسراء والمعراج بتاريخ : ١٥ / ١١ / ١٩٩٨ م .

النص الرابع :

حديث (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) :

فإنهم استدلوا بهذا الحديث على قولهم (**إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة أساس في رسالة الإسلام**) .

قلت : وهذا الكلام مجمل ، فقولهم (الأخلاق الكريمة) يحتمل أحد معنيين كما سبق :

المعنى الأول : إقامة هذه العلاقات على ما جاء في الكتاب والسنة ، من توحيد ، وكفر بالطاغوت ، وبراءة من الكفر وأهله ، وبغضهم ، ومعاداتهم ، وإقامة للجهاد في سبيل الله.

المعنى الثاني : إقامة هذه العلاقات على ما يفهمه (المثقفون الأمريكيون) من كلمة (الأخلاق الكريمة) وهي : السلام ، والتسامح ، والمودة ، والألفة ، والتعايش ، ونحو هذا.

وحيث إن هذا الكلام مجمل ، موهم ، ملبس ، وقد ذكروا أنهم كتبوا البيان بلغة لا يفهمها إلا المثقفون الغربيون ، فلا بد من بيان معنى (مكارم الأخلاق) الذي جاء به الحديث :

قال ابن عبد البر رحمه الله [1]عن هذا الحديث :

" هذا حديث مدني صحيح ، ويدخل في هذا المعنى : الصلاح ، والخير ، والفضل ، والمروءة ، والإحسان ، والعدل ، فبذلك بعث ليتممه صلى الله عليه وسلم . وقد قال العلماء : إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) ".

وقال غيره [2]:

" صلاح الأخلاق هي : صلاح أمور الدنيا والمعاد التي جمعها في قوله : (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي) ".

---

[1] التمهيد : ٢٣ / ٣٣٤ .

[2] فيض القدير : ٢ / ٥٧٢ .

فمكارم الأخلاق تشمل كل خلق حسن ، وأعظمها ورأسها وأصلها : توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، والكفر بالطاغوت ، والبراءة من أعداء الله وبغضهم ومعاداتهم ، فهذه أعظم مكارم الأخلاق التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يعرفه أهل الجاهلية ؛ فقد كانت عندهم بعض مكارم الأخلاق كالكرم والشجاعة والمروءة وقرى الضيف ونحوها مما جاء بها الإسلام ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته مشتهراً بينهم بها حتى سماه المشركون بـ(الأمين) ، وقد روى ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لقد جاء الإسلام وفي العرب بضع وستون خصلة ، كلها زادها الإسلام شدة ؛ منها قرى الضيف ، وحسن الجوار ، والوفاء بالعهد). فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم (مكارم الأخلاق) ، جاء بالتوحيد ، والكفر بالطاغوت ، فجاهره المشركون بالعداوة وصنعوا معه ومع أصحابه ما اشتهر في السيرة .

قال الباجي رحمه الله [1]:

" كانت العرب أحسن الناس أخلاقاً بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم ، وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها ، فبعث ليتمم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه وبما خص به في شرعه ".

فالمقصود : أن هذا الحديث لا يدل أبداً على أن (التعايش) مع الكفار من (الأخلاق الكريمة) ، بل يدل على أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كله من مكارم الأخلاق ، فالأخلاق الكريمة تكون بموافقة شرع الله تعالى ، ومن هذه الأخلاق : الكفر بالطاغوت ، والبراءة من الكفار ، وبغضهم ، ومعاداتهم .

تنبيه :

في برنامج لشيخ العصرانيين سأله نصراني ومما قاله :

"أؤكد لك يا فضيلة الدكتور أنني عندما استمع إلى كلام سيادتكم عن الإسلام فإنني على الرغم من أنني مسيحي إلا أنني أجد نفسي اقترب يوماً بيوم من اعتناق الإسلام ، عندما

---

[1] شرح الزرقاني : ٤ / ٣٢١ .

استمع إلى بعض المشايخ الذين يستضافون في برنامج "الاتجاه المعاكس" فإنني أخاف من الإسلام فهم يشوهون **صورة الإسلام الحقيقي المتسامح المعتدل** ، فأرجو منكم يا فضيلة الدكتور أن تعطونا وجهة نظركم حول هؤلاء الذين يدَّعون العلم ويشوهون صورة الإسلام"

فكان مما أجابه قوله :

"أنا أود أن أحيي هذا الشخص لأنه لم تمنعه مسيحيته أن يتابع برامجنا ، الحمد لله أن هذا البرنامج **ليس له الصفة المتعصبة وهذا في الحقيقة هو حقيقة الإسلام** ، إن الإسلام يبني ولا يهدم ، والإسلام كما بدأت بالحديث القائل "إنما جئت لأتمم مكارم الأخلاق" أي أنه جاء ليتمم ما جاء به النبيون ، وما جاءت به الرسالات السماوية السابقة ولذلك فأنا أحيي **الأخ المشاهد** وأنا معه في أن هناك أناس [كذا] ينفِّرون من الإسلام "[1].

[1] القرضاوي : حلقة بعنوان الأخلاق بتاريخ : ١٣ / ٩ / ١٩٩٨ م ، وانظر كيف استدل بهذا الحديث على (التسامح) و (نبذ التعصب) ، وجعل هذه دعوة الأنبياء ، وانظر كيف قال للنصراني: أحيي الأخ المشاهد !! ، وإنما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوحيد والكفر بالطاغوت ومنه البراءة منهم ومن معبوداتهم ومعاداتهم !.

النص الخامس :

قوله تعالى (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**) .

وقد استدلوا به كسابقه على (إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة أساس في رسالة الإسلام) .

قلت : والكلام في إيهامه للمعنيين كالكلام في النص السابق ، لهذا كان لا بد من توضيح معنى هذه الآية ، والمراد بها كما ذكره أهل العلم :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [1] :

" اعلم أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه و سلم بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ، وأكمل لأمته الدين ، و أتم عليهم النعمة ، و جعله على شريعة من الأمر ، وأمره أن يتبعها و لا يتبع سبيل الذين لا يعلمون ، و جعل كتابه مهيمنا على ما بين يديه من الكتب و مصدقا لها ، و جعل له شرعة و منهاجا ، و شرع لأمته سنن الهدى .

و لن يقوم الدين إلا بالكتاب و الميزان و الحديد ، كتاب يهدى به ، وحديد ينصره ؛ كما قال تعالى (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) . فالكتاب به يقوم العلم و الدين ، و الميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية و القبوض ، و الحديد به تقوم الحدود على الكافرين و المنافقين ؛ ولهذا كان في الأزمان المتأخرة الكتاب : للعلماء و العباد ، و الميزان : للوزراء و الكتاب و أهل الديوان ، والحديد : للأمراء و الأجناد . و الكتاب : له الصلاة ، و الحديد : له الجهاد ؛ و لهذا كان أكثر الآيات والأحاديث النبوية في الصلاة و الجهاد ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول في عيادة المريض : (اللهم اشف عبدك يشهد لك

---

[1] الفتاوى : ٣٥ / ٣٦ .

صلاة و ينكأ لك عدوا) ، و قال عليه السلام : (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، و ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) ".

وقال أيضاً في موضع آخر [1] :

" قال تعالى (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب**) فأخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط ، وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق ، فالكتاب يهدي ، والسيف ينصر ، (وكفى بربك هاديا ونصيرا) ؛ ولهذا كان قوام الناس : بأهل الكتاب ، وأهل الحديد".

وقال ابن القيم رحمه الله :

"قرن سبحانه بين : الكتاب المنزل ، والحديد الناصر ؛ كما قال تعالى (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز**) :

فذكر الكتاب والحديد ؛ إذ بهما قوام الدين كما قيل :

فما هو إلا الوحي أو حد مرهف تميل ظباه أخدعا كل مايل

فهذا شفاء الداء من كل عاقل وهذا دواء الداء من كل جاهل".

وقال ابن كثير رحمه الله [2]:

"يقول تعالى (**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات**) أي : بالمعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات ، (**وأنزلنا معهم الكتاب**) وهو : النقل الصدق ، (**والميزان**) وهو : العدل ؛ قاله مجاهد وقتادة وغيرهما ، وهو : الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة ؛ كما قال تعالى (**أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه**) ، وقال تعالى (**فطرة الله التي فطر الناس عليها**) ، وقال تعالى (**والسماء رفعها ووضع الميزان**) ؛ ولهذا قال في هذه الآية (**ليقوم الناس بالقسط**) أي : بالحق والعدل ؛ وهو اتباع الرسل فيما

---

[1] الفتاوى : ١٨ / ١٥٧ .

[2] تفسير ابن كثير : ٤ / ٣١٥ .

أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به ؛ فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق ؛ كما قال (**وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا**) أي : صدقاً في الإخبار ، وعدلاً في الأوامر والنواهي ؛ ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوؤا غرف الجنات والمنازل العاليات والسرر المصفوفات (**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق**) .

وقوله تعالى (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**) أي : وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ؛ ولهذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وبينات ودلالات ، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن ".

وقال البيضاوي رحمه الله [1]:

" (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**) : فإن آلات الحروب متخذة منه ، (**ومنافع للناس**) : إذ ما من صنعة إلا والحديد آلاتها ، (**وليعلم الله من ينصره ورسله**) : باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار".

قلت : فمن تأمل في معنى هذه الآية وحدها كفته في إبطال (بيان المثقفين) كله ؛ فإن الكتاب المنزل على الرسل هو الآمر بالتوحيد والناهي عن الشرك ، والميزان هو الحكم بشرع الله سبحانه من غير تحريف ، ونصرة الله سبحانه ورسله يكون بالجهاد في سبيل الله، فهذه الآية وحدها تدل على أمرين عظيمين :

الأول : التوحيد ، ومنه الكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار ، ومعاداتهم ، لأنه من القيام بالقسط .

الثاني : الجهاد في سبيل الله ، لأن به نصرة الدين ، ونشر الإسلام ، ومقاتلة أعداء الله .
وهذان يبطلان البيان من أصله ، ولله الحمد والمنة .

[1] تفسير البيضاوي : ٥ / ٣٠٤ ، وعلى هذا جرى عامة المفسرين.

النص السادس :

قوله تعالى ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .

وقد استدلوا بها على (**أن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر ، وهذا من القسط الذي يحبه الله وأمرنا به**) .

قلت : والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن جعل هذه الآية هي (الأصل) في معاملة الكفار لم يقل به – حسب علمي – إلا العصرانيون الذين حرفوا شريعة الله عن وجهها إرضاء للكفار ونزولاً عند أهواء العامة ، ومن ذلك قول شيخهم [١] :

" وأساس هذه العلاقة مع غير المسلمين قوله تعالى : وذكر الآيتين من سورة الممتحنة".

الوجه الثاني : أن هذه الآية ليست أصلاً لعلاقات المسلمين مع غيرهم ، بل هي استثناء لأمور :

الأول : أن آيات البراءة من الكفار ، ومعاداتهم ، وجهادهم ، بالمئات ، فكيف تكون أكثر الآيات المبينة لطبيعة (علاقات) المسلمين بغيرهم ، والتي سار عليها النبي صلى الله عليه وأصحابه (فرعاً) ، والاستثناء المشروط بشروط (أصلاً) ؟!.

---

[١] القرضاوي : (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي) ص ٥ ، وهو يكثر من ترداد هذا في كثير من كتبه وبرامجه ، ومن ذلك أنه قال في فتوى له في موقعه (الإسلام على الإنترنت) بتاريخ : ١٩٩٩/١١/٢٩م :" إذا أردنا أن نجمل تعليمات الإسلام في معاملة المخالفين له –في ضوء ما يحل وما يحرم– فحسبنا آيتان من كتاب الله ، جديرتان أن تكونا دستورا جامعا في هذا الشأن – ثم ذكر الآيتين – "، وقال في حلقة من برنامجه الشريعة والحياة بعنوان (فقه الجاليات في الغرب) بتاريخ ٢ / ٥ / ١٩٩٩م : " وأرى أن الدستور الذي حدده القرآن في التعامل مع غير المسلمين نجده في آيتين من كتاب الله في سورة الممتحنة ، ثم ذكرها" ، **فهذا الأساس المذكور في (بيان المثقفين) لا أعلم أحداً من أهل العلم وضعه أساساً وأصلاً في معاملة الكفار (بإطلاق) ، وإنما هو من كيس القرضاوي وأمثاله!.**

الثاني : أن الله سبحانه ذكر شروطاً في أول الآية فقال (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**) ، (**ولم يخرجوكم من دياركم**) ، فلم يطلق هذا البر والإقساط !.

الثالث : أن الله سبحانه قال (**لا ينهاكم**) ولم يأمر بذلك ، والفرق أن عدم النهي يفيد الإباحة ، بينما الأمر يفيد الوجوب[1] ، بينما نصوص قتال الكفار كلها وردت بالأوامر الصريحة .

الرابع : أن العلماء اختلفوا في هذه الآية بسبب مخالفتها للأصل المعروف ، فمنهم من قال : إنها منسوخة بآيات السيف ، ومنهم من قال : إنها خاصة بالمؤمنين الذين لم يهاجروا ، ومنهم من قال : إنها خاصة بنساء وصبيان الكفار ، ومنهم من قال : إنها خاصة بحلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل غير هذا [2] ، والمقصود مما سبق : إن هذا الاختلاف لم يكن ليحدث في (أصل) ، وإنما حدث في ما خالف (الأصل) ، وهذا ظاهر بحمد الله لمن تأمل .

الوجه الثالث : أن (البر والإقساط) مع الكافر غير المحارب لا يستلزم (عدم البغض والمعاداة) ، وهذا مهم ، وإن كان البيان لم يتعرض لنفي ذلك هنا ، وقد جاء في الحديث الذي رواه مالك وأحمد وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر حيث اليهود لخرص الثمر عليهم ، فقال لهم : يا معشر اليهود ، أنتم أبغض الناس إليّ ، قتلتم أنبياء الله ، وكذبتم على الله ، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم . فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض .

قال ابن عبد البر رحمه الله [3]:

---

[1] انظر : تفسير القرطبي : ١٨ / ٦٠ ، وإنما يصح كلامهم لو قالوا : إن الأصل في معاملة الكافر الذي لم يحارب المسلمين ولم يخرجهم من ديارهم ولم يظاهر على إخراجهم البر والإقساط ، أما إطلاق أن الأصل في معاملة الكفار هو البر والإقساط فلا ، ولو وضعت هذه الضوابط لكان الأمريكان أول من يخرج من هذا الأصل ، فيكون لا معنى لخطابهم بهذه الآية !.

[2] انظر : تفسير القرطبي : ٨ / ٥٩ ، زاد المسير : ٢٣٦/٨ ، تفسير ابن كثير : ٤ / ٣٥٠ ، فتح القدير : ٥ / ٥١٣ ، والراجح هو أنها محكمة ليست منسوخة ، وأنها خاصة بغير المحاربين من الكفار .

[3] التمهيد : ٩ / ١٤٠ .

" وفيه أن المؤمن وإن أبغض في الله ، لا يحمله بغضه على ظلم من أبغضه ".

وقال ابن حجر رحمه الله [1] :

" البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى (**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية**) ؛ فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل ، والله أعلم ".

الوجه الرابع : أن يقال : أبلغ من هذا كله :

أن من لم يقاتل المسلمين ، ولم يخرجهم من ديارهم ، ولم يظاهر على إخراجهم ؛ يجوز جهاده وغزوه عند القدرة بالاتفاق ، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في عامة مغازيه وسراياه مع غير قريش ، وكما فعل الصحابة رضوان الله عليهم مع فارس والروم ومصر وما وراءها من البلدان ، فإنهم لم يقاتلوا المسلمين ابتداء ، ولم يخرجوهم من ديارهم ، ولم يظاهروا على إخراجهم ، ومع ذلك غزاهم المسلمون في ديارهم .

وهذا الذي تدل عليه أدلة الجهاد ؛ فإن الجهاد شرع ليكون الدين كله لله ، لا لكف العدوان فحسب .

قال الجصاص رحمه الله تعالى [2] :

" ولا نعلم أحداً من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين ، وإنما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في حظره " .

وقال الشوكاني رحمه الله [3] :

"وما ورد في موادعتهم أو تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ بإجماع المسلمين".

---

[1] فتح الباري : ٥ / ٢٣٣ ، وانظر : نيل الأوطار : ٦ / ١٠٦ .

[2] أحكام القرآن : ٣١٥/٢ .

[3] السيل الجرار : ٤/ ٥١٩.

النص السابع : قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) .

واستدلوا به على قولهم (**كل ما في الأرض من خيرات ظاهرة وباطنة إنما خلقت من أجل الإنسان**) .

قلت : وإطلاق الكلام هنا فيه إيهام ، وإجمال ، فقد يفهم من هذا أن المسلم والكافر في هذا الأمر سواء ، وهذا باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن الخطاب في هذه الآية موجه إلى المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن ، وليس موجهاً للكافرين ، فقوله تعالى (**لكم**) : إنما يقصد به الذين يؤمنون بالقرآن كما هو ظاهر.

فإن قيل : ولكن سياق الآيات يدل على أن المخاطب الناس كلهم ومنهم الكفار ، فالجواب بـ :

الوجه الثاني : وهو أن كثيراً من المفسرين ذكروا أن هذه الآية لا تدل أصلاً على إباحة ولا حظر ، بل جاءت في سياق الدلائل على التنبيه إلى وحدانية الله سبحانه :

قال ابن جرير رحمه الله تعالى [١]:

"فمعنى الكلام إذاً : كيف تكفرون بالله وقد كنتم نطفاً في أصلاب آبائكم فجعلكم بشراً أحياء ، ثم يميتكم ، ثم هو محييكم بعد ذلك ، وباعثكم يوم الحشر للثواب والعقاب ، وهو المنعم عليكم بما خلق لكم في الأرض من معايشكم ، وأدلتكم على وحدانية ربكم".

وقال ابن العربي رحمه الله تعالى [٢]:

" وليس في الإخبار بهذه العبارة عن هذه الجملة ما يقتضي حكم الإباحة ، ولا جواز التصرف ، فإنه لو أبيح جميعه جميعهم جملة منثورة النظام لأدى ذلك إلى قطع الوصائل والأرحام ، والتهارش في الحطام ، وقد بيّن لهم طريق الملك ، وشرح لهم مورد الاختصاص ، وقد اقتتلوا وتهارشوا وتقاطعوا ، فكيف لو شملهم التسلط ، وعمهم الاسترسال ؟ ، وإنما يجب

---

[١] تفسير الطبري : ١/٢٢٧.

[٢] أحكام القرآن : ١ / ١٤ ، ١٥ .

على الخلق إذا سمعوا هذا النداء أن يخروا سجداً شكراً لله تعالى لهذه الحرمة لحق ما ذلك من نعمه ، ثم يتوكّفوا بعد ذلك سؤال وجه الاختصاص لكل واحدٍ بتلك المنفعة".

وقال القرطبي رحمه الله [1]:

" الصحيح في معنى قوله تعالى (**خلق لكم ما في الأرض**) : الاعتبار ، يدل عليه ما قبله وما بعده ؛ من نصب العبر : الإحياء ، والإماتة ، والخلق ، والاستواء إلى السماء ، وتسويتها ، أي : الذي قدر على إحيائكم وخلقكم وخلق السماوات والأرض لا تبعد منه القدرة على الإعادة".

وقال ابن كثير رحمه الله [2]:

" لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم ذكر دليلاً آخر مما يشاهدونه من خلق السماوات والأرض فقال (**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات**) ".

الوجه الثالث : أن الله سبحانه بين في غير هذه الآية أن طيباته للذين آمنوا ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ؛ كما قال تعالى (**قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**) ، فجعلها للذين آمنوا ، وقال تعالى (**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في طعموا ...الآية**) ، ويدل مفهومها على أن الكفار عليهم جناح في ذلك ، وقال تعالى (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**) .

الوجه الرابع : أن المسلم المخاطب بهذه الآية لو أراد أن يستدل بها على إباحة امتلاكه لحم الخنزير أو شرب الخمر أو نحوه من المحرمات الشرعية الموجودة في (الأرض) لخالف بذلك الإجماع ، بل إنه يكفر بعد البيان ، وهو من المخاطبين بهذه الآية ، فكيف يكون حال الكافر ؟.

الوجه الخامس : ما قدمناه مراراً من أن الكافر أحد رجلين :

---

[1] تفسير القرطبي : ١ / ٢٥٢ .

[2] تفسير ابن كثير : ١ / ٦٨ .

الأول : كافر حربي : وهو الأصل فيهم ، فهو مباح الدم والمال كما دلت على ذلك النصوص وعليه الإجماع.

والثاني : كافر له عهد : من ذمة ، أو هدنة ، أو أمان : فهو معصوم الدم والمال ، إلا أن هذه العصمة ليست أصلية فيه ، بل بهذا العقد ، مما يدل على أنه لا يقر على ملك إلا بإقرار الشرع له بعد العقد .

قال القرطبي رحمه الله [1]:

" فإن الكافر بالحق لا حرمة له ، وجنايته أكبر من كل جناية ، فعقوبته ينبغي أن تكون أكبر من كل عقوبة ، لاسيما بعد أن تقدم للكافرين بالإعذار ، وبولغ لهم في الإنذار ، ولأجل أن الكافر لا حرمة له عند الله : يعاقبه الله في الدار الآخرة عقوبة لا انقطاع لها باتفاق الشرائع".

وقد سبق أن نقلت كلام أهل العلم في معنى (الفيء) ومنه :

قول شيخ الإسلام رحمه الله [2]:

" ما قاتلوا عليه كان للمقاتلة ، وما لم يقاتلوا عليه فهو فيء ؛ لأن الله أفاءه على المسلمين ، فإنه خلق الخلق لعبادته ، وأحل لهم الطيبات ليأكلوا طيبا ويعملوا صالحا ، والكفار عبدوا غيره فصاروا غير مستحقين للمال ، فأباح للمؤمنين أن يعبدوه ، وأن يسترقوا أنفسهم ، وأن يسترجعوا الأموال منهم ، فإذا أعادها الله إلى المؤمنين منهم فقد فاءت ؛ أي رجعت إلى مستحقها " .

---

[1] الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام : ص ٤٥٠ .

[2] الفتاوى : ٥٦٣/٢٨ .

النص الثامن :

قوله تعالى (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) ، وقوله : **(ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)** .

واستدلوا بهذين النصين على قولهم : **(وعليه فإن الإفساد في الأرض :كالعدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة ، من الفساد الذي لا يحبه الله، قال الله تعالى في كتابه : (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (البقرة: ٢٠٥) ، وقال : "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"(الأعراف :٥٦))**.

قلت : في بداية هذه الأسس قالوا **(ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى ، ولقد أرساها رسول الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – قبل أربعة عشر قرناً)** : فقد جعلوا هذه (المبادئ) و (الأخلاقيات) هي التي تحكم علاقات المسلمين مع الأمم الأخرى ، وهي التي أرساها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم .

ومعنى هذا الكلام أن من المبادئ والأخلاقيات التي تحكم علاقة المسلمين مع الأمم الأخرى إن (**العدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة**) من (**الفساد الذي لا يحبه الله**) ومن (**الإفساد في الأرض**) ، وهذا باطل ،كما سبق بيانه عند الكلام على الأسس ، والمقصود هنا بيان فساد استدلالهم بهاتين الآيتين على ما ذهبوا إليه ، وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول : أن أدلة الجهاد في سبيل الله وقتال جميع الشعوب الكافرة (مستضعفة) كانت أو (قوية) وغنيمة ثرواتها وخيراتها : متواترة ، ووقع عليها الإجماع الضروري ، وقد سبق بيان بعضها ، ويأتي بعضها إن شاء الله في المبحث الثاني ، وهذا من (الإصلاح) في الأرض

، وليس من الفساد أو الإفساد ، بل إن إطلاق هذه العبارة يلزم عليها لوازم خطيرة سبق الإشارة إليها[1] .

الوجه الثاني : أن قوله تعالى (**وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها** ..) نزلت كما قال عامة المفسرين في المنافقين الذين يفسدون في الأرض ، والفساد هنا عام ، و أعظم الفساد في الأرض الكفر بالله سبحانه وتعالى :

قال ابن جرير رحمه الله تعالى على هذه الآية بعد أن ذكر اختلافهم في تفسير الفساد [2]:

"والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله تبارك وتعالى وصف هذا المنافق بأنه إذا تولى مدبراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل في أرض الله بالفساد ، وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي ؛ وذلك أن العمل بالمعاصي إفساد في الأرض ، فلم يخصص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض".

الوجه الثالث : أن قوله تعالى (**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**) عام في كل إفساد بعد إصلاح ، و أعظم أنواع الفساد على الإطلاق (الكفر بالله) :

قال ابن جرير رحمه الله على هذه الآية [3]:

"يعني تعالى ذكره بقوله (**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**) : لا تشركوا بالله في الأرض ، ولا تعصوه فيها ، وذلك هو الفساد فيها ، وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى وبينا معناه بشواهده ، (**بعد إصلاحها**) يقول : بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحق وإيضاحه حججه لهم ".

الوجه الرابع : يظهر بهذا أن هذه الآيات ليس فيها ما يدل من قريب أو من بعيد على أن من الأسس التي أرساها النبي صلى الله عليه وسلم أن الاعتداء على الشعوب المستضعفة

---

[1] قولهم في بداية الأسس إن هذه أرساها النبي صلى الله عليه وسلم في حكم علاقتنا مع الأمم الأخرى يدل بوضوح على أن المراد بالاعتداء على الشعوب المستضعفة من قبل المسلمين.

[2] تفسير الطبري : ٣٢٩/٢.

[3] تفسير الطبري : ٥/ ٥١٥ .

ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها من (الفساد) الذي لا يحبه الله ؛ لأن الكلام في المعتدى عليه من (الشعوب) على قسمين :

القسم الأول : إذا كان اعتداء من (مسلمين) على (مسلمين) : فهذا غير داخل أصلاً في (هذه الأسس) لأنهم قالوا عنها (**ثمَّة مجموعة من المبادئ والأخلاقيات الأساسية التي تحكم علاقاتنا مع الأمم الأخرى**) ، فهذه الأسس تحكم علاقة المسلمين بالكفار (الأمم الأخرى) ، لا علاقة المسلمين ببعضهم!.

القسم الثاني : إذا كان الاعتداء من (مسلمين) على (كفار) : (الأمم الأخرى) : فهذا في الأصل ليس من الفساد ، أو الإفساد ، ولا من الاعتداء ، بل هو من الإصلاح ، ومن الجهاد في سبيل الله ، وبدراسة السيرة يتضح أن ما أرساه النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما قالوا ، فقد قاتل جميع (الأمم الأخرى) القريبة منه ، وغنم أموالهم ، وأراضيهم ، كقريش ، واليهود ، والعرب ، والروم ، وغيرهم ، ثم استمر أصحابه من بعده على هذا.

النص التاسع : قوله تعالى (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى).

استدلوا بهذه الآية على قرب نصارى اليوم من المسلمين فقالوا (**وقد أخبر القرآن الكريم بأن المسيحيين هم الأفضل في أخلاقيات التعامل من بين كل المجموعات الدينية المخالفة للإسلام**).

قلت : والكلام عليه من وجهين :

الوجه الأول : أن الاستدلال بهذا الإطلاق باطل ، فبقية الآية التي (بترت) ترد هذا القول وتبطله ، حيث يقول سبحانه بعد ذلك (**ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**) فهذه تدل على أن المقصود (من آمن منهم) من وجوه :

الأول : أنه قال (**قالوا إنا نصارى**) ولم يقل (النصارى) كما قال (اليهود) : فإن هذا دال على أن المراد طائفة معينة من النصارى بينتها الآيات بعد ذلك .

الثاني : قوله (**وأنهم لا يستكبرون**) : فهم لا يستكبرون عن اتباع الحق ، قال القرطبي رحمه الله [1]: " وهذا المدح لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم دون من أصر على كفره ولهذا قال (**وأنهم لا يستكبرون**) أي : عن الانقياد إلى الحق ".

الثالث : قوله (**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**) : فهم يبكون إذا سمعوا القرآن .

[1] تفسير القرطبي : ٦ / ٢٥٨ .

الرابع : قوله (**يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين**) وهذا صريح بإيمانهم وأنهم يشهدون الشهادتين.

الخامس : قوله (**وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين**) : ويردون على من استنكر دخولهم في الإسلام .

السادس : قوله (**فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين**) : وهذا جزاء المؤمنين .

السابع : قوله (**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**) : وهؤلاء هم النصارى وغيرهم من الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

فهل يبقى بعد هذه الآيات الصريحة الواضحة الدلالة شك في أن الذين أرادهم الله سبحانه غير هؤلاء الكفار المثلثة أعداء الله ورسوله ؟!.

قال البغوي رحمه الله عن هذه الآية [1] :

" لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في : قتلهم المسلمين ، وأسرهم ، وتخريب بلادهم ، وهدم مساجدهم ، وإحراق مصاحفهم ، لا ، ولا كرامة لهم ، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه " .

و قال القاضي أبو يعلى رحمه الله [2]:

"وربما ظن جاهل أن في هذه الآية مدح النصارى ، وليس كذلك ؛ لأنه إنما مدح من آمن منهم ، ويدل عليه ما بعد ذلك ، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود".

وقال أبو بكر الجصاص رحمه الله[3]:

" ومن الجهال من يظن أن في هذه الآية مدحاً للنصارى وإخباراً بأنهم خير من اليهود ، وليس كذلك ؛ وذلك لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول يدل عليه ما ذكر في نسق التلاوة من إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان بالله وبالرسول . ومعلوم

---

[1] تفسير البغوي : ٢ / ٥٦ .

[2] زاد المسير : ٢ / ٤٠٩ .

[3] أحكام القرآن : ٢ / ٦٣٣ .

عند كل ذي فطنة صحيحة أمعن النظر في مقالتي هاتين الطائفتين أن مقالة النصارى أقبح وأشد استحالة وأظهر فساداً من مقالة اليهود ؛ لأن اليهود تقر بالتوحيد في الجملة وإن كان فيها مشبهة تنقص ما أعطته في الجملة من التوحيد بالتشبيه ".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله على هذه الآية [1] :

" فاليهود يغلب عليهم الكبر ويقل فيهم الشرك ، والنصارى يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر ...فإن النصارى لهم قصد وعبادة ، وليس لهم علم وشهادة ؛ ولهذا فإن كان اليهود شراً منهم بأنهم أكثر كبراً وأقل رهبة وأعظم قسوة ، فإن النصارى شر منهم فإنهم[2] أعظم ضلالاً وأكثر شركاً وأبعد عن تحريم ما حرم الله ورسوله ، وقد وصفهم الله بالشرك الذي ابتدعوه ، كما وصف اليهود بالكبر الذي هووه ".

ويقول رحمه الله [3] :

" وكل عاقل يعلم أن النصارى أعظم الملل جهلاً وضلالة ، وأبعدهم عن معرفة المعقول والمنقول ، وأكثر اشتغالاً بالملاهي ، وتعبداً بها ".[4]

الوجه الثاني : أن هذه الآية يكثر الاستدلال بها من العصرانيين على التزلف للنصارى، وتمييع البراء منهم ، كما قال شيخهم [5]:" الإسلام ميز أهل الكتاب عن غيرهم من الآخرين من غير المسلمين وميز النصارى بالذات، فالقرآن يقول – وذكر الآية – ".

---

[1] الفتاوى : ٦٢٤/٧ – ٦٢٦.

[2] كذا في الأصل : ولعل الأصوب : (بأنهم) حتى تتناسب مع ما قبلها ، والله أعلم .

[3] الفتاوى : ١٨٧/٣٥.

[4] بل قال الجاحظ – وهو من رؤوس المعتزلة – على هذه الآية كما في كتابه (الرد على النصارى) ص ٢٥٩ من رسائله الكلامية – : " وأمر آخر ، وهو من أمتن أسبابهم ، وأقوى أمورهم ، وهو تأويل آية غلطت فيها العامة حتى نازعت الخاصة ، وحفظتها النصارى واحتجت ، واستمالت قلوب الرعاع والسفل ، وهو قول الله تعالى – وذكر الآية – ثم قال : وفي نفس الآية أعظم الدليل على أن الله تعالى لم يعن هؤلاء النصارى ولا أشباههم : الملكانية واليعقوبية ، وإنما عنى ضرب بحيرى ، وضرب الرهبان الذين كان يخدمهم سلمان [يقصد : الفارسي]".

[5] القرضاوي : في برنامجه الشريعة والحياة : حلقة بعنوان (غير المسلمين في ظل الشريعة الإسلامية) بتاريخ : ٢١/١٠/١٩٩٧م ، وقال في فتوى في موقعه بعنوان (حدود التعامل مع النصارى وحكم تهنئتهم بأعيادهم) بعد أن أذاب البراء من اليهود والنصارى جميعاً : " هذا في أهل الكتاب عامة، أما النصارى منهم خاصة، فقد وضعهم القرآن =

خامساً : بيان المثقفين والبراءة من الجهاد وأهله :

إن الذي يقرأ هذا (البيان) من أوله إلى آخره يخرج بنتيجة واضحة وضوح الشمس ، مؤداها إلى أن الإسلام ليس فيه جهاد في سبيل الله ، ولا قتال للكفار حتى يكون الدين كله لله ، كما تقرأ في طياته لمزاً للمجاهدين في مواضع والبراءة منهم ، فهو في حقيقته يقدم (إسلاماً أمريكياً تعايشياً) ترضاه (أمريكا) و (المؤسسات الدولية) !.

ويتضح هذا الأمر من وجوه [1] :

الوجه الأول : إنكارهم (لغة القوة) و (الصراع) و (الصدام) و (التطاحن) و (العنف) و (التدمير) و (الإرهاب) و نحوها من العبارات في بيانهم وبراءتهم منها أكثر من عشرين مرة تقريباً ، وإرادتهم حواراً (**ينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع**) ، ويحقق (**أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات**) ، ومن ذلك قولهم : (**وقد تعلمنا من التاريخ أن الضمانات لتحقيق الأمن لا تفرض بالقوة فقط، لأن الضمانات التي تفرض بالقوة تحمل معها بذور الفشل والانهيار**).

الوجه الثاني : أنهم جعلوا أصل معاملة المسلمين للكفار (البر) و (الأخلاق الكريمة) ونحو ذلك ، كقولهم :

١- (**إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة أساس في رسالة الإسلام**).

٢- (ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر).

موضعا قريبا من قلوب المسلمين ..وذكر الآية " ، وقال نحواً من هذا في فتوى له في موقعه بعنوان (كيف نتعامل مع أهل الكتاب) .

[1] إنما عددت الوجوه هنا وفي القسم السادس لتوضيح أن هذا البيان يسير على وتيرة واحدة في الرسالة التي يريد إيصالها وذلك إذا ضممت هذه الوجوه إلى بعض ، وأن المسألة ليست لفظاً واحداً ، أو جملة واحدة هنا أو هناك ، بل البيان بمجموعه يسير على هذا النحو ، وإن كان بعض هذه الوجوه أظهر من بعض .

٣-(**بل إن النظم والتشريعات التي جاء بها الإسلام تؤسس لحياة مستقرة للمؤمنين به وغير المؤمنين)** .

الوجه الثالث : أنهم جعلوا (العدوان) على الغير ومنازعتهم في ثرواتهم وخيراتهم من الفساد الذي لا يحبه الله ، كقولهم :

(وعليه فإن الإفساد في الأرض :كالعدوان على الغير من الشعوب المستضعفة ومنازعتها في ثرواتها وخيراتها الخاصة التي تملكها أو تلويث البيئة ، من الفساد الذي لا يحبه الله) .

الوجه الرابع : أنهم ذكروا آثار هذا (الصراع) بصورة (مأساوية) بشكل مطلق بلا تفصيل، مثل قولهم :

١- **(وقد تقود المجتمعات إلى دوامة القلق والحرمان والصراع اللاإنساني)**.

٢- **(ومن الخطأ أن نجعل القوة هي لغة الحوار لأن من شأن ذلك أن يسمح لقوى الصراع أن تمارس دوراً معقداً في المستقبل)**.

٣- **(والحق أن هذه السياسة هي التي تصنع التهديدات الخطيرة للأمن المدني ليس للغرب فحسب، بل للعالم كله، فضلاً عن كونها تصنع الأوضاع المأساوية اللاإنساني)**.

٤-**(ويجب أن ندرك أن سيطرة إدارة الصراع في العالم ستقود لصناعة الأسوأ للواقع وللأجيال القادمة التي ستواجه آثار حساباتنا الخاصة)**.

٥-**(لقد بات الأمن المدني مهدداً في العالم في ظل التسابق للصراع ورسم مشاريعه)**.

الوجه الخامس : إنكار أن يكون المجاهدون (الإرهابيون) قاتلوا (أمريكا) بسبب كفرها بالله و (قيمها) المخالفة للإسلام ، فهم لا يقاتلونهم بسبب (الاختلاف في القيم) : يعني (الإيمان) و (الكفر) ، كقولهم:

١- **(واختزال ذلك في محاربة المجتمع الأمريكي وقيمه البشرية العالمية)** .

٢- (أن يتساءل لماذا لم يختر المنفذون بلداً آخر غير الولايات المتحدة ممن يتبنى نفس القيم الغربية؟ بل لماذا لم يتوجه هؤلاء إلى دول ومجتمعات أخرى تدين بالوثنية[1] في آسيا وأفريقيا هي أولى بالحرب لو كان دافعهم هو محاربة من يختلف معهم في القيم؟).

الوجه السادس : إنكار أن يكون المجاهدون (الإرهابيون) عندهم (مسوغات شرعية) أو (أدلة من الكتاب والسنة) للجهاد في سبيل الله أو لضرب أمريكا ، وإنما الدافع لهم (الواقع المر) ، كقولهم :

١-(وحين نحرم الناس من الاستقرار ونفرض عليهم أن يعيشوا في دوامة من القلق والقهر والضيم فإنهم قد يتصرفون بطريقة غير أخلاقية، والواقع المرّ[2] هو الذي يصنع القرارات، بل هو الذي يصنع الفكرة أحياناً) .

٢-(إننا على إدراك أن كثيراً من التجمعات الإسلامية المتشددة -كما توصف - لم تُرِدْ أن تكون كذلك في أولى خطواتها) .

٣-(وهذا هو الدافع الأكبر للتشدد في التجمعات والحركات الإسلامية) .

الوجه السابع : إنكارهم إن يكون الإسلام يلزم غير المسلمين بـ(مفاهيمه) ، كقولهم : **(إننا نؤمن أن الإسلام هو الحق ، ولكن من غير الممكن أن يكون العالم كله مسلماً؛ إذ ليس بمقدورنا جعله كذلك، وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي)** .

---

[1] فليس الدافع هو الاختلاف في (الدين) ؛ لأنه لو كان كذلك لكان قتال الوثنيين أولى ، كما هو ظاهر !!.

[2] ومع أنهم أخرجوا المسألة من (الجهاد) ، ومن (المسوغات الشرعية) ، وربطوها بالواقع المر ، ومع اعترافهم بهذا الواقع المر ، وبأعمال أمريكا الإجرامية ، إلا أنهم لم ينسوا أن يطمئنوا أمريكا بقولهم **(وإن كنا لا نرى واقعية هذه المبررات لضرب الأمن المدني)** :

يعني لن نجاهد مطلقاً لأنه : لا (المسوغات الشرعية) تجيز ضربكم ، و لا (الواقع المر الذي أحدثتموه) تسوغ ذلك أيضاً ، فاطمئنوا !!.

ومن هذا قولهم (**إن الولايات المتحدة لو اعتمدت العزلة عن العالم داخل حدودها ورفعت يدها عن القضايا المشتعلة فليس يعني المسلمين أن تكون دولة متقدمة أو ديمقراطية أو علمانية**) .

الوجه الثامن : قصرهم الجهاد على جهاد الدفع وهو ما يشترك فيه (جميع البشر) ، بل و (الحيوانات) ؛ كقولهم : (**لكن حينما يفضل طرف أن يصنع الصراع مع المسلمين، أو يتجاهل حقوقهم ؛ فإن الإسلام يقابل ذلك بالمقاومة والمدافعة التي هي أحد مقاصد الجهاد**).

قلت :

أما كلامهم على المجاهدين ففي القسم القادم إن شاء الله تعالى ، وهذه الأوجه السابقة تظهر لك بوضوح أنهم يقدمون (إسلاماً تعايشياً أمريكياً) كما سبق : بلا (جهاد في سبيل الله) ، أو (صراع) كما يقولون ، والأمر هذا ظاهر من العنوان أصلاً (على أي أساس نتعايش؟) .

وأعظم من هذا كله أن هذا ينسب إلى الإسلام ، و تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ، وإبطال هذا كله في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى .

سادساً : بيان المثقفين وموالاة الكفار :

إن طلب (التعايش) مع الكفار على ما في (البيان) هو في حقيقته (موالاة) للكفار ظاهرة ، لأن البيان لم يرد فيه حرف واحد يدل على عقيدة الولاء والبراء ، أو يدل على الفرق بين الموحدين والمشركين ، وإنما فيه طلب تعايش وتعاون ونبذ الصراع والتشنج والاحترام المتبادل ، على ما سبق بيانه في الأقسام السابقة .

إلا أننا سنتكلم على وجهين هنا هما : مشاركة الكفار في مشاعرهم ، والبراءة من المجاهدين [1] :

الوجه الأول : مشاركة الكفار في مشاعرهم في مصيبتهم ، كقولهم :

١-(**إن كثيرين في العالم الإسلامي وغيره لم تكن هذه الهجمات في سبتمبر محل ترحيب وحفاوة عندهم، لجملة من الأسباب القيمية والمبدئية والمصلحية والأخلاقية التي تعلمناها من الإسلام**) .

٢-(**ولئن كان الغرب يعتبر أحداث الحادي عشر من سبتمبر تتجه لزعزعة الأمن المدني في الغرب فمن الممكن أن نشاركه الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني في العالم**) .

الوجه الثاني : البراءة من المجاهدين ، ولمزهم ، وتأييد الكفار عليهم ، كقولهم :

١-(**المسؤولية في الجنايات الخاصة فردية، فلا أحد يؤخذ بجريرة غيره**) .

٢-(**تشكّل بالنسبة لهم منعطفاً لتحديد العلاقة بينهم وبين المسلمين بعامة ولا يريدون أن ينسبوها للفئة التي قامت بها**[2]) .

---

[1] الكلام في هذه الوجوه كالكلام في الوجوه المذكورة في القسم الخامس .

[2] في الفقرة الأولى والثانية يريدون من الكفار أن يجعلوا حربهم ضد (المجاهدين) فقط ، فهم بريئون منهم (!) ، فلم يشاركوا المجاهدين في (شعورهم) على الأقل ، فهلا تبرءوا من الكفار أيضاً وتركوا مشاركتهم في شعورهم ، فساووا بين الفريقين !!.

٣- (أو دوائر واقعة تحت ضغط واقع لا يراعي الأخلاق ولا الحقوق، وقد تقود المجتمعات إلى دوامة القلق والحرمان والصراع اللاإنساني) .

٤-(وحين نحرم الناس من الاستقرار ونفرض عليهم أن يعيشوا في دوامة من القلق والقهر والضيم فإنهم قد يتصرفون بطريقة غير أخلاقية[١]).

٥-(وإن كنا نعترف بأشكال متطرفة مرتبطة ببعض المسلمين كغيرهم) .

٦- (إننا على إدراك أن كثيراً من التجمعات الإسلامية المتشددة -كما توصف- لم تُرِدْ أن تكون كذلك في أولى خطواتها) .

٧-(وهذا هو الدافع الأكبر للتشدد في التجمعات والحركات الإسلامية)[٢].

٨-(والذين يمثلون الصراع ليسوا دائماً هم الأفضل[٣] لتمثيل هذا التجمع أو ذاك).

٩-(مشكلة الإرهاب والتطرف، ومن وجهة نظرنا فإن هذه مشكلة جادة في العالم، ويفترض أن تكون هنالك مشاريع متعددة لمعالجتها).

١٠-(حين نؤمن أن العالم يواجه مشكلة الإرهاب والتطرف بالمفهوم الشامل الذي ذكرناه).

١١-(إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين)

١٢-(إن الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات، وإنه لمن العمى الأخلاقي أن يركز على صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم ويغض الطرف عن صورها الأخرى) .

١٣-(وإذا كان الهدف استئصال الإرهاب من جذوره فإن الوسيلة الملائمة ليس الحرب الشاملة بل السلام العادل) .

---

[١] وفي الفقرتين الثالثة والرابعة لمز للمجاهدين بأنهم (غير أخلاقيين) !.

[٢] وفي الفقرات (٥ ، ٦ ، ٧) لمز للمجاهدين بالتشدد والتطرف ، فإن التطرف والتشدد في المفهوم الغربي هو (الجهاد).

[٣] قال شداد بن أوس رضي الله عنه : يا بقايا العرب : إن أخوف ما أخاف عليكم (الرياء) و (الشهوة الخفية) . سئل أبو داود السجستاني رحمه الله عن الشهوة الخفية ؛ فقال : حب الرياسة .

وسنتناول كلامهم عن (الإرهاب) فيما يلي :

فقد أقر البيان بالإرهاب الاصطلاحي عند الكفار فقال (**إن الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات**) . ومن المعلوم لدى الجميع أن (الإرهاب الاصطلاحي) عند المخاطبين الأمريكان يقصدون به المجاهدين في أفغانستان وفلسطين وكشمير والفلبين ونحوها في المقام الأول ، وقد زاد البيان في إيضاح المقصود بالإرهاب الاصطلاحي عند الكفار عندما تكلم على (التجمعات الإسلامية المتشددة) وقال : (**ونحن على إدراك أن هذا التشكيل يقع اليوم تحت رعاية المشروع الغربي نفسه باسم ((مكافحة الإرهاب))** ، فهم يعلمون أن (مكافحة الإرهاب) إنما يقصد بها (ضرب الجماعات الإسلامية المتشددة بزعمهم).

فإقرارهم بالإرهاب الاصطلاحي إقرار بأن أعمال هؤلاء المجاهدين هي (**صورة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات**) ، و أنهم (**مشكلة جادة في العالم**) ، وأنه لابد من (**استئصالهم**) .

ثم زادوا المسألة وضوحاً فقالوا : (**إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين**) .

فهذا يلزم منه — بوضوح — مساندة الحملة الصليبية على (الإرهابيين) وهم (المجاهدون) ، وهذا ظاهر جداً ، ومساندتهم من (التولي) وهو الناقض الثامن من نواقض الإسلام ، وقد قال أحد الموقعين على هذا البيان :

"إن نصرة الكفار على المسلمين - بأي نوع من أنواع النصرة أو المعاونة **ولو كانت بالكلام المجرد** - هي كفر بواح ، ونفاق صراح ، وفاعلها مرتكب لناقض من نواقض الإسلام — كما نص عليه أئمة الدعوة وغيرهم — غير مؤمن بعقيدة الولاء والبراء".

فماذا عساه يقول في مثل قولهم وهم يخاطبون أعداء الله الذين يقاتلون المجاهدين (**إنهم معنيون بالحملة على الإرهاب سواء أتى من مسلمين أو غير مسلمين**) ؟!.

ونقض هذا كله سيكون في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى .

انتهى القسم الأول

ويليه القسم الثاني و أوله :

المبحث الثاني

الأدلة الشرعية على نقض بيان المثقفين